المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الثالث من المجلد الثالث والثمانين

١ اكتوبر سنة ١٩٣٣ — ١١ جماد الثاني سنة ١٣٥٢

الايدروجين الثقيل

هل يكون سبيل العلماء الى اسرار بناء المادة

منذ نحو سنة ونصف سنة كشف ثلاثة من علماء الاميركيين ضرباً جديداً من الايدروجين فاشتدَّت عناية الدوائر الكيماوية والطبيعية به ، بل انصرفت المعامل العلمية في خمس جامعات اميركية او ستٍّ الى درس خواصِّهِ واعدَّت احدى الشركات الصناعية المعدات اللازمة لاستخراجه . ولا يمكن ان نبيِّن للقارىء مكانة هذا الصنف الجديد من عنصر الايدروجين في علمي الكيمياء والطبيعة الحديثين ، الاَّ اذا تتبعنا تقدُّم هذين العلمين من الناحية التاريخية

اطلق على الضرب القديم المعهود من الايدروجين اسم ايدروجين ، وعلى الضرب الجديد اسم ايدروجين . والرقمان يشيران الى وزن الضربين ، او الى الوزن النسبي لترتيبها بالمقابلة مع وزن الاكسجين او وزن ذرَّتهِ . فقرَّاء المقتطف يعلمون ان الايدروجين اخفُّ المواد المعروفة على الاطلاق ، وان ثقلهُ واحد ، اي اذا اتخذنا الاكسجين اساساً للمقابلة ، وجعل وزنهُ الذري ١٦ فوزن الايدروجين الذري على هذا القياس واحد . وهذا الايدروجين هو الضرب الاول المعروف الآن بايدروجين . اما الايدروجين فثقلهُ اثنان بالمقابلة مع ثقل الاكسجين . فاذا فرضنا ان ذرة الاكسجين ثقلها ١٦ فذرة الصنف الاول من الايدروجين ثقلها ١ وذرة الصنف الثاني ثقلها ٢ . وقد اقترح المكتشفون اطلاق اسمين يونانيين على هذين الضربين من الايدروجين ، يعنيان ١ و٢ وهما پروتيوم وديوتيريوم

لا يخفى ان المواد التي تحيط بنا على تنوعها في اشكالها واوزانها والوانها وروائحها وقساوتها ولينها ، انما هي مركَّبة اصلاً من مواد اولية تدعى عناصر وعددها اثنان وتسعون عنصراً. فالعنصر في عرف الكيمياء هو المادة التي لا نستطيع ان نحللها بما نملكهُ من الوسائل الكيميائية من دون ان تفقد خواصها

وفي سنة ١٨٠٢ قال دلتن الكيماوي الانكليزي ان المادة مركبة من دقائق صغيرة دعاها ذرّات atoms وكان المفروض في نظريته ان ذرات كل عنصر متشابهة جرماً ووزناً وتصرفاً كيميائياً. ثم كشف علماء الكيمياء وسائل تمكنهم من معرفة اوزان هذه الذرّات بالمقابلة بينها. وفي سنة ١٨١٥ بيّن الطبيب بروت Prout الانكليزي ان الاوزان الذرية ليست الا اضعافاً مختلفة لوزن ذرة الايدروجين فوزن الكلسيوم ٤٠ مثلاً وهو ٤٠ ضعف وزن الايدروجين . فاذا سلمنا بهذا القول وجب ان تكون الاوزان الذرّية كلها اعداداً صحيحة، لان وزن الايدروجين عدد صحيح . واقترح حينئذٍ نظرية عجيبة مؤداها ان ذرات العناصر انما هي مركبة من ذرات ايدروجين محشوكة معاً. ولكن لدى وزن ذرات العناصر بالاساليب المعروفة، تبين ان اوزان كثير منها ليس بالعدد الصحيح واذاً فلا يمكن ان تكون اضعافاً لوزن ذرّة الايدروجين . فصرف النظر عن مذهب بروت في اواخر القرن التاسع عشر . ولكنه بعث من مرقده الآن. والقول بأن ذرات العناصر مبنية من ذرات الايدروجين ، له صلة دقيقة بما للايدروجين الثقيل (الايدروجين ٢) من المكانة عند علماء الكيمياء والطبيعة

***

لنلتفت الآن الى ناحية اخرى من هذا البحث جديرة بالاهتمام . ففي اواخر القرن التاسع عشر ، كشف الباحثون عن ظواهر الاشعاع . فوجدوا ان هناك عناصر تتحول من تلقاء نفسها من عنصر الى آخر . فالراديوم يتحول بعد زمن طويل ينقضي عليه الى رصاص. وكانت النتيجة التي اسفر عنها البحث في تحول العناصر بعضها الى بعض، ان بعض العناصر التي تنتهي اليها العناصر المشعة — كالرصاص مثلاً — تشبه عناصر اخرى في خواصها الكيميائية ولكنها تختلف عنها في وزنها الذري . فالرصاص الطبيعي يشبه الرصاص الناشىء من تحوُّل الراديوم بالاشعاع ولكن احدهما يختلف عن الآخر في وزنه الذرّي . كذلك الراديوم والميزوثوريوم لا يمكن ان يفصل احدهما عن الآخر من ناحية الخواص الكيميائية ، ولكن الرايوم يحتاج الى ١٨٠٠ سنة لكي يتحول الى عنصر آخر واما الميزوثوريوم فيحتاج الى سبع سنوات فقط ليتحوَّل التحوُّل نفسه . ثم ان وزن الراديوم الذري ٢٢٦ واما وزن الميزوثوريوم الذري فـ ٢٢٨ والذرات التي تتشابه من حيث خواصها الكيميائية ولكنها تختلف من حيث وزنها تعرف بالنظائر Isotopes وقد عثر بين العناصر المشعة على امثلة عديدة من النظائر

والخطوة التالية في تطوُّر هذا البحث انما تمّت لما ثبت ان العناصر العادية كالنيون والكلور وغيرهما مؤلفة من ذرات متشابهة في صفاتها الكيمائية وانما تختلف في اوزانها . ولعلّ اشهر الباحثين في هذا الموضوع هو الاستاذ استن Aston الانكليزي الذي اثبت ان اكثر العناصر مؤلفة من نظائر . وقد اتفق الباحثون الاميركيون خطوات استن فأثبتوا ان للاكسجين والنتروجين والكربون نظائر كذلك . وقد ظهر ان اوزان ذرات النظائر تكاد تكون اعداداً صحيحة مما يعيد الى الذهن نظرية پروت ، وهي ان ذرات العناصر مبنية من ذرات الايدروجين وقد حشكت معاً

واذا كان هذا صحيحاً فيجب ان يعثر الباحثون على ذرة مؤلفة من ذرتي ايدروجين فتكون ابسط الذرات المركبة بحسب نظرية پروت وحلقة بين ذرة الايدروجين وذرات العناصر الاخرى المركبة منها

وعني بدرس هذا الموضوع الاستاذ برج Birge احد اساتذة جامعة كاليفورنيا والدكتور منزل Menzel احد علماء مرصد هارفرد . فأقاما الادلة على ان ايدروجين ٢ يوجد في الايدروجين العادي بنسبة ١ الى ٤٥٠٠ . واذا بلغت نسبة احد النظائر هذه المرتبة (١ : ٤٥٠٠) تعذّر الكشف عنهُ الاّ اذا امكن تركيزهُ . لذلك عمد الدكتور بريكود Brickwedde الى تقطير الايدروجين السائل على درجة واطية جداً من البرودة — ٤٦٦ بميزان فارنهيت تحت درجة الجمد . وبذلك زادت نسبة ايدروجين ٢ الى ايدروجين ١ حتى بلغت ١ : ١١٠٠ فتمكن الدكتور هارولد يوري Urey احد أساتذة الكيمياء في جامعة كولومبيا ومعاونهُ مرفي من كشفه بواسطة طيفهِ . ثم كشفت طرق اخرى لاستحضاره منها طريقة الحلّ الكهربائي . والمتوقع ان يكون هذا الضرب من الايدروجين مداراً لمباحث خطيرة في الكيمياء والطبيعة ، لذلك نذكر في ما يلي اشهر ما يعرف عن خواصهِ وما قد يفضي اليهِ درسهُ من النتائج العلمية

***

لقد تبحّر العلماء في درس بناء الذرات في العهد الحديث فوصلوا الى ان الذرة مبنية من جزئين ، اولاً من كتلة مركزية مشحونة شحنة كهربائية موجبة . وحولها دقائق من الكهربائية السالبة تعرف بالكهارب او الالكترونات . فاذا تعيّن لدينا عدد الالكترونات في ذرة من الذرّات ، تعيّنت كذلك خواصها الكيمائية . فاذا كان في الذرة الكترون واحد فهي ذرة ايدروجين . واذا كان فيها الكترونان فهي ذرة هليوم . واذا كان فيها ثلاثة الكترونات فهي ذرة ليثيوم . او اربعة فهي ذرة بريليوم . او خمسة فهي ذرة بورون . او ستة فهي ذرة كربون . او سبعة فهي ذرة نتروجين . او ثمانية فهي ذرة اكسجين . او اثنان وتسعون فهي

ذرة اورانيوم وهو آخر سلسلة العناصر. والعناصر الباقية متوسطة بين الاكسجين والاورانيوم تزيد ذرة كلٍّ منها الكتروناً واحداً عن ذرة العنصر السابق

ولكن كتلة الذرة مركَّزة في النواة المركزية، ووزنها يختلف باختلاف عدد الدقائق التي تتركب منها النواة. فنواة ذرة الايدروجين او البروتيوم تحتوي على دقيقة واحدة، تعرف بالبروتون. اما ذرة الايدروجين او الديوتيريوم فمؤلفة من بروتون ونيوترون — والنيوترون دقيقة وزنها وزن البروتون ومتعادلة الكهربائية — فذرة الايدروجين الذي وزنهُ الذري ٢ هي بعد ذرة الايدروجين أبسط الذرات المعروفة. واذا شاء العلماء ان ينفذوا الى سر تركيب النوى في الذرات وجب عليهم ان يقفوا على ترتيب ابسط الذرات وأبسط النوى ثم مايليها فما يلي ذلك. ودرس نواتي البروتيوم والديوتيريوم انما هو خطوة اول في هذه الناحية

ثم ان الليثيوم الذي وزنهُ الذري ٧ يتفاعل مع البروتيوم لتوليد الهليوم. والليثيوم الذي وزنهُ الذري ٦ يتفاعل مع الديوتيريوم لتوليد الهليوم كذلك. وهذا النوع من التفاعل يفيض طاقة عظيمة تفوق مليون ضعف الطاقة التي تنفرد عنها التفاعلات الكيميائية العادية. هذا أهم ما يقال عن البروتيوم والديوتيريوم من حيث مكانتهما في علمي الطبيعة والكيمياء

***

أما من ناحية خواصهما الكيميائية فتوجد فروق بينهما. فعالم الكيمياء يهمه ان يعرف لماذا تتصرف العناصر الكيميائية تصرفها المعروف. كيف يحترق الايدروجين وكيف تحصل التفاعلات الكيميائية في أجسادنا؟ ونحن نعلم ان الجواب الشافي عن هذه الاسئلة وأشباهها يتناول عوامل كثيرة متنوعة. ولكننا نعلم كذلك ان لوزن الذرات في المواد المتفاعلة شأناً كبيراً. اوليس كان ذلك يجب أن يكون. والظاهر ان احساسنا هذا صحيح التحقيق. فالعلماء يقولون ان وزن الذرات. اذا كان له أثر في التفاعلات الكيميائية فانه أثر لايكاد يكشف بالكواشف المعروفة. ولكن الفرق الكيماوي بين تفاعل ذرة البروتيوم وذرة الديوتيريوم يسهل كشفهُ بنسبته اما وزني الذرتين. فالماء الذي يصنع من الايدروجين يختلف في درجة غليانه عن الماء المصنوع من ايدروجين. ثم ان تفاعلاً كيميائياً يدخل فيه أحد الصنفين يختلف سرعةً عن نفس التفاعل اذا ابدل فيه احد الصنفين بنظيره. وقد يكون هناك فروق بيولوجية ناتجة عنهما. فالفئران التي تحتوي على مواد يكثر فيها ايدروجين في تركيبها قد لا تستطيع الا ان تكون بطيئة او لا تستطيع ان تعيش قط فهو في جسمها بمثابة السم. فهذا الايدروجين الثقيل كأكثر المكتشفات العلمية في استهلالها لا يمكن ان نحكم عليه حتى يتعمق العلماء في درسهِ وكشف أحواله وخواصه

فيصل بن الحسين

آثار مبعثرة تدل المنقبين على القصر الشامخ

للدكتور عبد الرحمن شهبندر

وزير خارجيته في دمشق

رآني صديق لي في الاسكندرية في مساء الجمعة الواقع في اليوم الثامن من ايلول (سبتمبر) الماضي والجزع آخذ مني مأخذه لنبأ الفاجىء الذي انتشر في الشرق ينعى فيصل بن الحسين فأخذ يعزيني قائلاً هوّن عليك فالراحل سيعرف الناس فضله بعد مماته . ولكن كلامه هذا وما فيه من الاشارة الى الدعايات الباطلة التي كانت تثار على الراحل العظيم زاد في جزعي وفي ألمي لانني اعتقد انها طعنة في صميم الرجل ألاّ يعرف الناس فضله الاّ بعد مماته؛ وان الطموح المبني فقط على التقدير بعد الموت هو طموح مقعد وان صاحبه عيٌّ في القول كلٌّ في العمل تنقصه الكياسة والحكمة والشجاعة . ولكن فيصلاً لم يكن من هذا النوع من الرجال فقد شقّ طريقه الى المجد في صخر من العداوات الجنسية والدعايات الوهمية والعقبات الاستعمارية حتى رأى نفسه على قمة قضية سيكون لها في تاريخ العالم الحديث اخطر الآثار ، وما زال يعلو وينبسط حتى اصبح الذين كانوا يملأون الصحف بتسويد صحيفته يحبرون اطول المقالات في التغني ببياض جبينه الناصع

هذا هو فيصل بن الحسين الذي نعاه الناعون بسكتة قلبية في مدينة (برن) من سويسرا في الصباح المبكر من ذلك اليوم المشؤوم، فكان لنبئهم هذا صدًى يتراجع انينه بين شواطىء المحيطين — المحيط الهندي والمحيط الاطلنطي — ذلك لان في تلك الاصقاع المترامية الاطراف اممًا متعبة تنظر اليه والى الافذاذ من امثاله « نظر الغرق الى الساحل » . وليس في قصدي ان اتناول بالبحث حياته الواسعة فأحصرها في بضع صفحات لأنه من الظلم الفاحش الذي تأباه الطباع الحرة ان يحصر المرء الاسدّ الهصور في السجن الضيق ، وانما اريد ان اكتب عنه من الشذرات ما يلقي نوراً على دخيلته خصوصاً ما عرفته منها بنفسي . والآثار الصحيحة ولو كانت قليلة ومبعثرة تدل المنقبين على البناء الشامخ الذي يفتشون عنه بين الانقاض

تفسر لنا البيئة التي نشأ فيها معظم خصاله خير تفسير ، فالبداوة التي قضى في احضانها شطراً من صغره تعلل لنا البساطة التي لازمته من خندق الثورة حتى عرش الملك والتي كانت منار الاعجاب به ، لان بساطة العظيم ضرب من العظمة لما تتضمنه من احتقار الدنيا ، والذين

تتقسمهم العشيرة الحقة يطلبونها عادةً في الاهبة والعبدية، فقد ولد المليك الراحل في مكة في سنة ١٨٨٣، وفي نحو السادسة من عمره ارسل الى قرية (وحاب) بالقرب من (الطائف) حيث قضى ست سنوات يتخلق بأخلاق البدو من شظف عيش ومواجهة طبيعة ومقارعة السنان، وفي الثانية عشرة من عمره سافر الى (الاستانة) مع والده فاتصل هناك بالحلقات العظامية التركية وتلقى العلوم على اساتذة خصوصيين، وظلّ فيها الى ان رأى بعينيه الانقلاب العثماني في سنة ١٩٠٨ والحملة الشعواء المغرضة التي حملها بعض فتيان الترك على الموظفين العرب في العهد الحميدي

ومن اهم ما نعنى به ان نحيط بالروح التي كانت متجلية في البيت الذي ترعرع فيه، لان الالفاظ التي ينطق بها الآباء في احاديثهم البيتية متى كانت صادرة عن عقيدة في النفس تركت اثرها في الابناء مهما كانت طباعهم، وقد اتيح لي في الاشهر التي اعقبت الانقلاب العثماني ان اطلع بصورة خاصة على نزعة رب البيت الهاشمي الشريف حسين بن علي والد الفقيد، فقد كنت في الهيئة المركزية لجمعية الاتحاد والترقي في سورية، وكان معنا من الاعضاء المرحوم عبد الرحمن باشا اليوسفي امير الحج، فلما جاءنا الخبر من المركز العام في سلانيك بأن النية متجهة الى نقل الشريف حسين باشا من مجلس الشورى في الاستانة الى مكة ليكون شريفاً على الحجاز حمل الباشا اليوسفي عليه حملة منكرة فذكر طموحه الذي لا حدّ له، وعما قاله انني لاخشى اذا صار اليه الامر ان ينسلخ الحجاز عن المملكة العثمانية وتصاب خلافة آل عثمان في الصميم. ودلت الحوادث التي اعقبت هذا الكلام على شيء من هذا الطموح، وقد عثرت مع احد الموظفين السابقين في احدى الدول العربية على وثائق انكليزية سرية تشير الى هذا الامر وتشرح زيارة سمو الامير عبد الله الى القاهرة قبل الحرب والاسباب الداعية الى هذه الزيارة وما جرى فيها من الاحاديث. فهل كان في الامكان يا ترى ظهور هذا الطموح على مسارح السياسة العملية لولا تلك النزعة الطورانية العنيفة التي ظهرت في الترك من بعد الانقلاب في سنة ١٩٠٨؟ ولو لم يجد هذا الطموح من اضطهاد الترك للقومية العربية منبهاً وحافزاً لما استطاع ان يجد الانصار الكافين لبروزه الى حيز الوجود، وقد ذكر الحسين بن علي في المنشور الذي اعلن فيه الثورة العربية في حزيران (يونيه) من سنة ١٩١٦ ان في مقدمة الاسباب التي حملته على الانتقاض المشانق الغالية التي نصبها جمال باشا في سورية — فطموح البيت الهاشمي والمظالم الاتحادية تحلل لنا الجوّ الذي نشأ فيه المليك الراحل

ثم لما اعلنت الحرب العالمية عدّها الاتحاديون فرصة سانحة لتطبيق مناهجهم السياسي فكشروا عن نابهم وهاجمونا مهاجمة عنيفة في عقر دارنا مهدوا لها السبيل بالدعايات التي تجوز على اهل العقائد الوهمية. حينئذ اتخذ الطموح في البيت الهاشمي وجهة قومية صريحة لا مواربة فيها، وقد تجلت لي على اتم مظاهرها يوم قابلت المليك الفقيد في بيت المرحوم عطا باشا البكري

في دمشق الشام في صيف سنة ١٩١٥ ، ويجب ان تكون هذه المقابلة قد تمت عقيب اول رسالة دارت بين الحسين بن علي وبين السير هنري مكماهون للاتفاق بين بريطانيا والعرب وتاريخها شهر تموز — يوليو — سنة ١٩١٥ ، ودار الحديث بيننا حول القضية العربية ومظالم الاتحاديين والعلاج الشافي من تلك الاوصاب ، وقد بدت لجميع من اختلوا به من العاملين روح الثورة على وجهه . ولكن الضغط يومئذ كان يتطلب منتهى الحذر في المتكلمين والمستمعين لان اقل بادرة تبدر من المرء تكفي لجره الى المشنقة ، وقد اشار الى هذه الاجتماعات في خطاب القاه في دمشق بعد عودته من مؤتمر الصلح بقوله «قام والدي بهذه الثورة بعد ان انيبت الى سورية وواجهت بعض الرجال وعدت من مجيئي الى دمشق ان الافكار السورية بأجمعها متجهة نحو الاستقلال» . هذه نبذة مختصرة تدلنا كيف نشأت في نفسه الميول الثورية وتدرجت تدرجاً عملياً ، فنتساءل كيف استطاع ان ينجو بنفسه من طاغية الاتحاديين احمد جمال باشا ويمثل اخطر ادوار الثورة ولا سيما بعد ما جاءت التقارير الرسمية السرية من بصرى باشا حاكم (المدينة) وفيها ايقاظ الحكومة من غفلتها وتلبيبها الى الطوارىء الخطيرة المتوقعة من الحجاز

وفي الجواب عن هذا السؤال ما يدل على ناحية اخرى من نواحي التقييد وهي مقدرته السياسية وحنكته وغزارة حيلته ، فقد اتفق مع والده على ان يجيء الى دمشق بمهمة ظاهرها تقديم جيش من متطوعة الحجاز لمساعدة الجيش العثماني الرابع في هجومه الثاني على مصر وباطنها درس الاحوال في سوريا عن كثب والاطلاع على خطط الحكومة الاتحادية نحو العرب والاتصال بالعاملين من ابناء البلاد . فلما اشتدت المظالم الاتحادية واصبحت لا تطيقها الانفس الابية ابتكر طريقة للنجاة من ايدي الطغاة فاقترح على جمال باشا ان يرسل وفداً لاستقبال الجيش الحجازي وان يكون هو — فيصل — على رأسه فتقبل الطاغية اقتراحه ، فلما بلغ الوفد المدينة واتصل فيصل بالجيش الذي اوفده والده اليها اشار على الاعضاء الترك ان يعودوا الى جمال باشا ليتفقوا معه على طريقة نقل الجنود الى سورية ، واتخذ هو هذه الفترة فارسل الى دمشق رجالاً من السوريين لينقذوا من بقي فيها من ابناء عمه الحجازيين واصدقائهم من الوطنيين . اما انا فكنت وصديقي المرحوم توفيق الحلبي قد سبقنا الى معرفة الخطر المداهم فنجونا بانفسنا بطريق البادية الى العراق وبقينا حيناً في مصر قبلما اعلنت الثورة العربية في مكة والمدينة

اخذ الملك الراحل على عاتقه قيادة جيش الثورة الشمالي فسار على ساحل البحر الاحمر وغادر (المدينة) محصورة يحيطها اخواه الملك علي والامير عبد الله ، وما زال يسير موفقاً بين القبائل والمدن حتى دخل دمشق الشام في اليوم الاول من شهر اكتوبر — تشرين الاول — سنة ١٩١٨ ، وسيكون تاريخ هذا الجيش بداية تنظيم النهضة العربية تنظيماً عملياً حديثاً لان نخبة منتخبة من مثلوا اخطر الادوار في الاقطار العربية الشمالية فيما بعد تدربوا على الثورة في وحداته

وعملوا تحت لواء قائده. فمنهم جعفر باشا العسكري مثلاً فان رواية انضمامه الى الجيش العربي الناجح يجوز ان تتخذ نموذجاً للبواعث التي كانت تدفع بعض العاملين الى التطوع، فقد خدم جعفر باشا الدولة العثمانية في طرابلس الغرب وبرقه اثر خدمة الى ان وقع اسيراً بيد الانكليز على حدود السلوم فسجن في قلعة (محمد علي) في القاهرة حيث حاول الفرار من النافذة لاجل العودة الى القتال الاَّ انهُ سقط فكسر بعض اطرافه فنقل الى مستشفى الاسرى في (المعادي). هنالك اتيح لي ان اراه فاطلعهُ على جرائم احمد جمال باشا وزبانيته وكيف شنق النخبة المنتخبة من الرجال في اليوم السادس من مايو سنة ١٩١٦ فتحول جعفر باشا لهذه الانباء فجأة واقسم بشرفهِ العسكري ان ينتقم لاخوانهِ الشهداء وفي مقدمتهم سليم بك الجزائري، وقد برَّ بيمينهِ وبعد حين كان بين القواد البارزين في الجيش العربي الشمالي. ففي هذا الخبر الشخصي البسيط ما يكم افواه الذين قالوا ان الجيش العربي مجموعة افراد من المرتزقة

وفي هذا الجيش وما لابد فيهِ من الاختبارات المتنوعة والحاجات الشديدة الى المزايا العامة تكاملت خصال الراحل الكريم وانجلت نواحيهِ فكان القائد البارز الذي لم يفكر احد في منافستهِ تفكيراً جدياً، وان حدثت شبه حادثة من هذا النوع فلا يؤبه لها، ويرجع الى هذا الجيش الفضل الاكبر في تخفيف المظالم الاتحادية في سورية واخراج طاغية الاتحاديين من تلك الانحاء وتطهيرها من زبانيته وعماله. لا جرم انهُ لما دخل الشام استقبله اهل البلاد استقبال المنقذ وعدوه منحة من السماء جادت بهِ عليهم لتحقيق امانيهم القومية والانتقال بهم من ضيق الترح الى محبوبة الفرح

ولما عقد مؤتمر السلام في (فرساي) انتدبهُ والدهُ ليمثل الحجاز فيهِ فغادر سورية في اوائل سنة ١٩١٩ والتقى هنالك باعاظم الرجال وظهرت لهم مواهبه اذ كان يدافع عن حقوق العرب ويطالب بالعهود التي قطعها الحلفاء لوالده، وقد سئل يومئذٍ عن رجال السياسة والاثر الذي تركوه في نفسه فقال انهم مثل الصور البراقة المعلقة في الدهاليز يجب ألاَّ ترى الاَّ من بعيد، وكان الدكتور ولسن وعقيلته يكثران من النظر اليه وكثيراً ما قال الدكتور ان طلعته تشبه طلعة المسيح

ولما عاد الى سورية استقبل استقبالاً فخماً لم تعهد الشام مثله منذ زيارة الامبراطور غليوم وكان مما فعله ان نشر بياناً في الصحف قال فيه ان مبدأ الاستقلال قد تقرر وان لجنة دولية لاستفتاء الاهالي في مصيرهم ستؤم البلاد، وفي شهر اكتوبر (تشرين الاول) من تلك السنة تلقى دعوة من الحكومة البريطانية للبحث معهُ في الشؤون السياسية التي استجدت وذلك لان الانكليز والفرنسيين كانوا قد اتفقوا في منتصف شهر سبتمبر — ايلول — السابق على ان تنسحب بريطانيا بجيوشها من المنطقة الشرقية وتبقى الجيوش الفرنسية حيث هي في المنطقة الغربية

وعين الجنرال غورو بيرمشفر مندوباً سامياً على لبنان وسوريه واسير هربرت صموئيل على فلسطين . فركب الفقيد نسافة بريطانية اقلته الى اوربا فتأخرت على الطريق لعطل طرأ عليها قيل انهُ مفتعل بقصد التأخير حتى اذا وصل الى لندن يكون كل شيء من التفاهم قد تمّ بين الحليفتين. وكذلك كان الامر لان الدلائل دلت على ان الفرنسيين والانكليز وجدوا طريقة لاقتسام الاسلاب فلم يبق امامهم الاَّ تبليغ المنهوبين القرارات المتخذة بحقهم ، ويؤيد ذلك ما ذكره لي المستر تشارلس كرين رئيس اللجنة الاميركية التي أُمّت سوريةفي صيفسنة ١٩١٩ لاستفتاء اهلها في تقرير مصيرهم بقوله (اننا لما خرجنا من اوربا في مهمتنا كنا كلنا آمالاً كباراً فلما هدنا اليها كانت نفوسنا طافحة بالخيبة ، ذلك لاننا رأينا سورية قد بيعت في اثناء غيبتنا بيع السلع ... بيعت بآبار الموصل) ؛ وهذه الصفقة تمّت في مؤتمر ايلول (سبتمبر) المذكور الذي قرر ان تكون الموصل في منطقة الانتداب البريطاني ، وقد باعتها حكومة المسيو كلمنصو من غير ان تنتبه الى الثروة التي تفيض من احشائها فكان من نتيجة الغبن الذي اصابها تلك الحملة القاسية التي نزلت بالمسيو كلمنصو ورجاله

افهم الانكليز فيصلاً بصورة صريحة ان فرنسا اصبحت الآن صاحبة الشأن في سورية فعليهِ ان يتفق معها مباشرة وانهم لا يحجمون ان يكونوا وسطاء خير، فسافر الى باريز حيث اجتمع بالمسيو كلمنصو ودخل معهُ في مباحثات بسط له فيها حرص الامة السورية على وحدتها واستقلالها فكان من نتيجة هذه المباحثات وضع اسس الاتفاق (في ٦ يناير سنة ١٩٢٠) الذي اطلق عليهِ اسم « اتفاق كلمنصو — فيصل » وخلاصة هذا الاتفاق الوحدة الشاملة للعلويين وجبل الدروز، وجعل بيروت والاسكندرونة مدينتين حرتين ، وسحب الجيوش الفرنسية من سورية الى كليكيا فاذا اقتضى الامر استدعاء هذه الجيوش مرَّة ثانية فلا يكون ذلك الاَّ بطلب رئيس الدولة السورية واتفاقه مع المفوض السامي ، اما المستشارون الفنيون فيوضعون تحت تصرف الحكومة السورية ومنها يتسلمون وظائفهم ويستمدّون قوتهم التنفيذية بموجب عقود واذا حدث بينهم وبين الحكومة خلاف فقد اصرَّ الفقيد على ان يحل ذلك في مجلس الوزراء السوري لا في فرنسا كما اصرَّ المسيو كلمنصو ، وتكون دمشق عاصمة البلاد وحلب مقر المندوب السامي واللغة العربية لغة البلاد الرسمية

***

لقد اوردنا هذه الخلاصة لبيان الاسباب التي حملت الامير فيصلاً على قبول هذا الاتفاق وامضائهِ بالحروف الاولى من اسمه كما امضاه المسيو كلمنصو وكيف كان راضياً بهِ لكن دعاية شنيعة بثت عليه عند عودته فتراجع من غير نظام لانه كان لا يزال حديث عهد

بالشؤون السياسية والحلات المدبرة بالرغم من جميع تلك الاختبارات البالغة التي مرّت عليه، ولو أنه وقف موقفاً ثابتاً ودافع عن آرائه بمثل الطريقة المدبرة الحاذقة التي سلكها في العراق فيما بعد لوجد من المعتدلين انصاراً يؤيدونه ويقفون في وجه مناوئيه . ولا يدري احد ما عسى ان يكون التدرج في ديار الشام لو تم هذا الاتفاق وبقي فيصل السياسي الممتاز ملكاً على سورية . ومما لا شك فيه مطلقاً انه كان في نفسه راضياً عن هذا الاتفاق ولم يظهر لي ذلك منه في ابان زيارتنا فقط بل في بغداد أيضاً في سنة ١٩٢٦ فقد ذكره لي بشيء من الاسف الصريح وزاد أسفه للحالة المنكرة التي وصلت اليها سورية . ومما قاله للسير كلمنصو لفيصل عند البحث في هذا الاتفاق « ان هذا الشعر الشائب الذي تراه في شاربيّ وفوديّ قد ابيضّ من معاناة السياسة في هذه البلاد ، وانا لست استعماريًّا ولا اعتقد بالاستعمار . واني اعرض عليك معاهدة لن تجد سياسيًّا فرنسيًّا مسؤولاً من بعدي يعرض مثلها ، فتفكر في الامر ملياً وانا انتظر جوابك »

وفي عقيدتي ان هذه الحادثة واضرابها من الحوادث التي جرت في سورية فتقت ذهن النابغة الكبير وايقظت مواهبه ودلته على الطريقة التي يستعين بها لتأييد مذهبه ، والنابغة مثل الدليل الحاذق يحتاج الى شيء من التمرين العملي قبل ان يصير رائد القوم

لا جرم ان يقول ابناء سورية عن فيصل بن الحسين انه درس في الاستانة وتمرن في الشام وطبّق في العراق

وفي هذه الاثناء ارتأى بعض الوطنيين ان يواجهوا فرنسا بالامر الواقع فاشاروا عليه ان يعلن استقلال البلاد تحت لوائه وبتأييد صولجانه فوافقهم على ذلك، وفي اليوم السابع من آذار (مارس) سنة ١٩٢٠ اتخذ المؤتمر السوري قراراً باعلان استقلال سورية بحدودها الطبيعية وتمليك الامير فيصل عليها ؛ فاحتفلت الامة في اليوم التالي في دار البلدية بدمشق احتفالاً عظيماً باعلان هذا القرار ومبايعة جلالته ؛ وان انس لا أنس وقفته على الدكة يصافح المبايعين من « أهل الحل والعقد » واحداً واحداً ، ولولا كسوة الملك البراقة على جسمه النحيف وهو امام العرش لم تكن هيئته يومئذٍ لتختلف كثيراً عن هيئته لما رآه الكولونل لورانس لاول مرة في (وادي الصفراء) على طريق المدينة فقال عنه متنبئاً :— « وعلى الجانب الابعد من ساحة الدار الداخلية . . . . وقف شبح أبيض ينتظرني بلهفة وشوق ، ولما وقعت عيني عليه شعرت بانه الرجل الذي قدمت الجزيرة العربية في طلبه — شعرت بالزعيم الذي يستطيع تتويج الثورة العربية باكليل الظفر ، وظهر لي وهو بكسائه الحريري الابيض وكوفيته المعقودة بعقال ذهبي قرمزي لامع طويلاً جدًّا كالعمود ونحيفاً للغاية ، وكانت عيناه الدابلتان ولحيته السوداء ووجهه الشاحب اشبه بالقناع مسدولاً على جسمه المتنبه انتباهاً ساكناً عجيباً ، وكان متكئاً

ويداه على خنجره فسألني : هل أحببت مكاننا هنا في وادي الصفراء ؟ فأجبته نعم ، الاّ انه بعيد عن دمشق الشام ! (١)

وفي اليوم الاول من مايو (ايار) سنة ١٩٢٠ دعيت للاشتراك في الوزارة الاتية فقبلت وزارة الخارجية فيها فاتيح لي ان ارى جلالته يعمل في أعصب الاوقات وقد كان على اتصال تام بعلائق الدولة الخارجية الآخذة في النمو ، واذكر هنا حادثة تدل على ما تحلّى به من الموهبة السياسية وكيف كان سبّاقاً الى رؤية الخطر المداهم ومحيطاً بالقواعد الاساسية التي تسير بموجبها الشؤون من غير ان يغرق في التفاصيل ويرتبك بالشؤون العرضية الثانوية مشغولاً بها عن الامور الجوهرية الاولية. فقد كنا ذات يوم في مجلس الوزراء نعالج مشاكلنا مع الفرنسيس كالعادة ونسعى بكل ما اوتينا لدفع كارثتهم عن البلاد ولم يكن في الافق السياسي حدث جديد يدعو الى الاضطراب فدخل علينا الملك وعليه علائم الاضطراب والقلق كأنه يتوقع بلاء ثم قال اني لاخشى ان تسير أمور الدولة من الآن فصاعداً في الوعر وان تتكوّم العقبات أمامنا فقلنا ما الذي حدث فقال ان الفرنسيين عقدوا اليوم أمس اتفاق مع الترك وسيتفرغون لمعالجة القضية السورية لان اتفاقهم مع الترك يعني توفير جيوشهم في الشمال لمحاربتنا في الجنوب . وقد صدق ظنه وجاءت النتائج طبق ما توقع لان الجنرال غورو حالما حصل على هذه الراحة في الحدود الشمالية تنمر وكشر عن نابه . ولو أوتي الملك الخالد حزماً على قدر فطنته وبعد نظره لتمكن من استغلال ضعف الفرنسيين لمصلحة سورية عند ما كان يعصرهم الترك عصراً يقطع الانفاس في جهات اورفة وماردين وعينتاب

ولما تنفس الفرنسيون الصعداء من بعد هذه الراحة اسرعوا فارسلوا انذارهم العدائي المشهور الذي قدموه يوم عيد جمهوريتهم ، ومن البواعث الكبرى التي حملتهم على هذا الطيش السياسي وما جرّ لسمعتهم الادبية من ضرر ، اعتقادهم ان فيصلاً عامل انكليزي وان وجوده في الشرق على رأس حكومة سورية هو اخفاق لسياستهم وانتصار للسياسة البريطانية. ولكن الشيء الذي لم يروه ورأيناه بعيوننا ولم يفسروه ولسناه بايدينا انه من بعد عودته من اوربا في المرة الثانية وخيبته من حلفائه السابقين كان اقرب الى الكولونل كوس والكولونل طولا ممثلي فرنسا في دمشق منه الى الكولونل ايستن ممثل بريطانيا ، وكانت النقمة في نفسه وفي نفس كل واحد منا على انكلترا لانكارها عهودها الصريحة في ساعة الشدة اضعاف ما كانت على فرنسا. والذي فات الفرنسيين ان فيصلاً هو وطني اولاً وسياسي ثانياً وقد اوضح هذا المعنى ايضاحاً يتم على ما في قلبه يوم قال لمحرر جريدة (الانفورماسيون) بتاريخ ١٢ شباط — فبراير — سنة ١٩١٩ « يجب الاّ تكون الاعانات التي تناولتها من انكلترا للمحاربة الى جانبها والى جانبكم

(١) Revolt in the Desert, p. 18.

حجة تتخذ عليّ لتصويري بصورة داعية انكليزي . . . يمكنكم ان تصرّحوا على رؤوس الاشهاد بأنني لا أعمل ابداً لا لانكلترا ولا لفرنسا بل للعرب وللعرب فقط »

وكان الملك شديد التأثر بكل ما عليه مسحة من الوطنية او يظن انه من عقيدة الوطنيين السليمة الى ان حلّت الكوارث آخذة بعضها برقاب بعض فتمرّن على التفريق في الوطنيات بين الاصلي والمقلّد والصحيح والباطل والنافع والضار حتى اذ صار ملكاً على العراق كان ثمرة يانعة . فمن دروس تلك الايام العملية ان الجنرال اللنبي ابلغه برسالة تاريخها ٢٧ نيسان — ابريل — سنة ١٩٢٠ باسم الحلفاء انهم اجتمعوا في (سان ريمو) وقرروا اعطاء الفرنسيين الوصاية على سورية والانكليز الوصاية على العراق باعتبارهما دولتين مستقلتين وطلب فيها الى الراحل الكريم بالحاح المجيء الى اوربا ليتمكن من بسط قضيته وقضية البلاد وخصوصاً حقوق ملكيته لانها لا تتقرر الاّ في مؤتمر الصلح وكانت الفرصى بين الحلفاء تفسح مجالاً كبيراً لظهور كياسته ومقدرته السياسية لو لبّى الطلب من غير تردد لكن دعاية عنيفة بثت عليه في المؤتمر السوري حالت دون اقدامه على السفر في الوقت الموافق ومضمون هذه الدعاية ان الملك مسافر لتنفيذ معاهدة سرية بينه وبين فرنسا !

***

وليس في الملك الراحل قابلية الاستبداد الاوتوقراطي بل ميزته البارزة هي الكياسة والسياسة وحسن التخرج، ولولا هذه الميزة ما استطاع العراق ان يسير الى الامام بمثل هذه السهولة ، والواجب الاّ يغرب عن بالنا ان البطولة في الرجال هي صفة نسبية تتعلق بالزمان والمكان ، فلو احللنا الملك الراحل محلّ موسوليني او احللنا موسوليني محلّه لكانت النتيجة هلاكاً محتماً ، ففيصل بطل في البيئة التي تتطلب مرونة ولباقة ودهاء وغاندي بطل في البيئة التي تتطلب اندثاراً وروحاً وفداء، ولو كان غاندي في سوريا او في مصر او في العراق واراد ان ينجي هذه البلاد بطريقته الروحانية من صلاة واعتكاف واندثار وعدم المقاومة الايجابية لباء بالاخفاق المريع . والدليل على بعد التقييد بومثذ عن الاوتوقراطية الموقف اللين الذي وقفهُ أمام هجمات المرحوم يوسف بك العظمة وزير الحربية ، فقد توترت العلائق بينهما قليلاً في اواخر عهد الحكومة العربية لان يوسف بك كان يتوسل بالشدة والملك كعادته كان يتوسل بالكياسة خصوصاً بعد ما تلقى من بعض الامراء العسكريين إحصاءً بالبنادق والمدافع والعتاد في الجيش العربي دهشنا جميعاً للنقص الذي يدل عليه . فبقينا مدة مشغولين باصلاح ذات البين لنحول دون استقالة وزير الحربية لان استقالته في تلك الايام العصيبة تدل الاعداء على عوراتنا ومواضع الضعف منا

وأخيراً قضي الامر ووقعت الحرب — ان صح أن تدعى حرباً — بين فلول جيشنا المسرّح وبين الآلاف المؤلفة من الجنود البيض والسود التي جمعها غورو ممثل أعظم دولة حربية لسحق أحدث دولة سلمية. وبعد ما خرقوا الجبهة حيث استشهد البطل يوسف بك العظمة في الصف الأول طوعاً واختياراً ، وقتل القومندان ارلابوس الاسرى العرب من فرقة مرزوق بك التخيمي في (ميسلون) ، دخلوا دمشق الشام في عصر الاحد الواقع في السادس والعشرين من شهر تموز — يوليو — سنة ١٩٢٠ أما الملك فكان في اليوم السابق قد غادر دمشق على سيارته الى قرية قريبة تدعى الكسوة ونحن تبعناه اليها في القطار ولم يتخلف من الوزراء إلا واحد أو إثنان، وعند ما قاربت الشمس أن تغيب هب نسيم عليل يحمل رائحة الشيح والقيسوم فأعاد ذكريات الثورة العربية الكبرى في نفس الملك وكان مستنداً الى الاحجار السود فقام ونزل الى خندق في الارض طبيعي وصار يتمرن على بندقيته كأنه جندي بسيط يستعد لقطوارى». ولما اظلم الليل قمنا الى المركبات التي أقلتنا وكانت واقفة في المحطة فتناولنا عشاءنا من خبز وكعك وتفاح معفن ! — منظر غريب ملك ورجاله وحاشيته يبيتون على الطوى وهم على آميال من عاصمة ملكهم وعاصمة البلدان العربية ! أين تلك المهرجانات أين تلك الاعياد أين تلك الاحتفالات أين رمضان بلياليه والبلاط بمدعويه ، أين تلك الاهازيج والزغاريد للفاتح العظيم منقذ سورية ؟ ومن حسن حظ الملك أنه «ديموقراطي» حتى بين «الديموقراطيين» تسوي في نظره الوسائد والاحجار وقطع اللحم وكسر الخبز والركوب في السيارة والمشي على الاقدام، وقد تعوّد في الثورة شظف العيش والمبيت على الطوى لادراك آمال وتحقيق أحلام

***

كانت في تلك الايام ثورة في العراق شغلت بال الانكليز ودلتهم على ان ادارتهم العسكرية القاسية في تلك الربوع محفوفة بالأخطار فقرروا ان يستفيدوا من المواهب العظيمة التي يتحلى بها من أخرجته قرنا من أحن البلاد اليه «بالحديد والنار» فعرضوا عليه تاج العراق، وكان الفضل الاكبر للمستشرقة «الخاتون» او المس «جرترود بل» في توجيه أنظار الانكليز اليه فسافر الى القطر الشقيق ونزل على الرحب والسعة بين أهله وإخوانه . واذا أردت ان اوجز سلوكه في بلاد الرافدين باعتباره ملكاً عربياً سياسياً تابعاً فاوجزه بالجملة الآتية: (لقد اتخذ فيصل على عاتقه في بغداد ان يخدم القضية الوطنية بمنعه قطع الحبل بين الوطنيين والبريطانيين الى ان يصير العراق قادراً على الدفاع عن نفسه). وقد نجح في هذه الخطة نجاحاً أثار الاعجاب ، ونظرة واحدة الى العراق وما حوله من الأقطار الشقيقة تكفي لجعل أبعد الناس شكاً أقربهم الى الايمان . ولم يكن فيصل من الملوك الذين يلتفتون الى اكتناز المال او يعنون بجمع الثروة، فما زرت العراق في سنة ١٩٢٦ علمت من المصادر الخاصة ان راتبه وافته يبلغ يومئذ خمسة وسبعين الف ربية

في الشهر يوزع نحو نصفهُ على المحتاجين من اهل وغرباء . ولما ذهب يوسف بك العظمة الى الجبهة للشهادة في سبيل الوطن استودع الملك فيصلاً ابنته الصغيرة فقام بخدمتها والعناية بشؤونها الى ان استقلت في معيشتها . وكان ممتازاً بين الملوك الشرقيين بقابليته للتجدد الصحيح والاخذ بمقتضيات النظريات الثابتة، وقد نشر قبيل وفاته حديثاً عن المرأة طريفاً تناقلتهُ الصحف وكان مثار اعجاب الاخصائيين من النقّاد الاجتماعيين

آخر جلسة بيننا وختام جلساته في الشرق

وفي مساء الجمعة الواقع في اول الشهر المنصرم (سبتمبر) تناولت بطاقة من القنصلية العراقية في الاسكندرية تقول ان صاحب الجلالة الهاشمية قادم في قطار الليل من القاهرة متنكراً وهو في طريقه الى اوربا ويريد مقابلتك . فلما اجتمعنا رأيت وجههُ شاحباً وجسمهُ هازلاً فاورثني القلق عليهِ لكن نوري باشا السعيد وزير خارجية العراق اخبرني ان جلالته لم ينم في الليلة السابقة سوى ثلاث ساعات وانهُ جاء على متن الطيارة الى القاهرة من غير راحة فركب القطار الى الاسكندرية وانهُ سيستقل الطيارة ايضاً الى اوربا بعيد الفجر. فخفّف هذا الحديث شيئاً من قلقي ورجوت ان يكون فيه التعليل الكافي للتعب البادي على محياه والشحوب الظاهر في لونهِ. وفي الخلاصة الآتية للحديث الذي جرى بيننا وهو وياللاسف آخر احاديثنا مايدل ايضاً على شيء من التدرج الخيري في الفقيد وعلى قابليته للاخذ بما تمليهِ التجارب وتقتضيه سياسة الدولة

جرى ذكر الفتنة الاشورية الاخيرة وكيف اذكى نارها الذين يسوءهم من المجاورين ان يسير العراق الى الامام وكيف بقيت الدول الاستعمارية حتى السنين الاخيرة تعتمد على الاقليات الدينية والنعرات المذهبية لاثارة الفتن فقال «ان مسألة تدعى المسألة الاشورية لم تعد من مسائل العراق» فقلت اريد ان احصل على جواب اطمئن اليهِ عما ذاع عن مظالم الجيش العراقي فطمأنني بما لم يدع شكّاً في نفسي حتى اذا حدث شيء من هذا القبيل يكون قد جرى على رغمه ، وتقاليد العرب في هذا الشأن لا تزال مقدسة مرعية الجانب . اما الذين حملوا السلاح وهددوا سلامة الامة فقال انهم لاقوا جزاءهم ، ثم رأيت من واجبي ان اؤيد الموقف وأظهر شعوري وشعور اخواني بما يدعم جلالته فقلت «ولئن جاز لاهل البسطة السياسية والتوسع الاقتصادي ان يتوسلوا بمثل هذه الوسائل الجنائية — من تحريك الاقليات الدينية — لتحقيق غاياتهم المادية فمن دواعي الحزن والاسى ان ترضى بعض تلك الاقليات ان تكون مطايا المنافع الاستعمارية الحقيرة ، ومن جادة اوربا ان تعترف بالامر الواقع متى كانت هنالك قوة تدعمه ، وان جواب مصطفى كمال باشا للورد كرزن في مؤتمر لوزان عن الاقلية اليونانية في الاناضول معروف لدى جلالتكم . ولنا عبرة بالغة من سيرة الملك امان الله فهو مصلح ومجدد وطافح بالاخلاص

ولكنه بدأ عمله معكوساً فبدلاً من ان يبدأ بالقوة ليباشر الاصلاح باشر الاصلاح من غير قوة فاخفق اخفاقاً مريعاً». هنا استوقفني الملك العظيم قائلاً ويكاد كل عضو في وجهه ينطق «كن مطمئناً فسترى جيشنا في العام المقبل مؤلفاً من اربع . . . . (وذكر كلمة لم تبق في بالي) وهو على اتم نظام وانحسن عتاد واهم لتحقيق الغاية الكبرى التي وضعناها نصب عيوننا». وقد سرّني هذا الجواب منه كثيراً لانه دلّني على ان هذه الاختبارات المديدة الأليمة اقنعته ان القوة ولو لم تستعمل هي شرط — في اكثر الأحيان جوهري — لنجاح السياسة والكياسة . ثم ذكر فلسطين فقال انها قلب البلدان العربية وموضع حرمتها واجلالها وذكر سورية بتلهف شديد ثم بدت على وجهه ابتسامة شرحت لي ما في اعماق نفسه وقال «لقد اعطتنا فرنسا عما اقدمت عليه في الفتنة الاشورية فرصة لفتح القضية السورية على مصراعيها وسيسمع العالم في الشهر الحاضر حجة العراق في الدفاع عن مصالحه ومصالحها المشتركة فهما قطران يتمم الواحد منهما الآخر» فقلت بل العراق من غير سورية قصر بلا باب وسوريا من غير العراق باب بلا قصر

ولما انتصف الليل قمنا وتصافحنا وكلنا أمل ، ولم يدر في خلدي ان تلك الجلسة كانت آخر جلساتنا وختام جلساته في الشرق

ومما لاشك فيه مطلقاً ان اطفاء الفتنة الاشورية بهذه السرعة وهذا الحزم زاده مقاماً في أعين اهل العراق وسائر البلدان العربية وقوّى الروابط بينه وبين رعيته فلما نزل به القضاء المبرم كان بالغاً ذروة المجد فلا عجب ان تصعق البلاد لنعيه المفاجىء وان يعد فقده كارثة عربية قومية من الطبقة الأولى

ان آخر جملة نطق بها وهو يجود بنفسه على فراش الموت قوله «أنا مرتاح . قمت بواجبي خدمت الامة بكل قواي، ليسرّ الشعب بعدي بقوة واتحاد» اما نحن فلسنا مرتاحين لأننا دفنا في اللحد الذي توارى فيه حساً ذهبيّاً عظيماً حشا على امر تحقيقه كل هذه السنين الطوال

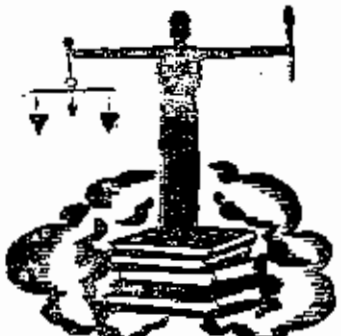

للشاعر علي محمود طه

قلبي !

كالنجم في خفق ورف ومض ... متفرداً بعوالم السدم
حيران يتبع حيرة الارض ... ومصارع الايام والامم
مستوحشاً في الافق منفردا ... وكأنه في سامر الشهب
هذا الزحام حياله احتشدا ... هو عنه ناء جدُّ مقترب
مترنحاً كالشارب الثمل ... ريان من بهج ومن حزن
نشوان من الم ومن امل ... مستهزئاً بالكون والزمن
تلك السماء على جوانبه ... بحرُ الحياة الفائر الزبد
كم راح يلتمس القرار به ... هيهات بين شواطىء الابد
تهفو على الامواج صورته ... وشعاعه اللماح في الغور
نفذت الى الاعماق نظرته ... فاذا الحياة جليةُ السر
ويمر بالاحداث مبتسما ... كالشمس حين يلفها الغيم
زادته علماً بالذي علما ... دنيا تناهى عندها الوهم
بلغ الروائع من حقائقها ... فاذا السعادة توأم الجهل
هتف المحدق في مشارقها ... ذهب النهار فريسة الليل
يا قلب : مثل النجم في قلق ... والناس حولك لا يحسونا
لولا اختلاف النور والغسق ... مروا بأفقك لا يطلونا
فاصفح اذا غمطوك إدراكا ... واذكر قصور الآدميينا
اتريدهم يا قلب املاكا؟ ... كلاَّ ! وما هم بالنبيينا !

ثم عالم في غيهِ يمضي مستغرقاً في الحمأة الدنيا
نزلوا قرارة هذه الارض وسموت انت القمة العليا

عبّاد اوهام وما عبدوا إلاّ حقير منى وغايات
ومناك ليس يحدّها الابدُ دنيا وراء اللانهايات

ولك الحياة دنىً وأكوان عزّت معارجها على الراقي
تحيا بها وتبيد ازمان وشبابها المتجدد الباقي

يا قلب : كم من رائع الحلك لقاك في بحر من الرعب
كم عدت منه بقبة الفلك وصرخت وحدك فيه يا قلبي !

ومضيت تضرب في غياهبه وترد عنك الماثج الصخبا
ترقب البرق المطيف به وتسائل الانواء والسحبا

وخفقت تحت دجاه من وجل كالطير تحت الخنجر الصلت
وعرفت بين اليأس والامل صحو الحياة وسكرة الموت

يا قلب : عندك اي اسرار ما زلن في نشر وفي طيّ
يا ثورة مشبوبة الثار اقلقت جسم الكائن الحي

حملته الصبء الذي فرقت منه الجبال واشفقت رهبا
وأثرت منه الروح فانطلقت تحسو الخميم وتأكل اللهبا

وملأت سفر المجد من عجب وخلقت ابطالاً من العدم
وعلى حديثك في فم الحقب سمة الخلود ونفحة القدم

كم من عجائب فيكَ للبشر اخذتهم منها الفجاءات
متنبئاً بالغيب والقدر وعجيبة تلك النبوءات

وعجبت منك ومن اباتك في ... اسر الجمال وربقة الحب
وتلفت المتكبر العلف ... عن ذلة المقهور في الحرب

يا حرُّ : كيف قبلت شرعته ... وقنعت منه بزاد مأسور
آثرت في الاغلال طلعته ... وأبيت منه فكاك مهجور

فاذا جفاك الهاجر الثاني ... وقسا عليك المشفق الحدب
فاضت بدمعك فورة الكاس ... وهفت بكفك وهي تضطرب

وفزعت للاحلام والذكر ... تبكي وتنشد رجعة الامس
ووددت لو حكمت في القدر ... لتعيد سيرتها من الرمس

ووهمت ناراً ذات اعاض ... فبسطت كفك نحوها فزعا
مرت بعينك لمحة الماضي ... فوثبت تمسك بارقاً لمعا

وصحوت من وهم ومن خبل ... فاذا جراحك كلهن دم
لجت عليك مرارة الفشل ... ومشى بحزنٍ وتبنك الالم

والارض ضاق فضاؤها الرحب ... وخلت، فلا اهل ولا سكن
حال الهوى، وتفرق الصحب ... وبقيت وحدك انت والزمن

وصرخت حين اجنّك الليل ... متمرداً تجتاحك النار
وبدا صراعك انت والعقل ... ولأنتما بحر واعصار

ما بين سلمكما وحربكما ... كونٌ يبين ويختفي كونُ
وبنيتما الدنيا وحبكما ... دنيا يقيم بناءها الفنُّ

مصطلحات علم النفس

ومشكلة تعريبها ونقلها الى العربية

للدكتور مظهر سعيد

استاذ علم النفس في معهد التربية وكلية اصول الدين

مقدمة في نشأة علم النفس وتطوره

لو نظر الانسان بعين الانصاف الى كل علم من العلوم الانسانية . من حيث نشأته وتطوره وتقدمه في ميدانه . وما وصل اليه في حاضره وما يرجى لهُ في مستقبله . ثم مبلغ اثره في الحياة وتقدم العالم . وقابل بينهُ وبين سائر العلوم . وحدد لهُ قيمتهُ النسبية ليحلّهُ بينها محله اللائق لما وسعهُ الاّ ان ينظر الى علم النفس الحديث غير نظرته اليها جميعها . فهو على حداثة عهده وصغر سنه من اجلّها شأناً واقدمها تاريخاً واعرقها اصلاً واسرعها سيراً نحو الرقي واعمقها اثراً في حياة الافراد والجماعات واكثرها انتاجاً — الاّ انهُ على الرغم مما وصل اليه في مادته وموضوعاته ومباحثه من الدقة والنظام فهو من حيث اساليبه وتراكيبه ومصطلحاته لايزال اقلها دقةً ونظاماً وتحديداً للمعنى وربطاً للفظ . واصعبها في النقل ليس من اللغات الاجنبية الى اللغات الشرقية — وخاصة العربية التي لم تعرف شيئاً عن هذا العلم الحديث قبل القرن العشرين — فحسب بل ومن لغة اجنبية حية الى لغة اجنبية اخرى . حتى دعت الحال في اوربا الى عقد مؤتمر عام منذ سنين قلائل للنظر في تحديد مصطلحاته او وضع مصطلحات لاتينية ثابتة تعمم في كل اللغات اسوةً بالطب وغيره من العلوم ذات المصطلحات المضبوطة . ذلك لانهُ نشأ في فجر التاريخ مع الانسان الاول بين احضان امه الفلسفة . وقضى طفولته سابحاً في سماء الخيال مخترقاً حجاب المادة . فكان يحدّثنا عن الروح والنفس وملكاتها والعقل ودرجاته والالهام والوحي والفطرة . وغير هذه من الامور التي شغلت عقول الفلاسفة وافهام جبابرة المفكرين حيناً من الدهر ثم ثبت بطلانها وعفت آثارها ولم يبق لها شبر واحد في ارض العلم الحديث . وظلّ في حداثته يتبع اثرها اينما سارت في ميدان الدين والاخلاق والمنطق والجمال والمعرفة تارةً . والطبيعة وما وراءها تارةً أخرى : وكان طبيعيًّا أن يستخدم في لغته التي يعبر بها المشتغلون فيه من الاقدمين عن آرائهم بنفس ما لهذه العلوم من أساليب وتراكيب ومصطلحات . وان تبقى لهذه المصطلحات معانيها الفلسفية وصيغها القديمة ما دام قاصراً في كنف الفلسفة .

وما وافى القرن التاسع عشر على تمامه حتى كان قد بلغ أشده. وظهرت شخصيته وتحرر من نير امه الفلسفة الكلاسيكية واتخذ لنفسه طريقاً خاصة للبحث . ووسائل للتنقيب والتعليل . وتناول مصطلحاته القديمة بين التهذيب فاحتفظ بمدلولات بعضها ومعانيها وحوّل البعض الآخر تحويلاً اخرجها عن معناها القديم . وأخذ يتبوأ مكانته من العلوم الاخرى على مهل في اسلوبه الجديد. واذا به يطفر في القرن العشرين طفرة واحدة يزاحم فيها الطبيعة والكيمياء وعلوم الحياة يأخذ منها مبنمها وجهازها وآلتها . ومن الرياضة طرقها وأساليبها واقيستها ومعادلاتها. وامتدت يده الى التجارة والصناعة والفن والعلم والطب والادب والاجتماع والتقدم والاختراع . وحلّ ضيفاً على موائدها يتخير من ألفاظها ومصطلحاتها وأساليبها ما يوافقه فيضمه الى قاموسه وموسوعته . وكثر الباحثون وتعددت المدارس وتشعبت نواحي البحث وظهرت الى عالم الوجود مظاهر جديدة للعقل لم تكن معروفة من قبل . بادر العلماء الى وضع مصطلحات جديدة لها لم توضع في قواميس اللغة بعد . حتى صار لكل عالم وكل مدرسة مصطلحات جديدة لا يفهمها غير الدارس لمباحث هذه المدارس . المتتبع لتطورات العلم . وكذلك صارت لغة هذا العلم خليطاً غريباً من كل صنف من فلسفي قديم ينوء تحت عظمة مجده وتاريخه القديم . الى دخيل من علوم اخرى لم ترد عاريته بعد . الى حديث لم يجف مداده

وغرضنا في العجالة الآتية ان نعرض نماذج تخير لها من ألوف مصطلحات هذا العلم في اللغة الانكليزية ومثلها كثير في كل لغة من اللغات الاوربية . يصعب تحديد معناها بكلمة عربية واحدة . ويشق نقلها وتعريبها على المترجم الذي يعتمد على قواميس اللغة ومعاجمها والفاظها الثبتة فيها من غير ان يدرس كل فروع علم النفس دراسة محكمة مستفيضة ويتتبع تطور مصطلحاته . وأنا مدين بالفضل كل الفضل لزوجتي السيدة نظلة الحكيم سعيد في تحضير هذه النماذج ووضع القاموس التي سنتناول بعضاً منها في المقالات المقبلة ان شاء الله

اللغة

١ — كلمات تعطيها قواميس اللغة معاني متعددة . ويستخدمها الكتاب والادباء وكذلك علماء النفس بطريقة مضطربة غير محدودة تجعل فهمها وتحديد معناها عسيراً على الطالب المبتدىء والقارىء العادي والمترجم حتى اضطرّ الكثير من العلماء المحدثين الى اغفالها بتاتاً في كتاباتهم او تحديد معناها تحديداً يجعله واضحاً كلّ الوضوح اذا اضطرتهم الضرورة لاستعمالها فكلمة Feeling مثلاً تطلق على الاحساس (الحسي وغيره) والشعور الداخلي وما يتوقع حصوله والتأثر والانفعال والاعتقاد . وقد قصرها المحدثون على الوجدان او الشعور الباطن بالانفعال ومع هذا التحديد يضيفون عليها كلمة affection

٢ — كلمات لها علاوة على معناها اللغوي العام في علم النفس معنى آخر خاص بمدرسة

من المدارس تفهم به في جميع مباحثها ومؤلفاتها لا غير . فكلمة insight تفيد على وجه العموم وفي معظم مؤلفات علم النفس التعليمي معنى التبصر في عواقب الامور (او كما يقال القراءة بين السطور) والمعرفة عن طريق الالهام والوحي كمرادف لكلمة intuition — وبعد النظر — ولكنها في مدرسة جشتالت الالمانية الحديثة وحدها تفيد ادراك العقل لمعنى الموقف او التشكيلة Pattern التي تواجه الانسان من عناصرها التي تتكوّن منها — وبعبارة اخرى انتزاع المعنى النفسي من العناصر الشيئية حتى اصبحت هذه المدرسة تعرف باسم Insight School او Gestalt

٣ — كلمات معناها اللغوي العام لا يدل على معناها السيكولوجي الخاص بوجه من الوجوه فكلمة Complex معناها العام معقد او مركب اما في علم النفس فتدل على مجموعة الانفعالات المكبوتة او التجارب المؤلمة والحوادث المنسية التي تنحدر الى اللاشعور فتكوّن هناك عقدة نفسية خطيرة تهدد كيان التوازن العصبي

٤ — كلمات بين معناها العام والخاص وجه شبه ولكنهُ ضعيف جدًّا لا يكفي لتوضيح معناها في علم النفس فكلمة Affection معناها العام مؤثر او فعّال . وتطلق بالمعنى الخاص على الامور الوجدانية (التأثر الوجداني)

٥ — كلمات لها في علم النفس معناها العام اذا ذكرت وحدها اما اذا ارتبطت بكلمة اخرى لها هي الأخرى معنى عام اصبح لها معنى خاص يدل على شيء معين بالذات فكلمتا Analytic تحليلي و Scale مقياس معناهما مجتمعتين Analytic scale مقياس خاص من المقاييس المقننة في علم النفس لتحليل الخط والكتابة فقط

٦ — كلمات تعتبر مترادفات في قواميس اللغة ولكن لكل منها في علم النفس معنى خاصًّا دقيقاً فكلمات Tendency و Disposition, و Aptitude, ومعناها كلها نزعة او استعداد. اما في علم النفس فكل منها يدل على استعداد خاص له مميزاته عن باقي الاستعدادات

٢ — الفلسفة

٧ — كلمات انحدرت الى علم النفس من الفلسفة ثم تغير معناها بتغير وجهة نظر علم النفس في الشيء الذي كانت تطلق عليه سابقاً . فكلمة abulia او aboulia تفيد الآن معنى ضعف النفس او تشتت الانتباه وكانت اصلاً في الفلسفة ضعف النفس وقت ان كان علماء النفس لا ينكرون وجود النفس

٨ — كلمات لها في علم النفس معناها الفلسفي واضيف اليها معنى آخر يكمل ما كشفهُ علم النفس من النقص في وجهة النظر الاولى فكلمة aesthetic بعد ان تغيرت وجهة النظر من الناحية الموضوعية او الشيئية في ادراك الأشياء الى الناحية النفسية الفاعلية على اعتبار ان

العقل لا الشيء ذاته هو الاصل في الادراك اصبحت تفيد : التقدير النفساني للجمال . او ما تراه النفس في الشيء من جمال بحسب تقديرها هي . لا جمال الشيء في ذاته بصرف النظر عن الناحية النسبية المتغيرة كما هو الحال في الفلسفة وعلم الجمال

٣ — المنطق

٩ — كلمات أخذت اصلاً من المنطق واحتفظت بمعناها ثم استخدمت في معنى آخر جديد لا صلة له بالمعنى المنطقي Anomalous معناها في المنطق : كل ما هو غير قياسي او خارج على القاعدة او شاذ . ثم من ناحية اخرى تطلق في علم النفس على الاشخاص الذين لا يتأثرون بالتونين الأخضر والأحمر بالذات من مجموعة الالوان بنسبة واحدة . وكذلك على نفس الالوان على اعتبار انها عرضة لهذا النوع من الخطإ في التمييز

١٠ — كلمات تشير الى عمليات عقلية لها في العصبين على وجه العموم اعتبار واحد . ثم تعدلت في رأي مدرسة من المدارس السيكولوجية . فكلمة Judgment كانت ولا تزال في معظم مدارس علم النفس تدل على الحكم بمعناه المنطقي (اثبات شيء لشيء او نفيه عنه) ولكنها في تعاليم مدرسة ديوى الحديثة لا تطلق الا على آخر مرحلة في التفكير او التعليل . فلا يكون هناك حكم الا اذا تضاربت الآراء في مسألة وفوضل بينها ثم اختير اصلحها . فجملة (الشمس طالعة) هي حكم في المنطق ولكنها لا تكون كذلك في رأي ديوى الا اذا كان فيها خلاف ثم ثبت طلوعها

٤ — الطبيعة

١١ — كلمات اخذت من الطبيعة والعلوم الفيزيقية . ثم حدد معناها لمناسبة جديدة او اعتبار لا تراعيه الطبيعة فكلمتا audiometer , accoumeter تدلان في الطبيعة على جهاز قياس حدة الصوت او السمع على حد سواء . ولكن في علم النفس التجريبي يقصر الاول على حدة السمع والثاني على حدة الصوت للتمييز بينهما

٥ — الطب ووظائف الأعضاء

١٢ — كلمات اخذت من الطب وتحولت الى معنى خاص ولا تزال تستخدم في الطب بالمعنى الاصلي الذي لا يحدد ما يقصده علم النفس الحديث . بل قد تتطور فيه من طريق آخر فيصبح لها معنى طبي جديد يخالف المعنى السيكولوجي . فكلمة acatalepsis او acatalepsia يقصد بها عامة نقصان العقل او عدم الفهم والارتياب — ومعناها الطبي الخاص التردد في تشخيص المرض . اما معناها السيكولوجي فاساءة الفهم او تشويش الادراك الذي يكون سببه الوظيفي سوء الظن والتشكك وضعف الاستعداد لقبول القضايا على علاتها والتسليم بالبديهيات

١٣ — كلمات تدل على ماهات عقلية او بدنية . اغفل معناها الطبي العنصر العقلي منها ولم يميزه عن العنصر الفزيولوجي او العضوي مع عظم شأنه . ولما كشفت المباحث النفسية الحديثة عن طبيعتها وردّتها الى الظواهر العقلية او طبيعة الاسباب النفسية (لا الموضوعية) تغير معناها فأصبح مخالفاً للمعنى الطبي . Accousmatogeusis يقصد بها الطب عدم تمييز الاصوات ذاتها اى المؤثرات الصوتية الفيزيقية من الناحية الحسية العرفية . من حيث الاصوات ذاتها او مسبباتها . أما معناها الدقيق في علم النفس فهو عدم القدرة على تمييز المدركات الصوتية مع سماعها وتمييزها بعضها عن بعض كمجرد اصوات . اي ان الصوت يسمع ويميز ولكن لا يفهم معناه ان كان جملة او كلمة فهو ضعف ادراك المعنى لا ضعف احساس بصوت

١٤ — اسماء الامراض العصبية التي تسببها اختلال البيئة والمدنية المتغيرة ويبقى معناها الطبي كما وضع اول مرة مشيراً الى سبب المرض كما شخصه وعرفه الاطباء قديماً . وكان هذا السبب صحيحاً في ذاته او كان هو السبب الوحيد وقتئذ ثم قل اجتهاد الاطباء في درسه وانتقل البحث الى ميدان علم النفس فوجد علماؤه من تطور اسباب هذا المرض ان السبب القديم قد زال وانقرض وحل محله سبب جديد من دواعي المدنية الحاضرة يستدعي تغييراً جوهرياً في رجعته او نقله الى العربية . والرجوع فيه الى التفسير الطبي او الكتب التي لم يدرس واضعوها علم النفس لا يفيد . فكلمة — amaxaphobia — معناها الاصلي عند بدء اشتقاقها ونحتها — الخوف من ركوب العربات (ذات الخيل مثلاً) . أما الآن فتفيد الخوف من ركوب وسائل النقل الميكانيكية التي يخشى سائقها ان تفلت قيادة الآلة من يده لسبب ما فيعرض نفسهُ للهلاك . او ادارة الماكنات والآلات التي يكون الانسان تحت رحمتها

١٥ — مأخوذة من علم وظائف الاعضاء وقد يقبل معناها العام كما هو ولكن يستحسن المحدثون ان يقصر معناها في علم النفس على ناحية خاصة . فكلمة aesthesia تطلق على جميع الاحساسات التي يقوم بها سطح الجلد . وتقصر الآن على الاحساس اللمسي الصرف (لا احساس الحرارة والثقل والألم)

٦ — اللغات الاجنبية

١٦ — كلمات من لغة اجنبية (هي في الغالب الالمانية) عمّ استعمالها في سائر اللغات الاوربية لانها تفيد معنىً دقيقاً يراد الاحتفاظ به . فكلمة anschauung مثلاً استخدمها يستالوتزي للدلالة على الادراك الحسي المباشر او معرفة الانسان للامور بنفسه مباشرة وبنى عليها طريقته في التعليم المباشر ومثلها Aussage تطلق على شهادة الشهود وتقرير الوقائع والتجارب التي تجري فيها

١٧ — كلمة من لغة اجنبية لها مقابلتها في لغة اخرى ولكنها تدل على معنى أدق من وجهة النظر السيكولوجية فتستخدم الاجنبية بدلاً من الاصلية فكلمة anxiety الانكليزية تستخدم عند الاشارة الى مجرد القلق النفسي او الحيرة فاذا قصد القلق الشديد المشوب بالخوف او توقع الضرر والاذى استخدمت كلمة angst الالمانية

١٨ — كلمات موجودة بذاتها في اكثر من لغة واحدة ولكنها لا تدل على نفس المعنى المحدود او تكون لها معانٍ مختلفة فكلمة Sentiment معناها بالفرنسية عاطفة وشعور ووجدان وميل واحساس . أما في الانجليزية فمعناها عاطفة لا غير

٧ — علم النفس

١٩ — كلمات كانت اصيلة في علم النفس لها معناها اللغوي العام ولكنها الآن اصبحت في حكم المقتصرة على معنى خاص عرفت به او اصطلح عليه او كثر استعمالها فيه فتدل عليه ولو ذكرت وحدها من دون تمييز . فكلمة achievement تفيد على وجه العموم : التحصيل او القيام بأي عمل تحصل منه نتيجة ويتحقق الغرض الذي قصد منه ولكنها أصبحت منذ زمن قصير وقفاً على التحصيل المدرسي او ما يحصله التلميذ ويتلقاه في المدرسة من العلوم كمرادف لكلمة Scholastic attainment . وكذلك الكثير من مركباتها تفهم منها الأمور المدرسية الخاصة ولو لم تذكر معها كلمة scholastic فعبارة achievement tests يفهم منها اختبارات التحصيل المدرسي — لقياس مقدار ما حصله كل تلميذ في سن خاصة أو فرقة دراسية على أساس المتوسط المتن المقدر لهذه الفرقة او التلاميذ الذين يكونون في هذا السن — لا مطلق التحصيل . وكذلك كلمة Eduction معناها العام انتزاع شيء من اشياء او استنباط رأي من مقدمات . ولكنها أصبحت الآن اذا ذكرت من غير تمييز تطلق على عملية استنباط العلاقات بين الاشياء والمواقف بناء على قوانين العلامة الانجليزي سپيرمان في الادراك

٢٠ — كلمات تختلف المدارس السيكولوجية في تحديد معناها وما تشير اليه . وقد تختلف كل معانيها السيكولوجية عن المعنى اللغوي العام . فكلمة affection تفيد لغةً الحنو او العطف الذي هو مظهر من مظاهر عاطفة الحب . وعند المدارس القديمة كلها المظهر الوجداني للوجود بكل حالاته من انفعال وعاطفة وتأثر وشعور باطني وتعبير خارجي . والمدارس الحديثة تقصرها على الشعور النفساني الداخلي بالانفعال لا على المظهر الخارجي الذي يبدو على الانسان وهو منفعل

٢١ — كلمات سيكولوجية لها معنيان عام وخاص قد لا يكون بينهما وجه شبه كبير فكلمة Presentation بالمعنى العام تفيد مطلق وجود الأشياء او المؤثرات او ايجادها امام الانسان حتى يتعلق شعوره بها . وبالمعنى الخاص في عبارة Presentation Theory تدل على

نظرية الادراك القائلة بأن حضور المؤثرات امام العقل يدفعه الى ادراكها اي ان الوجود الشيء هو اساس الادراك — المعارضة لنظرية Descartes النفسية

٢٢ — كلمات سيكولوجية بحتة ولكنها قليلة الاستعمال ولا توجد في قواميس اللغة ولذلك يحار الانسان في فهم معناها ان لم يكن قد تتبعها في البحوث الخاصة بها . فكلمة Perseveration تدل على ظاهرة رجوع العادة القديمة وظهور أثرها فجأة وفي فترات متقطعة غير منتظمة في العادة الجديدة التي يكتسبها الانسان كوسيلة للخروج عن العادة الاولى . لان النزعات والعادات القديمة اذا بطل استعمالها تحاول ان تثبت وجودها في قرارة النفس . وهذا المعنى فيه وجه شبه ضعيف بينها وبين الكلمة العادية القريبة منها وهي Persevorance أي المثابرة

٢٣ — كلمات متعددة وضعها علماء مختلفون في عصر واحد للدلالة على شيء واحد ولم يتفقوا بعد على تعميم واحدة منها . فالعلامة فرويد يستخدم كلمة libido وبرجسون كلمة élan vital وماكدوجل كلمة horme للدلالة على النشاط الغريزي الحيوي الذي يدفع الانسان الى كافة التصرفات الغريزية وان كان فرويد قد بدأ يقصرها على الغرائز الجنسية sexual

٢٤ — كلمات شائعة الاستعمال جداً في علم النفس والفلسفة والتربية ولكنها مع هذا ليس لها معنى واحد ثابت يمكن نقله الى العربية في كلمة واحدة لان كل مدرسة من مدارس علم النفس الحديث والقديم على السواء تفسرها تفسيراً خاصاً قد لا يتفق مع الأصل الذي اشتقت منه الكلمة لو اريد استخدامه عند الترجمة . فكلمة apperception استخدمها ليبنز بادىء ذي بدء للدلالة على الادراك الحسي الشعوري conscious perception وبعبارة اخرى ادراك الحقائق الاولية والضرورية (كذا) والافكار الواضحة في مجال الشعور — والفيلسوف كانت للدلالة على النشاط الذاتي او النفسي الذي هو في رأيه اكبر محدد للعمليات العقلية وخصوصاً عملية الادراك — وهربارت لتحديد الامور الشعورية الحاضرة عن طريق الشعور ذاته ، والعوامل الكائنة بالفعل التي تحدد ما يدخل الذهن من المواقف الجديدة — وفنط الالماني يجمع بين الرأيين فيعتبرها العملية التي بمقتضاها توضح لنا مدركاتنا القديمة مواقفنا الحاضرة الجديدة — وستاوت الانكليزي يضيف الى ذلك تنظيم معلوماتنا القديمة في مجموعات تسيطر على كل اعمالنا العقلية — والمحدثون وعلى رأسهم ماكدوجل يطلقونها على تثبيت المدركات الجديدة بعد اعطائها معنىً محدوداً بادماجها عن طريق التمثيل assimilation فيما يماثلها او يمت اليها بصلة من اجزاء كتلة المدركات القديمة

٢٥ — كلمات لها في علم النفس عدة معان خاصة كل منها يخالف المعاني الاخرى واستعماله

صحيح في كل حالة ويفهم معناه بما يشير اليه فكلمة induction تطلق في التفكير على الاستقراء، وفي الاحساس البصري على امتصاص مناطق الالوان في العين كلٌّ للون الذي يخصها وطرد الباقي وفي الجهاز العصبي على توصيل المجامع العصبية لبعض الرسائل ، وفي المشاركة الوجدانية على انتقال الشعور من فرد لآخر بطريقة غير محسوسة

٨ — كلمات جديدة

٢٦ — كلمات وضعها بعض العلماء حديثاً ولم تثبت في القواميس بعد . ولا يفهم معناها مباشرةً من اصولها اللاتينية او اليونانية التي اشتقت منها. فكلمة abience مثلاً وضعها هولت للدلالة على النزعة الطبيعية لتجنب زيادة التهيج العصبي الى اكثر من الدرجة المحتملة التي اذا تخطاها الانسان اختلّ نظام اعصابه . ولا شأن لها بالكلمتين aberance او abeyance اللتين تفيدان حالة الانتظار او الايقاف والوقف والعمل الموقوف

٢٧ — كلمات مركبة تدل على معنى خاص لا يفهم من منطوقها العام او من ترجمة اجزائها فكلمة actograph تدل على جهاز قياس النشاط الحيواني (للحيوان فقط وليس للانسان) — ولا تدل على تدوين الفعل او تسجيله كما يفهم من كلمتي acto و graph كل على حدة

٢٨ — كلمات جديدة اشتقت من كلمات قديمة معروفة باضافة مقطع اليها وتركيبها لا يفهم منه معناه الدقيق الذي وضعت الكلمة من أجله . فكلمة abreaction وضعها فرويد للدلالة على عملية انطلاق الطاقة الانفعالية المكبوتة للتنفيس عنها والتخلص من العناصر المصاحبة للتجربة المكبوتة السابقة التي تسبب قلقاً عصبياً لا شعورياً. ولا يقصد بها التصرف الشعوري الذي يكون الغرض منه الابتعاد عن الموقف الحاضر كما يفهم من الكلمة الاصلية reaction والمقطع الذي اضيف اليها ab

٢٩ — كلمات وضعت لتدل على طريقة خاصة او جهاز او تجربة وكان لا يفهم معناها من منطوقها وانما بدراسة موضوعها الخاص . فكلمة Foot-Rule تطلق على معادلة خاصة من معادلات سبيرمان الرياضية لقياس معامل الارتباط بين متغيرين . وكذلك كلمة affect وضعها العلامة الالماني فنط للدلالة على الانفعالات التي يصحبها تهيج بدني كبير واضطراب في العمليات العقلية

٣٠ — كلمات وضعت حديثاً نسبة الى علماء مخصوصين لتدل على طرق خاصة بهم فلا يفهم معناها الا بدراسة هذه الطرق فكلمة Freudism نسبة الى Freud تدل على طريقة هذا العالم الخاصة في معالجة الاضطرابات العصبية بالتحليل النفساني

أنشودة الفجر

لبشر فارس

أذّن الديكُ فهُبّي يا حبيبي من رُقادِكْ
واجمعي بالّيلِ للكوْ نِ وأصغي بفؤادِكْ
إنّ للكوْنِ صلاةً لم تقمْ عند اعتقادِكْ

***

ثمّ الجدْوَلُ فامتدّ م الصدى حتى حجابِكْ
هبهت ريح الصبا ثمّ توارت خلف بابِكْ
سقسق العصفورُ ما سَقْسقَ هماً في وسادِكْ

***

بثّت الزهرُ شذاها فاستوى طلّ إزارِكْ
نوّرت الشمسُ فأغضى قرنها دون ستارِكْ[1]
نوّر الوادي خجلٌ وحشة حول انفرادِكْ

***

أومأ الفجرُ أنِ الحسْنُ انتهى عند دلالِكْ
ردّد الكونَ صلاةً سرُّها سرّ جلالِكْ
يا حبيبي كلُّ ما في الكوْنِ من بعض عبادِكْ

(١) نورت الشمس نوراً : بدا قرنها

رسالة الاشعة الكونية

وهل هي ذرات او امواج

قيل ان درس الاشعة الكونية متفرد في علم الطبيعة الحديث بدقة مشاهداته، وعظمة نتائجه . فعلماء الطبيعة يعتقدون ان هذه الاشعة تنقل اليهم رسالة خطيرة . تكون حاملة في طياتها انباء تضيء العالم او اسرار بناء المادة في نواة الذرة . فهم لذلك معنيون الآن بحل الرموز التي كتبت بها هذه الرسالة الخطيرة

كيف يكشف عن الاشعة الكونية وكيف تقاس ؟ الطريقة الاولى هي قياس مقدرة الهواء على ايصال الكهربائية . ففي التجارب التي يجريها الاستاذ كمطن — وعنه لخصنا هذا المقال — تستعمل كرة من الصلب ، قطرها بضع بوصات يملأها غاز الارغون مضغوطاً ضغطاً عالياً . فالاشعة الكونية اذ تخترق هذا الغاز تجعله قابلاً لبعض الشيء لايصال الكهربائية . والتيار الكهربائي الضئيل الذي يخترقه يقاس بالكترومتر electrometer شديد الاحساس . ولكن الاشعة المنطلقة من الراديوم وغيره من العناصر المشعة، تفعل بالغاز فعل الاشعة الكونية لذلك تحاط كرة الصلب ، بغلاف كثيف من الرصاص لانه يحجب اشعة الراديوم واشباهها

فاذا اخذت هذه الكرة ، يحيط بها غلاف رصاصي، الى نفق عميق ، فالغاز الذي فيها لا يوصل الكهربائية قط . ولكن اذا ظلت الكرة على سطح الارض ، لوحظ ان تياراً ضئيلاً يخترقه ، ويمكن قياس هذا التيار . وسبب ذلك الاشعة الكونية . فاذا نقلت الكرة كما هي الى قمة جبل ، او رفعت في الجو بمنطاد ، زاد التيار الذي يخترق الغاز، وهذا يثبت ان الاشعة الكونية التي تفعل بالغاز فتجعله قابلاً لايصال الكهربائية اقوى في الجو منها على سطح الارض

وفي شهر يوليو سنة ١٩٣٦ ذهب الاستاذ كمطن وأعوانه الى بلاد بيرو لان فيها سكة حديدية تخترق الجبال. وعند اعلى نقطة تبلغها السكة الحديدية ، حفر نفق يخترق الجبل ويبلغ ارتفاعه ثلاثة اميال عن سطح البحر . فلما نقلت الكرة المصنوعة خاصة لقياس الاشعة الكونية بالطريقة المتقدمة ، الى داخل النفق كاد أثر الاشعة الكونية في غاز الارغون لايدرك حتى بأدق الآلات وأشدها احساساً. فلما خرجوا بها الى خارج النفق بدا أثر الاشعة الكونية جلياً في التيار الذي يخترق غاز الارغون

***

وثمة طريقة اخرى لكشف الاشعة الكونية تعرف بطريقة «انبوب الاحصاء» . وهذا

الانبوب كرة زجاجية — وقد تكون مستطيلة — يملأها غازلا يوصل الكهربائية في حالته السوية، فاذا فعلت به الاشعة الكونية اصبح موصلاً للتيار الكهربائي . ولكن بدلاً من ان يقاس التيار الذي يخترق الغاز بالالكترومتر ، يقوّى التيار مليون مليون ضعف ثم يمرّ في مكبر للصوت ، فكلما اخترقت الانبوب شعاعة من الاشعة الكونية سمعت نبرة معينة في مكبّر الصوت . والغالب انه اذا جربّت هذه الطريقة في احد المعامل الطبيعية العادية ، كان عدد النبرات التي تسمع في البوق تتباين من ١٠ نبرات الى ١٥ نبرة في الدقيقة الواحدة . واكثر هذه النبرات سببها الاشعة الكونية ، القادمة الينا من خارج كرة الارض، بل ليس يعلم احد عدد سني الضوء التي قطعتها في اجتيازها رحاب الكون

ومن اهم الصفات التي تتصف بها هذه الاشعة العجيبة قدرتها على نفوذ الأجسام . فنحن نعلم ان الاشعة السينية (اشعة اكس) تستطيع اختراق الاجسام المادية ، فتخترق كف الانسان او جسمهُ ، ولا تخترق عظامه فيبدو الهيكل العظمي في صورة للجسم صوّرت بالاشعة السينية . ولكن طبقة من الماء سمكها بوصة واحدة تحجب نصف شعاعة من اشعة اكس ، فلا تستطيع ان تخترق طبقة من الماء سمكها بوصةً مثلاً . ثم ان طبقة من الماء سمكها قدم واحدة تستطيع ان تحجب نصف شعاعة من اشعة غمّا . ولكننا نحتاج الى طبقة من الماء سمكها عشرون قدماً لكي تحجب نصف شعاعة من الاشعة الكونية . وهذه القدرة على نفوذ الاجسام المادية تمكنها من اختراق غلاف الارض الهوائي ، وسقوف المباني وجدرانها ، وتؤثر في الآلات المعدّة لقياسها ، مع ان هذه الآلات مغلفة بأغشية كثيفة من الرصاص

***

وقد اتجهت انظار العلماء والعامة ، الى خطورة البحث في هذه الاشعة ، لما اقترح الاستاذ ملكن نظريته الخاصة بتعليل اصلها ، من نحو سبع سنوات . فقد بنى الاستاذ ملكن على ان الاشعة الكونية تنشأ او تتولد في رحاب الفضاء بين النجوم اذ تتكون ذرات العناصر الثقيلة من ذرات العناصر الخفيفة . واتى بادلة تشير الى ان هذا التولد انما هو مرحلة واحدة من مراحل التكوّن والفناء في الكون ، سائرين في حلقة مفرغة

فيجدر بنا ان نقف هنيهة عند هذا الرأي ثم نتخطاه الى البحث في الآراء الاخرى التي اقترحت لتعليل نشأة هذه الاشعة

فقد بنى ملكن نظريتهُ على ان الاشعة الكونية هي اشعاعات كهرطيسية ، او فوتونات، من قبيل الاشعة السينية واشعة غمّا ، انما هي اقصر من هؤلاء امواجاً واشدُّ نفوذاً للاجسام. وكان هذا الفرض طبيعيًّا، لشدة نفوذ الاشعة كما قدمنا. ثم عمد ملكن الى الرياضة والطبيعة معاً

فقال ان اشعة لها نفس قدرة النفوذ التي في اضعف الاشعة الكونية ، يمكن ان تتولد اذا اجتمعت اربع ذرات من الايدروجين واتحدت فتكوّن من اتحادها ذرة من الهليوم. فالطاقة التي تنطلق من هذا الفعل هي في قوتها ونفوذها من رتبة الاشعة الكونية. لذلك اشار ملكن الى شعاعة من الاشعة الكونية بقوله ، انها « صراخ ذرة عند ولادتها » في رحاب الفضاء

وعلى هذا القياس ، قيل ان تولّد ذرات العناصر التي تفوق الهليوم في وزنها الذري — كالاكسجين والسليكون والحديد — ينشىء اشعة كونية من درجات متفاوتة في قدرتها على اختراق الاجسام المادية وان هذه الذرات ، بفعل قوى الجاذبية ، تتقارب فتتكون منها السدُم ثم النجوم . ثم ان السدم والنجوم تشع مادتها بتحولها الى ضوء وحرارة . وتنطلق الطاقة الشاعّة من السدُم والنجوم في رحاب الفضاء ، فتتحول في خلال رحلتها الطويلة ، الى بروتونات والكترونات ومن هذه الدقائق تتألف ذرات الايدروجين ، اذ لا يخفى ان ذرة الايدروجين بروتون واحد والكترون واحد. وكذلك ترى ان الكون بحسب نظرية ملكن يبتدىء من حيث ينتهي . فهو ازليٌّ ابديٌّ

***

فلما اخرج الاستاذ ملكن هذه النظرية ، قال السر جيمز جينز برأي يخالفها . قال ان الاشعة الكونية ، رسائل تنبىء بفناء المادة وتلاشيها ، لا بتولدها . واشار جينز في مباحثه ، الى انهُ اذا كانت الاشعة الكونية مؤلفة من فوتونات كالضوء والاشعة السينية ، وجب ان تكون اشد الاشعة الكونية نفوذاً ، مقابلة للطاقة التي تنطلق من اتحاد الكترون ببروتون لتوليد ذرة ايدروجين . ويذكر القارىء ان حساب ملكن اشار ، الى ان اضعف الاشعة الكونية نفوذاً يوافق الطاقة التي تنطلق من اتحاد اربع ذرات الايدروجين لتوليد ذرة هليوم . وهذا فرق كبير ، حمل جينز على ان يقول ويؤيد قولهُ بالحساب كذلك ، بأن اقوى الاشعة الكونية نفوذاً ، يقابل الطاقة التي تنطلق عند فناء ذرات الايدروجين نفسها . وعلى ذلك اتخذ جينز هذا الرأي دليلاً على ان الكون يتدرج انحطاطاً في مقدار الطاقة التي فيهِ ، الى حيث لا رجعى

ثم ان الطبيعي الفرنسي الشاب دوفيليه Dauvillier اقترح نظرية اخرى لتفسير اصل الاشعة الكونية . ولكن الاساس الذي تقوم عليهِ نظريتهُ ، هو ان الاشعة الكونية ليست مؤلفة من فوتونات ، بل انها الكترونات تنطلق من الشمس نحو الارض . فنظريتهُ قريبة بعض القرب من نظرية ستورمر Stormer الذي يعلل بها الشفق القطبي بالكترونات تخترق جوّ الارض من الفضاء خارجهُ . فدوفيليه يرى ان مناطق شديدة الكهربائية تنشأ على سطح الشمس ضغطها الكهربائي الوف الملايين من الفولتات . وهذه المناطق الشديدة الكهربائية ، تطلق

كهارب في كل النواحي . فيقترب بعضها من جوّ الارض ، فيؤثر في جوّ الارض المغناطيسي ويحدث الاضواء القطبية الباهرة ، التي تتركز عادة حول القطبين المغناطيسيين

ولعلّ أعجب الآراء التي اقترحها العلماء لتعليل نشأة الاشعة الكونية ، هو رأي الأب لمتر الطبيعي البلجيكي المشهور . فلا يخفى على قراء المقتطف ان الارصاد في مرصد جبل ولسن باميركا اثبتت ان السدم اللولبية البعيدة ، تبتعد عن الأرض ، وتبتعد بعضها عن بعض بسرعات تبعث على الدهشة . فتناول الاب لمتر هذه الحقيقة المشاهدة — اذا صحّ القول ان الحيود نحو الاحمر في طيوف السدم لا يفسر الاّ هذا التفسير — ونسج منها نظرية لتعليل الكون فقال ان الكون كان من ألوف الملايين من السنين ، مركّزاً في حيز ضيق ، ثم انفجر فجأة ، فانتثرت منهُ السدم ، فاخذت تبعد بعضها عن بعض ، وما زالت تبعد حتى الآن . ثم هو يقول ان الاجزاء التي انتثرت من الكون عند انفجاره ، لم تكن سدماً ونجوماً فقط . بل كان منها دقائق صغيرة جدًّا ، ذرات وكهارب وفوتونات وعندهُ ان هذه الدقائق المتناهية في الصغر ، التي ما زالت تجوب رحاب الفضاء من بداية الكون ، هي هي الاشعة الكونية

***

وقبل ان نتمكن من اختيار اصلح هذه النظريات لتعليل أصل الأشعة الكونية يتحتّم علينا ان نعلم ، هل الاشعة الكونية فوتونات — من قبيل الاشعة السينية واشعة غمّا — كما يقول ملكن وجينز ، او هي الكترونات كما يقول دوفيليه او هي مزيج من اشعة ودقائق مختلفة كما يقول لمتر

فمن نحو خمس سنوات جرّب العالمان الطبيعيان الالمانيان بوث Bothe وكولهرستر Kolhorster تجربة بطريقة « انبوب الاحصاء » اقنعتهما نتائجها بأن الأشعة الكونية هي دقائق مكهربة كهربائية سالبة . فاذا كانت هذه النتيجة صحيحة ، وجب ان نجد اختلافاً في قوة الأشعة الكونية في مناطق مختلفة على سطح الارض . لان الارض تفعل فعل مغناطيس كبير ، وهذا المغناطيس الكبير يجب ان يحرف الدقائق المكهربة اذ تنطلق نحو الارض . فالانحراف يجب ان يكون على أقلّ في المناطق المجاورة للقطبين المغناطيسيين وعلى اكثر في المناطق البعيدة عنها أي المناطق الاستوائية . وعلى ذلك فقوة الاشعة يجب ان تكون على اقلّها في المناطق الاستوائية لان الدقائق تنحرف نحو القطبين ، وعلى أشدّها قرب القطبين . وقد وضعت لامتحان هذه المسألة تجارب مختلفة فاسفرت عن نتائج لا يصحّ السكوت عليها . فعظم الباحثين لم يجد فروقاً حيث يقتضي البحث النظري فروقاً معيّنة . ولكن البعثة كلاي الهولندي قال انهُ وجد فرقاً في قوة الاشعة بين هولندا وجاوى

وكان من المهمّ ان يعرف هل ثمة اختلاف في قوة الاشعة الكونية في مناطق الأرض المغناطيسية المختلفة . فاذا لم يوجد اختلاف ما ، فالنتيجة التي وصل اليها بوث وكولهرستر

الالمانيان ، نتيجة خاطئة ، ولكن اذا وجد الاختلاف المتوقع ، دلَّ ذلك على ان جانباً كبيراً من الاشعة الكونية على الاقل ، مؤلف من دقائق مكهربة كهربائية سالبة

***

هنا دخل الاستاذ كمطن الميدان . امدَّ معهد كارنجي بالمال اللازم ، فانشأ هو واعوانهُ تسعة بعوث في خلال السنتين الماضيتين ، رحلت الى مواقع مختلفة على سطح الكرة الارضية لقياس قوة الاشعة الكونية . وكانت هذه البعوث تضمُّ في ادوارها المختلفة نحو ستين عالماً من علماء الطبيعة ، جابوا القارات جميعاً الاَّ القارة المتجمدة الجنوبية ، وينتظر ان يرحلوا اليها في الرحلات المعدَّة لما بقي من هذه السنة — فقد رحلوا الى المناطق الاستوائية والعالمين القديم والجديد وجنوب افريقية وزيلندا الجديدة . وفي رحلاتهم هذه تسلقوا قمم الجبال العالية ، جبال الانديس في جنوب اميركا ، وهمالايا في اسيا ، وقمة مكنلي في الاسكا ، حيث قتل الباحثان كارب وكوتن ، ولكنهما قبل مصرعهما كان قد حصلا على الارصاد الخاصة بهذه الاشعة على اعلى جبل بلغهُ الباحثون

فلما جمعت الحقائق التي اسفرت عنها مباحث هذه البعوث بوبوبت ، وجد ان قوة الاشعة الكونية قرب القطبين تزيد ١٥ في المائة عن قوتها في المناطق الاستوائية . ثم ثبت كذلك ان قوتها تختلف باختلاف خطوط العرض كما توقع القائلون بانها دقائق مكهربة . فلما نشرت هذه النتائج ، قال الاستاذ ملكن ان بعض ما فيها يختلف عن نتائج الارصاد التي قام بها هو واعوانهُ ولكنهُ عند اعادة النظر فيه ، سلَّم بأن ليس هناك فرق جوهريٌّ بين نتائج الفريقين

فيتضح مما تقدم ، ان جانباً من الاشعة الكونية على الاقل ، مؤلف من دقائق مكهربة . ولكن بعض الاشعة الكونية ، لا يتأثر بفعل الارض المغناطيسي . ثم ان مقاييس بيكار ورجنر التي قاما بها بواسطة بلونات حلَّقت الى مرتفعات عالية جداً ، ومقاييس بوث وكوهلرستر بواسطة « انبوب الاحصاء » ، تحملنا على الاعتقاد بأن جانباً يسيراً جداً من الاشعة الكونية مؤلف من فوتونات ، او هو والضوء سواء . ولكن قد يكون جانب منها مؤلف من ذرات ونوى ذرات العناصر الخفيفة

هذه النتيجة التي وصل اليها الباحثون بالمشاهدة والقياس الموضعي ، تتفق ونظرية الاب ليتر وهي ان الاشعة مؤلفة من أنواع مختلفة من الدقائق والاشعاعات . ولكن ذلك لا يفرض علينا ان نسلم معه بانه مازالت تحوب رحاب الفضاء من ازل الكون . وقد ذكر العالمان الاميركيان سوان وجني طرقاً تستطيع الشموس ان تولد بها هذه الدقائق الاشعاعات . وعليه فالوقت لم يئن بعد لكي نبني نتائج فلسفية عامة على مقام هذه الاشعة في الكون ومعنى الرسالة التي تحملها

الوراثة والمحيط

وأثرهما في العقل والخلق

للدكتور شريف عسيران

لنستعرض الآن آراء المفكرين في ما للاختبارات الماضية من الأثر في عقلية المرء وشخصيته. يقول شكسبير « تكاد العادة تغير طابع الطبيعة» ويقول باكون قولاً يشبهه « ان العادة وحدها تغير الطبيعة وتخضعها » اما بعض علماء السلوك الحديثين وفي طليعتهم وطسن فيذهبون الى ابعد من ذلك ويقولون ان كل الفروق العقلية والمزاجية ناشئة عن اختلاف اختبارات الناس والظروف التي مرت بهم ويقيمون للمؤثرات التي مرّت بالطفل قبل الشهر الثامن عشر من عمره وزناً كبيراً في نشأته . وقد بنوا اسسهم المذهبية على نظرية تأثر الفرد بالمؤثرات الخارجية. فاهي التغيرات العقلية والشخصية والمزاجية التي تتولد من اختبارات المرء الماضية ابان نشأته الاولى ؟ وهل من الممكن احداث عدة تغيرات سلبية من هذه الوجهة

ان ضربة على الرأس تجعل الذكي ابله احياناً . والمرض يضعف القوي ويساويه بأضعف الناس . والعلل التي تصيب المفرزات الداخلية بسبب كارثة او مرض تحط من همة الفرد وتغيره من حسن الى سيء ومن سيء الى اسوأ . فهل يحدث المحيط تبدلات ايجابية غير متولدة من مرض او عاهة او كارثة ؟ ولسهولة حل هذه المعضلة نفرض وجود جماعة من الناس متشابهين في عواملهم الوراثية مشابهة التوأمين وفي كل فرد منهم نفس العوامل التي في الآخر (ومن الممكن وجود فئة كهذه في الحيوانات السفلى فقط) فما تأثير المحيط في عقليتهم وشخصيتهم وطباعهم الخ ؟ ليس الانسان اداة محدودة بل هو شخصية ذاتية فيها قابليات وميول وفيها استعداد للائمة المحيط والتأثر به فيتأثر قسم من الجماعة التي افترضنا وجودها حالاً تأثراً دائماً وبعضها لا يتأثر فأيهما يتأثر وأيهما لا يتأثر يتوقف على الصدف لان منهم من يتعرض للمحيط فيتكيف وفقاً للتأثر ومنهم من لا يتعرض فيفلت من التأثير . فمختلف الافراد الذين يتعرضون للمحيط يتكيفون بتكيفه فكما ان سيرورة جرو الخرذون حيواناً مائياً او ارضياً يتوقف على الاحوال كذلك يتوقف تطور الفرد على المحيط الذي يعيش فيه . ويصدق حكم وطسن على جماعة كهذه فيها عوامل متشابهة. وهاك قوله : « كلّ اليّ تربية اتني عشر طفلاً اصحاء الاجسام حسني التكوين وأوجد لي عالمي الخاص وأنا الكفيل بأن اتعهد ايّاً منهم دون تعمد اختباره وامسّره اخصائياً كما اشاء طبيباً او محامياً او فناناً او تاجراً او زعيماً حتى متسولاً او لصاً الخ »

ان كل فرد من افراد الجماعة التي تصورناها يصدق عليه قول وطسن لان عواملهم متشابهة

فتكيف شخصيته بتكييف المؤثرات وتتلخص نظرية وطسن بهذه الجملة ان كل الفروق ناشئة عن اختلاف المحيط لا اختلاف العوامل الوراثية . ان بعض السلوكيين والمربين وعلماء الذين والمصلحين يذهبون هذا المذهب ولكن هناك ما يضعف قيمة نظريتهم. فقد كان من الممكن ان يكون لهما شأن لو ان البشر متشابهون في عواملهم الوراثية ولكن اختلاف العوامل يجعل تأثير المحيط مختلفاً كما بيّنا. وقد شرحنا تأثير المحيط في التوائم واثبتنا انهُ لا يمكننا الجزم في امور كهذه . فما هي الصفات التي تتأثر بالمحيط وما هو مدى تأثيرها ؟ تلك امور ترجع الى التسليم المبني على الاختبار فاختلاف المحيط يؤثر مثلاً في افراز الغدد الصمّ والافراز يؤثر في طباع المرء وسلوكه. فهل المحيط يولد الولد العاق والبار وينشىء الاعتماد على النفس او روح الاتكال. يقول علماء الوراثة ان العوامل الوراثية هي منشأ هذه الفروق والسلوكيون ينسبونها الى المحيط فهل المحيط هو الذي يخلق الرياضي والموسيقي والاديب والفنان ؟ هذا ما حير العلماء . ومما لا ريب فيه ان في بعض الاشخاص عوامل متنوعة فيها استعداد للرياضيات والموسيقى والادب وغير ذلك فالتي تتعرّض منها للمحيط الملائم لها يظهر أثرها في الشخص . وهناك فئة خالية من مثل هذه العوامل فتعرُّض افرادها للمحيط لا يجديهم نفعاً فلا يخلق فيهم الرياضي والفنّان والاديب رغماً عن وجودهم في محيط توافرت فيه هذه الفنون . ونتساءل الآن هل ميزة الملائمة للمحيط نفسها تحت تأثير المحيط اي هل اختلاف المحيط يجعل افراداً يتأثرون به وآخرين لا يتأثرون او من يتأثر قليلاً او من لا يتأثر على الاطلاق وهل هذا هو السبب في صيرورة الفرد نبيهاً او خاملاً والفرق بين من يتعلم سريعاً تعليماً جيداً ومن يتعلم ببطء تعليماً ناقصاً وهل محصل امور كهذه من اختلاف التهذيب والتدريب والاختبار ؟ وهل قول دوي Dewey «من الممكن للانسان اثناء تعلمه العادات ان يتعلم عادة التعلم» صحيح ؟ لا شك ان البشر يختلفون في مقدرتهم على ملاءمة المحيط والتكيُّف به باختلاف العوامل الكامنة فيهم غير ان ذلك لا ينفي ان في بعضها قابلية التأثر بالمحيط ولا نستطيع ان نصدر حكماً جازماً في هذه القضية فلكل من عوامل الوراثة والمحيط مقدار من التأثير ، فسرعة التعلم وبطؤها ، والفرق بين الذكي والبليد والقابل للتكيُّف وغير القابل له تتوقف على اختلاف القوى الطبيعية الكامنة في المرء

﴿اشتراك العوامل والمحيط﴾ تكلمنا فيما سبق عن أثر المحيط في جماعة عواملهم الوراثية متشابهة ورديئة وغير قابلة للتأثر فمن البديهي ان يكون تأثير المحيط في جماعة كهذه اقل كثيراً منه في جماعة ارقى منها . ان الشعوب البليدة هي التي تتأثر بالمحيط قليلاً فسلطة العوامل في مثل هؤلاء اقوى من سلطة المحيط . ولما كان عدم التأثر بالمحيط خلقة فيهم فتكون نتيجة مساعيا لتقويم اعوجاج فئة كهذه ضئيلة . يقول كارليل « يحاول الآلهة انفسهم عبثاً تحسين البلداء » ويقول سليمان الحكيم « اذا سحقت الاحمق في الهاون بمدقّة فلا يمكنك ان تزيل الحماقة منه » ولكن يوجد لبعض انواع البلادة دواء يستطب به قابله الناشىء مثلاً عن

اعتلال الغدة الدرقية يداوى باستعمال خلاصة هذه الغدة فيصير المصاب صحيحاً ذا موهبة سوية وليس فعل خلاصة هذه الغدد كفعل العوامل الطبيعية التي ترقع هذا الخرق دون واسطة. فالوسائط الخارجية تؤثر في الفرد مباشرة ولا تؤثر في نسله. ونستطيع ان نقول بوجه عام ان مختلف الكائنات تختلف اختلافاً كبيراً في تأثرها بالمحيط. فعقل الدودة يتكيف تكيفاً محدود وفقاً للظروف التي تحيط به وعقل الخنزير الهندي اكثر تكيفاً منها. ويكيف الكلب والهر نفسيهما لاعقد انواع المحيط. ومما لاشك فيه ان الانسان هو اقدر المخلوقات على هذا التكيف باختلاف انواعه ودرجاته فأكثر الحيوانات فهماً كالقرود والذئاب والثعالب والقيلة لا تجاري الانسان في هذه الموهبة موهبة اخضاع المحيط ولكن تختلف درجات هذا التكيف بين البشر انفسهم باختلاف عواملهم فالبلد من تكون فيه ملكة التكيف ضعيفة والعكس بالعكس. فمن كانت عواملهم ضعيفة يقل فيهم تنوع الصفات والشخصيات بخلاف من كانت عواملهم متفوقة فيكثر تنوع صفاتهم وشخصياتهم. فالمجتمع الموهوب بالعوامل الضعيفة ينشىء مدنية جامدة والعكس بالعكس. ان النوع البشري الحاضر مزيج من هذه العوامل الجيدة الحساسة التي تتأثر سريعاً والرديئة التي تتأثر قليلاً ومن هذه الفروق نشأت اختلافات البشر ومظاهرهم الاجتماعية. وينطبق المثال الذي ذكرناه سابقاً عن تلون النباتات الحمر والخضر وفقاً للمحيط ومن المناعة وعلاقتها بالمحيط، على مثل هؤلاء فلا حاجة الى التكرار. يظهر لاول وهلة ان المعارف المتنوعة والبراعة في الفنون والحرف غير خاضعة لهذا القانون ومع اننا ننظر اليها كامور لا علاقة لها بالعوامل الوراثية والمحيط وانها تتوقف على التعليم والتدريب فان للمحيط والعوامل الوراثية تأثيراً كبيراً فيها. ان سبب الفرق بين شخصين احدهما يتكلم الافرنسية مثلاً والآخر لا يتكلمها وبين فردين الواحد يجيد العزف على البيانو والآخر يجهله ناشىء عن التعليم والتدريب ولكن لو ساوينا بين شخصين في التعليم والتدريب لرأينا فرقاً عظيماً في مقدرتهما. فهذا الفرق ناشىء عن اختلاف عواملهما الوراثية فالعوامل الكامنة في الواحد حركته الى الاستفادة من الاختبارات والتجارب التي مرت به وعوامل الآخر لم تتأثر بهذه المؤثرات. فالفرق يسند حينئذ الى العوامل الوراثية. ان كثيراً من الفروق بين البشر الذين يتثقفون ثقافة واحدة يعزى الى اختلاف هذه العوامل وهي السبب في وجود مختلف انواع المحيط والاختبارات التي ينشأ منها تنوع الصفات

اما الفرق في المعرفة والبراعة في الاشغال بين الذين يتثقفون ثقافة مختلفة او في عصور تاريخية متفاوتة فيتوقف بوجه التقريب توقفاً كلياً على اختلاف المحيط فلا يستطيع احد ان يتكلم اللغة الفرنسية قبل وجودها ولا يستطيع العزف على البيانو قبل اكتشافه. ان الفروق الناشئة عن اختلاف انواع الثقافات العامة التي يتعرض لها البشر كبيرة جداً وقد أغفل علماء التناسل شأنها الخطير. ان الفرق الكلي بين الناس في القرن العشرين بعد المسيح وبين اسلافهم في القرن العشرين قبله غير ناشىء حسبما نرى عن اختلاف عواملهم الارثية

اذ لا دليل ان هذه العوامل تغيرت في النوع البشري فاختلاف مدنيتنا الحاضرة عن مدنية اسلافنا قبل عشرة آلاف سنة سواء أحسنا كان او سيئاً لم ينشأ عن اختلاف العوامل التناسلية بل عن اختلاف المحيط وكل فرق كبير في الثقافة كالفروق الموجودة بين مختلف الشعوب في العصر الحاضر منشؤه المحيط ومن الممكن تغييره دون ان تتغير العوامل الوراثية. ونفس الشيء ينطبق على التغيرات التي نشعر بها في مدنيتنا وانظمتنا الاجتماعية. ان المدنية بما فيها من علم واختراع وتقاليد وليدة العوامل الوراثية والمحيط وقد نشأ في الماضي فروق عظيمة في الثقافة باختلاف هذه العوامل. واختلاف المحيط يولد فروقاً عظيمة في الثقافة وستتغير نظمها في المستقبل ايضاً لانها ليست وليدة العوامل الوراثية فقط بل وليدة الوراثة مع المحيط. فلو اخذنا شعباً معروفاً بتاريخه وبلاده كالولايات المتحدة مثلاً فاننا نجد اختلافاً في درجات طبقات سكانها فهم يختلفون بمواهبهم واذواقهم وميولهم ونزعاتهم. فالعوامل الوراثية في شعب كهذا لا تحسب من النوع العاطل وهي قابلة التكيف بالظروف ونستطيع ان نطبق على شعب كهذا نظرية وطسن بأن نتشيء منه الطبيب والمحامي والفنان والمخترع والزعيم الى غير ذلك ولا يناقض هذا المذهب علم البيولوجيا بل يتفق معه كل الاتفاق. ولكن وطسن لا يستثني من حكمه الذين ليس عندهم قابلية التكيف وعلم البيولوجيا لا يقف هنا موقف الجازم وجل ما يقرره اننا اذا تعهدنا الشخص السليم منذ نشأته استطعنا ان نصيره طبيباً او محامياً او سياسياً الخ ويختلف الحكم باختلاف الاشخاص فبينا نرى البعض في المؤخرة نرى غيرهم في المقدمة فلو تعمدنا جعل الشخص طبيباً ومواهبه الطبيعية اميل الى التجارة فاننا نعدم التجار الماهرين واذا تعمدنا جعل المحامي طبيباً فقدنا الاطباء الحاذقين فعلينا ان نراعي الاشخاص ونترك لكل فرد ما خلق له. ولا يجب ان ننسب كل شيء الى الوراثة فان نسبتنا كل الصفات اليها اكثر ضرراً من نسبتها الى المحيط ويحمل الناس على ان يقللوا اهتمامهم بالتربية والعناية بالاشخاص لان الاحتكاك بالمحيط يظهر جوهر من فيهم عوامل جيدة فنسبة الصفات الى المحيط اخف ضرراً واكثر نفعاً لانها مشجعة للكثيرين ومثيرة لعزائمهم وتشجع الوالدين والمعلمين والمربين على التفاعل بالتربية والتهذيب

﴿درجة تأثير العوامل والمحيط﴾ هل اكثر الفروق العقلية والسلوكية ناشئة عن العوامل او المحيط. وهل هي وليدة التهذيب والظروف الاجتماعية من ثقافة وتقاليد وعادات وغيرها. مع اننا لا نستطيع ان نصدر حكماً عاماً لان الحكم يختلف باختلاف الاحوال فاختلاف عقلية العائلة الواحدة ومزاجها يتوقف على العوامل التناسلية اكثر منه على المحيط. وكذلك بين جماعة قليلة من الناس تحيط بها عوامل ثقافية واحدة كطلاب الكليات مثلاً. اما في الامة الواحدة كالامة الاميركية فللعاملين تأثير بيّن عامل الوراثة وعامل المحيط. والعامل الثاني أشد تأثيراً في الشعوب التي تختلف بثقافتها وتقاليدها اما الفروق بين عصر وعصر فالمحيط بما فيه من علم وثقافة وتقاليد واختراعات اعظم فعلاً من العوامل الوراثية ان الصفات العقلية خاضعة لنظام الوراثة فالفرد مزيج من شطر الام وشطر الاب وفي كلا الشطرين

عوامل صالحة وطالحة فاذا اتحدت العوامل الجيدة خرج الفرد سليماً عبقرياً واذا اتحدت الرديئة نشأ ممتلاً ابله وقد يكون في الجيد بعض الرديء والعكس بالعكس فنشوء الفرد يتوقف على الصدف. وفي كل امرىء صفات غالبة وكامنة فالغالبة هي الجيدة على الأغلب والكامنة هي العاطلة فقد ينبغ رجل من ابوين دون الوسط لان في كل شطر من عوامله الجيد والعاطل ويتفق ان تتحد عوامل الأم الجيدة بصنوها من عوامل الاب فينشأ الفرد عبقرياً . وهذا هو سر نبوغ بعض الشخصيات المنحدرة من عائلات متوسطة كلنكلن وشكسبير وغيرهما وهذه الحقيقة تتفق مع النظام الوراثي فان خروج الخاملين من نوابغ الآباء والنوابغ من الآباء الخاملين يؤيد مذهب الوراثة

والسر في ان الابناء يشابهون آباءهم اكثر من غيرهم والأقارب يشابه بعضهم بعضاً اكثر من الاباعد ناشيء عن الحقيقة الآتية : وهي ان عواملهم الوراثية متقاربة اكثر من الغرباء ولهذا تتشابه صفاتهم العقلية ومزجتهم وغيرها وفضلاً عن ذلك فانهم يعيشون في محيط واحد . فالابناء يشابهون آباءهم غالباً اكثر من البعيدين عنهم لان عواملهم الوراثية المنتقلة اليهم من والديهم متشابهة والاخوة يشابهون اخواتهم اكثر مما يشابهون ابناء اسرة بعيدة عنهم لان عواملهم الوراثية متقاربة فالوراثة تجعل بتمادي الايام شبهاً بين الآباء والابناء والاخوان والاعمام الخ وقد ايدت ابحاث غلتن Galton وبيرسون Pearson وترمن Terman هذه الحقيقة وهي ان الشبه في الصفات العقلية والمزاجية متقارب بين العائلات التي يمت بعضها الى بعض بنسب اكثر من العائلات المتباعدة . ويطول بنا المقام اذا اردنا سرد الاحصاءات الكثيرة التي تؤيد هذا الرأي . ومن اراد التوسع في هذا الموضوع فليرجع كتاب غلتون النبوغ الوراثي Hereditary Genius وابحاث تيرمان وودس وبرمهول في الوراثة البشرية Human Heredity ففيها الخبر اليقين واوواء الغليل . ولا يغرب عن بالنا ان العوامل الوراثية متساوية بين العائلات ولكن المحيط يختلف فلكل عائلة تقاليدها وعاداتها وميولها وغير ذلك من العوامل التي تكون لها محيطاً خاصاً . ومما لا ريب فيه ان المحيط عامل فعال في امور كهذه فالمحيط يختلف ولكن العوامل الوراثية تبقى متشابهة وتختفي احياناً بتأثير المحيط والاختبار . ولكن لا بد من ظهورها على مر الايام . فيتفق ان يخرج من الآباء المتفوقين بمواهبهم العقلية اولاد منحطون والعكس بالعكس ولكن المتفوقين يتغلبون بتمادي الايام فلو اخذنا مليون من المتفوقين ومثلهم من المنحطين فالاول يخرج عدداً من المتفوقين اكثر من الثاني ولما كان عدد الآباء المتوسطين بدرجتهم العقلية يفوق عدد العبقريين بمراتب نرى نسبة العبقريين المنحدرين من الدرجة الوسطى اكثر من المنحدرين من الآباء النابغين لان عدد هؤلاء قليل نسبة الى اولئك . اما اذا اخذنا النسبة المائوية فيزيد تفوق الفئة الاولى اي المتولدة من آباء عبقريين فاذا انقطع نسل هذا العدد المتفوق فان نسبة المبرزين تقل وتقس الشيء يصدق على ضعاف العقول فكلما زاد عددهم زاد انتشار صفاتهم وكلما نقص تنقص نسبتهم في الجيل الثاني

مصر في الادب الالماني

« الموت الذهبي »

« في مئات من القصص الالمانية . صورت مصر صوراً كلها ابهام وغموض . بمصر »
« قارئها نوع من التصور مالهية امام لغز غير واضح . تتراءى له مناظر القصة كما يتراءى »
« له الحلم من الاحلام . وتتابع وقائعها أمام عينيه متحدة بشعوره . آخذة بعواطفه ، متلاعبة »
« بروحه شتى أنواع التلاعب . فمصر ما زالت عند الالمان مهد السحر . ومنبع الوحي . »
« ومنشأ الخيال . فقد أخذت عليهم منها قصص الف ليلة وليلة كل مأخذ . فهم يحاولون التغني »
« مع روح هذه القصص . فكل تفكيرهم عن مصر لا يخرج عن مجال الف ليلة وليلة . »
« وكل ما يكتبونه عنها . لا أعتبره الا تقليداً لهذه القصص . وها أنا أقدم ترجمة أول هذه »
« التآليف . وضعها احد مشاهير كتابهم القطاعل . ريتارد فوس Richard Voss »
« في كتابه المسمى قصص مصرية Aegyptische Geschichten » «المترجم»

١

تحركت القافلة ببطء تخترق الصحراء النوبية على الجانب الشرقي من النيل . وسارت يحوطها منظر الرمال بشكله الذي لا يتبدل منذ زمن طويل استغرق مسير عدة ايام . ذلك المنظر الذي تمتزج فيه رؤية قطع الصوان اللامعة البياض . والجرانيت الحجرية الأرجوانية اللون . مع المحيط الأصفر الزاخر من الرمال الوعرة والرياح الفسيح . تلك التي تتقد وتتوهج حتى حدود البحر الأحمر مكونة جبالاً رأسية الجوانب . وقمماً بنية القباب تحلق في فضاء الكون الرحيب

كان ذلك الفضاء فضاء محيط . ولكنه محيط خلو من أية قطرة من قطرات تلك العناصر الحية التي يحبها الانسان . بل اتخذ الجبال الشاهقة عاملاً على اثراء الأحجار الأبدية اليبوسة من الطموح لرؤية بريق لمعان المياه . ولم يكن أبدي التحول من النبات . بل كانت لديه أعشابه الدكن التي تضمرها عفرة رمال الصحراء تحت تلك السماء العديمة الأمطار اللامعة عند بريق الشمس الحامية الجهنمية

ولم تكن السماء والارض غير لمعان ولهب . لمعان ولهب ثابتان لا يتغيران . وكان من

المستحيل وسط هذا السعير المعمى امكان التفكير في ارتقاء سحابة قليلة . سحابة شفوقة ترسل ظلاً على هذا الاتون

وكانت تلك الصورة الأبدية الشديدة الضياء هي هي لا تتبدل ولا تتغير . فكأنما ريح الصحراء من هذا العالم اللامع قد جاءت في زي شبح رهيب . أفسح الطريق وأذبل الزرع وأتلف ما قابله وبث فيه الموت العموت

ولم تلمح القافلة الصغيرة منذ عدة أيام في اثناء سيرها هذا وسط الصحراء معنى من معاني الحياة أو نسمة من نسماته . ولم تعد بنات آوى مرة اخرى من رحلاتها التي قطعتها فوق ذلك السطح اللامع . بل كانت هنالك آثار دقيقة فقط لخطوط تركتها الافاعي أثناء زحفها فوق فيضان الرمال الساكن كأنها خطوط زخرفية دقيقة . ذلك الفيضان الذي لعبت فيه ريح السموم لتملأ كل حفرة من حفراته بأعاصير اسطوانية عالية سريعة التحرك ، تحجب بلونها الأحمر المصفر وجه الشمس

وكانت القافلة مؤلفة من اربعة وعشرين جملاً واثنى عشر راحلاً يصحبهم بعض البدو من قبيلة بجا . وكانت تبدو على الجميع « ما عدا واحداً فقط » سيماء الرجال الذين يحاولون تذليل بحر الرمال الرهيب — لو صح وصفه كذلك — بسفن الصحراء .

ولم يكن من بينهم الا هذا الفرد المختلف عنهم . وهو شاب ممتلىء بدماء الطفولة مفرط الجمال ذو قوام جذاب مائل الى الليونة ووجه قريب الملامح الى أوجه النساء . ولو أن على فمه ونظراته معنى البؤس والشظف اللذين ذاقهما بكل قسوة ومرارة . .

كان هذا الشاب صقليًّا يسمى جيوردانو بالاتينو Giordano Palatino . وهو الابن الوحيد لابويه المدقعي الفقر ، اللذين باطاه في سنته العاشرة لمناجم الكبريت — وفي جوف هذه الحفر العميقة اكتسب الشاب ملامح الشظف والبؤس على فمه والطبعت في نظراته . . وكان جيوردانو هذا تلميذاً وصديقاً لقائد هذه القافلة الذي كان في الوقت نفسه عبارة عن رئيس البعثة كلها . . ولم يكن هذا الرئيس رجلاً ماديًّا بل كان رجلاً متعلماً منقباً عالماً بالحفريات مخترعاً . بل وكان خياليًّا كذلك . . وكان فرنسي المولد يسمى جاستون لاتور Gaston Latour نال حظًّا وافراً وسيتاً عريضاً في عالم الآثار والعلوم . وكانت ضالته هي البحث عن مناجم ذهب طمرتها الصحراء منذ آلاف السنين . وأخفت معالمها عن الوجود

ولم تكن رغبته في الحقيقة من وراء هذه البعثة الصحراوية الامل في الاستحواذ على الذهب لنفسه بل كانت رغبته اكتشاف ينبوع الذهب للجنس الانساني لعله يفيض عليه ثانياً من جديد . اي ان كل لذته ما كانت تنحصر الا في قيمة الفكرة الاستكشافية ليس الا . .

ولقد اضطر بطبيعة الحال ان يلتجىء الى غاية مادية بحتة للوصول الى بغيته هذه . حتى

ان جميع من رافقه في هذه الرحلة المحفوفة بالاخطار لم يعقد العزم الاّ على البحث عن الذهب دون أي عزم آخر يغريه بمرافقته . .

وانفجرت الرغبة في الحصول على الذهب في نفس الشاب الصقلي واستحوذت عليه. فراح يخفيها بكل الطرق المستطاعة . وكانت مكانته لدى العالم الفرنسي مكانة الابن العزيز . فلقد اتفق ان رأى هذا العالم في احدى رحلاته الى مناجم الكبريت بصقلية ذلك الفتى الناعم في حالته المتناهية البؤس فاشتراه لنفسه ورباه وعلمه وأحبه . الاّ ان روح هذا الشاب لم تتأثر بذكاء هذا العالم ولا بتعاليمه الجدية . اذ كانت هذه الروح متسمة بهموم الحياة وويلاتها وبالبغض والكره لكل تشيع ؛ وبالطمع في الحصول والاستيلاء على مباهيج الوجود

ولقد رفضت الحكومة بذل أية مساعدة او اعانة لتحقيق فكرة باحث الذهب الخيالية . ولو أنها في الوقت نفسه لم تضع أمامه أية عقبة من العقبات او صعوبة من الصعاب . فاشترى لنفسه بجانب كبير من ماله جمالاً وخيلاً وأطعمة وآلات للعمل حتى يتمكن بها من تحقيق غاية بعثته الغريبة . وتزويدها بما تحتاج اليه . وأحضر فوق كل شيء مدخراً كافياً من الماء الذي هو اكسير الحياة في الصحراء . . وقبل البدو أنفسهم مرافقة القافلة في رحلتها . لا في الاماكن المعلومة لديهم فقط بل وفي الاماكن التي يجهلونها كذلك على شريطة استيلائهم على جانب من الذهب المكتشف . .

ولقد ذعر جاستون لاتور عند ما ادرك القوة العظيمة التي توجد في مجرد الفكرة الظاهرة للكثر المطمور

وكذلك سار الاثنا عشر اوروبيًّا من اسوان لا تحت قيادة فتىً من ابناء الصحراء . بل تحت قيادة انسان متمدين وعالم متفقه

— ٣ —

لقد أسلم حتى ابناء الصحراء أنفسهم زمام امورهم لقيادة الرجل الغريب بوجوه غاية في الجد . وكيان معقود العزم وتكلم زعيمهم بثقة قوية وتعيين ثابت فقال « لسوف أصل الى هدفك . بل ولا بد انك واصل اليه . ان هو الاّ جهاد وقتال ما انت معلنه على الصحراء عدوة الانسانية اللدودة . بل وعدوة كل مدنية وحضارة . انما يلزمك الثبات في نضالك . حيث تود ان تستطلع . وتحاول ان تكتشف . وتريد ان تستحوذ على اغلى ما تملكهُ الحياة وأثمن ما تهبهُ . . نعم أثمن ما تهبه وا أسفاه »

وجعل جاستون لاتور يعيّن الاتجاهات والطرق كأنما قد شبَّ وترعرع بين أحضان تلك

الاقطار الوحشية . واستحوذ عليه (لشقته بوصوله الى بغيته) نوع من التصوّف . وجعل يحكم بتمرة وارادة خضع لها البدو انفسهم بكل احترام واجلال .. الاّ روحاً واحدة لم يمتلك بسط قوته وسلطانه عليها . وتلك كانت روح الشاب التي ودّ لو انهُ اقتطعها لهُ من روحه القوية نفسها . اذ لم يخطر لمرة واحدة ولا جال بخلده أن ذلك الذي تجّاه من انياب البؤس وخلّصهُ من براثن الذل ثم احبه بكل نفسه قد تخلّى عنهُ وحسب نفسه بالنسبة اليهِ غريباً كل الغربة

واهتمّ العالم المنقب (الذي يكاد يشتعل في سبيل واجبهِ الخيالي اشتعالاً) بكل صغيرة وكبيرة وأخذ يسأل عن كل شيء . ويقرر أماكن الراحة الليلية وزمن اليوم في استئناف السير كل صباح مبكر . ويوزع بنفسه الاكل والشرب . ويحرس بكل عناية — وبنوع خاص — توزيع الماء العزيز . الذي جلبوه في صناديق كبيرة من الصفيح المحكم الغلق . ولم يخطر على بال احد بطبيعة الحال فكرة نفاد المخزون لكثرته . . فلسوف يحتفرون الارض للبحث عنهُ . . ويجب ان يأملوا في العثور عليهِ على عمق معين . يصل اليهِ من ماء النيل نفسه او من ماء البحر الاحمر مرشحاً بين طبقات الرمال العديدة . .

وكذلك ساروا فوق الصخور والقفار وعلى لجج الرمال الحمراء الملتهبة وتحت السماء العارية من كل سحابة ، الجاهلة بكل معنى من معاني الرحمة والاشفاق المزرقة بلون القتام والتجهم المخيف . منغلين في اعماق مجاهل اللانهاية الخالية من الحياة . وتلك هي المأساة المحزنة في رواية الخلق والانشاء . لم يقابلوا منذ أيام وجه عربي من الاعراب المتناثرين فوق بساط الصحراء . انما ظهرت لهم الدنيا كأنها خلو من الحياة . وكأنما الخلق قد أبيد منها ونفد .. ولم تبق الاّ هي الصحراء القاحلة الجرداء بعد هذا الخراب . منبوذة مجهولة حتى من الموت الذي افنى سكانها الاقدمين

وأخذت القشعريرة بأجساد هؤلاء العزّل المنقطعين وسرت بينهم رعدة رهيبة عند ما بدا لهم فجأة أثر من آثار الانسانية واصطدموا بعلامة من علامات الحياة . . تلك التي ظلت هنا . وفي ذلك المكان ما يزيد على أربعة آلاف من السنين . وكانت عظيمة تبعث على الدهشة . تدل على مكانة الخلق والقوم الذين لم يسمع عنهم خبر من الاخبار منذ آلاف السنين ..

كانت تلك نقوشاً هيروغليفية على صخور من الجرانيت . شامخة الى العلاء فوق هضاب الوعر وبراح الرمال ..

وكانت في مكنة قائد البعثة قراءة هذه الاحرف كأنما يقرأ في كتاب مفتوح . ثم افضى بخلاصتها الى قومهِ . الاّ انهُ لم يجد فيها ضالتهُ المنشودة من هدي لنواحي الطريق . ودليل على وجود المكان الذي يتحرّق شوقاً اليهِ .. الاّ انهُ بالرغم من ذلك لم يفقد ثقته في الوصول

اليه . ولم يحد قيد أنملة عن الاعتقاد في نجاح تأدية مهمة بعثته .. كذلك كان الآخرون الذين وثقوا به كل الثقة . وأثرت فيهم عزيمته القوية كل التأثير . هؤلاء الطبيعيون الذين ما كانوا يعتقدون في الانسانية ولا الالوهية

غير ان جاستون لاتور نطق بكلمة واحدة فعلت فيهم فعل السحر . فقال « الذهب » ... ولو انهُ قال — ماء الحياة — او الحظ والمسرة — أو دواء كل داء — أو — منبع السعادة — أو — العفو عن كل الخطايا والذنوب — أو — البقاء والابدية — أو — القرب الابدي من الله — لما كان لكل هذه العبارات التي تمثل أعلى رغبة لأمانينا الحيوية ، اقل تأثير يعادل هذه الكلمة الصغيرة . « الذهب » . الذهب . الذهب ...

أن لغات الارض كلها لا تملك كلمة ثانية تساوي هذه الكلمة في القوة والتأثير . ليس الملوك ولا القياصرة هم الذين يتحكمون في الشعوب . ليست القنون ولا العلوم هي المثيرة لاهتمام الانسانية . ليس الحب ولا الغرام ولا الصداقة ولا التضحية ولا الايثار والخير هي أدق وتعاً في احساس ابن آدم . انما الطمع بالذهب والشراهة للاستحواذ عليه

ألا لو ان الله سيد السموات والارض وعد الناس بجبة من الذهب لكانت الارض اسعد الاكوان جميعاً . ولو أن عيسى عليهِ السلام صاح من فوق صليبه يوم عذّب فقال « ليست آلام موتي هي التي ستنجيكم من الشر وتخلصكم . ولكنني سأفتح لكم السماء يوم ابعث ثانياً واسب على رؤوسكم الذهب والنضار » .. اذاً لتجنب كل آدمي ظل الشر وتنحى عنهُ جهده ...

وكذلك سار العالم المثقف يحمل مثل هذا التعطش نحو الذهب للبحث في الصحراء النوبية عن فردوسهِ المفقود — وكان اشد هؤلاء الجميع شراهةً وطمعاً في طلب عبادة العجل الذهبي هو ذلك الطفل الفدن اللين ذو الوجه الناعم والملامح الرقيقة . ولكنهُ ذو النظرات المخيفة المرعبة الشرسة كذلك .. ذلك الذي اعتقد في طهارة روحه جاستون لاتور اعتقاده في وجود الخير على الارض

— ٣ —

وأصبح محبوب الجميع . الذين لم يبق الضعف في قلوبهم اية محبة حقيقية ولا احساس رقيق . والذين ما كانوا يمتلكون الا فكرة واحدة ليس الا — متى نصل؟ .. اواه لو انا نصل

غير ان الغلام الذي كانت لهُ دائماً سيماء الطفولة . تمكن من امتلاك هذه القلوب المحترقة بلهب الشوق الى امتلاك الذهب الخيالي يوماً من الايام .. وحتى البدو أنفسهم اظهروا اهتماماً عظيماً به . كأنما هو ابنهم المحبوب . . . وكأنما تقع عليهم تبعة حمايته ، فأصبحوا يحترونهُ ويحافظون عليهِ . وبذا اصبح أكثرهم عناية ورعاية واعظمهم مقاومة وتحمل . فلم يظهر

عليه تعب او كلل . ولم يشعر بجوع او عطش ... واذا ما تكاثر القوم في اماكن الراحة وزاحم بعضهم بعضاً عند توزيع الماء يغترفون منهُ كأنما يغترفون من منابع الذهب ، وقف بعيداً عنهم يبدي شيئاً من التقزز . ويطل بريق الاحتقار من نظرات عينيه الورقاوين كزرقة الحديد والصلبتين صلابة الفولاذ . . .

غير انهُ حالما يهتم احد بانتقاء افضل محل من اماكن الراحة الليلية لذلك الغلام الذي تبدو عليه سيماء النعومة والليونة . او يقدم له اية مساعدة او عناية . ينفجر بضحكة عالية . ثم يغرق فيها

كانت ضحكاته ضحكات طفولة ساذجة ضحكات قلب غمره السرور وطفح منه . لا تتفق وتلك النظرات الغريبة وكأنما هي صادرة من شخص يغايره كل التغاير . ويخالفه كل الاختلاف . وكأنما كان صوت تلك الضحكات في سكون ذلك القبر كغناء القنبرة او تغريد الطيور . اثرت فيهم جميعاً على الاقل تأثير الفرح الربيعي كلما سمعوها . اذ كانوا يحسون في انفسهم الحاجة الى روح مرحة وشعور مبهج . يدب تحت فيهم الهمة والنشاط . ويبعد عنهم اليأس والفتور . ففي مثل اقاليم الموت هذه تنقرض الاصوات كلها وتزول

ولقد استمع العالم الى كل ضحكة من ضحكات الغلام . ومرت على وجهه الجامد الجدي سحابة سعادة ونعيم كلما طرقت سمعه فاصت لها بانتباه وهي تزن رنينها المستحب لديه . وتأخذ في الارتفاع والاتساع . ولئن استطاع المرء ملاحظة الرجل في مثل هذه اللحظة . لرأى كيف ان ضحكات هذا الغلام لدى العالم البحاثة الغارق في لجج وحدته والتائه في مسالك تفكيره . كانما هي صوت الامل والسعادة بل صوت الحياة نفسها والنعيم

ساق جيوردانو بعيره الى جانب بعير صديقه الابوي ثم قال له بصوت مكبوح مبحوح « ان هذا اليوم لهو الثاني عشر . لقد بدأ اليأس يدب في نفوس القوم . وبدأوا يشكون . ها قد تعبت الجمال ايضاً وسينفد الماء عن قريب . ولكنك تظل هكذا هادئاً مطمئناً . او تبدو على الاقل كذلك

— اني لكذلك ! — متى ستفصل ؟ — قد يتم ذلك غداً ! !

— قد يتم ؟؟ . وماذا يحدث اذا لم نفصل مطلقاً ابداً ؟ — بل سنفصل ! !

— الا قل لي ماذا يحدث اذاً ؟ اذاً ! ! ! . .

وهنا تهدج صوت جيوردانو وارتعش ثم صرخ في وجه العالم يقول « انا لا اود الفناء في مثل هذه الارض المخيفة . اني اود الحياة — الحياة — الحياة . واود ان اتمتع بحياتي التي يجب ان تبدأ من الآن

— من الآن فقط ؟

وصدر هذا السؤال من العالم كأنما يحمل نغمة الاتهام العنيف . والاتهام الحائر المتردد. الاّ ان الغلام لم يحترمه ولم يفهمه على الاطلاق . اذ أجابه بعواطف مكبوحة يبدو التعب في كبحها فقال « اي نعم الآن فقط . والآن لا غير . حيث تود الاستيلاء على الثروة . انهُ ليبدو منك جد تبذير.وجد خطإ . بل وجدٌ ... تخيّل واعتباط اذا لم تجعل نفسك غنيًّا . فهل ستصل بالفعل... . وستجد حقًّا ؟... انلك مطلق الحق في ذلك.وانهُ لمن الواجب عليك ان تأخذ لنفسك من الذهب اكبر نصيب . وسوف لا يعترضك في ذلك اي معترض . حتى ولا ضياع الذهب أنفسهم

— واجبي ؟ انك تعلم علم اليقين ما قيمة الذهب لديّ

يجب عليك بالرغم من كل ذلك ان تأخذ . فاذا لم يكن حتى من اجلك . فليكن من اجلي

— من اجلك ؟ — نعم . انني اود ان اعيش . ان اعيش . ومن الآن فقط اود ان اعيش... انك لتعلم... علم اليقين ماذا كانت حياتي من قبل ... جوع وفاقة . اي نعم جوع وفاقة . . . لقد تركني ابواي للجوع لعلي اظل صغيراً وحقيراً بقدر المستطاع من لقيمات مناجم الكبريت الضئيلة . انني لأكره هذين الابوين . وانني لألعنهما اشد اللعنات . انني ابغض كل من آلمني صغيراً .ونغص عليّ طفولتي ليرزق من حولي . انني لامقت الخلق اجمعين

— حتى انا ؟ — « وحتى انت — انك لتعلم حقًّا عمّ تتحدث ؟ ولكن يجب ان نعمل سريعاً . ويجب ان نجد سريعاً . والاّ ...» ثم توقف فجأة عن الكلام . — « والاّ فانك تكرهني » .... ثم ابتسم العالم عند تصوره امكان بغض غلامه المحبوب له وهو الذي يود من اجله اخذ جانب من الذهب يكون كثيراً بقدر المستطاع . اكراماً لهُ فقط. اذ انهُ يود « الحياة — الحياة — الحياة »

— ٤ —

وساروا بعد ذلك وسط الاكوام واعالي الجبال والمنخفضات الملتوية في بحر رمال الصحراء النوبية . وكان غرق السفن التالفة في وسط البحار العالية احسن منهم حالاً . حسناً لا يحتاج الى مقابلة . اذ انهم يجدون في ارتفاع الماء اليهم شبح الموت الرحيم . اما راكبو الصحراء فكانوا على الضدّ من ذلك

وكانوا اذ يسيرون الساعات بعد الساعات بين امواج الجبال الحمر . ويقضون الساعات بعد الساعات وسط انير الضياء الارضي الذي تبعثه ملكة السماء العتية الجبارة على القوم حتى تميل بسيرها المتلف الى الغروب تاركة مُلْكها قدماء المصريين في حلة ارجوانية اللون. فيقفون عن السير متعبين مسغبين ليأخذوا قسطهم بعد ذلك من الراحة . ويخلصون سفنهم الحية من احمالها الثقيلة . ويضربون خيامهم فوق الارض حيث تبدو فجأة كازهار ناصعة البياض جميلة

ثامية على تربة شديدة الاحمرار . اذ يمسي كل هذا العالم الموحش ساعة الغروب غارقاً في لجج من الظلام . مستوراً بستر من السكون . وحيث لا يوجد على وجه الارض كلها رهبة تعادل رهبة الصحراء صاحبة الاسرار والالغاز في فترة الليل وساعة الهجوع . وفي احد الايام وقد اجهد القوم انفسهم يتعب المسير الحثيث تحت شمس تلهب الارض مرسلة لظاها الابيض من سماء مغطاة بغشاء اشهب . وصلت قافلة الباحثين عن الذهب الى ميدان فسيح الارجاء من تلك الميادين المكشوفة الواضحة . حيث شاهدوا فيه عن بعد مرتفعاً من صخر الجرانيت . وكان هذا المرتفع العالي النحيف المذنب القمة كأنهُ من المسلات الطبيعية يتوسط بحر الفضاء كأنهُ مرشد او دليل

واسترعى الفتى العسقلي اول الامر رجال القافلة اليه وخاطب العالم بوجه كأنه مصبوب من الشمع ترك في نفسهِ اثراً لم يشعر بهِ في حياتهِ من قبل . فقال له منفعلاً اشد الانفعال « ان ذلك الاثر الصخري لدليل من احد اصدقائك المنقبين السابقين تركه ليكون علامة على موضع ينتظر فيهِ منذ زمن طويل . والآن فلسوف نبتّ في امرنا ونحصل على العزيز الحصول » وركب القوم بكل عجلة مستطاعة الى هذا الاثر الواضح . وبقي القائد وحده في النهاية يتبعهم ببطء كأنما يلزمه كسب الوقت لاخماد نار الهياج . ولم تطلب منهُ القافلة اكثر من تركه لزامها تجدّ الخطى حيثما تريد

وكان على هذا الاثر الصخري صورة محفورة لاحد الفراعنة الاقدمين بشكل اكبر من الطبيعة بكثير . وحملت الصورة الجانبية للوجه ملامح الملك الحازم . بوجنة واضحة العرض وعلى ركبته عصا ذات اهداب منسدلة طويلة طولاً غريباً ودقيقة كذلك . وكانت العينان بشكل لوزي تحتهما شفتان مسحوبتان سحباً جميل الصنعة والانسجام . وكان الصدر الرفيع مرسوماً من الامام . الا أن مقاييس الاعضاء كانت تبدي بالعكس موقفاً يظهر فيه منظر الرأس يحمل التاج المزدوج . ولم يكن هنالك غير قميص كثير التجعد والطي على جسم جلالة صاحب ارض النيل العليا والسفلى .

وكانت هنالك كتابة محفورة على الصخر فوق لوحة طويلة رفيعة بجوار رسم الملك . . .

والتفّ القوم حول تمثال الملك محملقين في الصورة والكتابة متوقعين دلالة عظمى منهما وصرخوا في القائد بكل قوة يدعونه اليهم . حيث يجب ان يقرأ . ويجب ان يخبرهم . . .

وملك العالم كل شعوره وهو واقف أمام التمثال يتفرس فيه ويطل في عينيه بريق النصر اللامع . ولو انه لم يتململ قيد شعرة ولم يخالط صوته أي تهدج يفضح عليه شعوره الذي خالطه لاعظم حادث في تاريخ حياته . ولم يظهر عليهِ أنه انما يقف أمام اللحظة التي هي فصل الخطاب في حياته المقبلة . . .

— ألا فلتقرأ ؟ ؟ . . ألا فلتكلم ! !

وزلول صوت الغلام وهو ينطق بتلك العبارة التي قالها وهو أبيض اللون . وقرأ جاستون لاتور . . في عهد الملك مينس Menes الحاكم الاكبر للاقليمين المتحدين ابن آمون المحبوب والاله الطيب . أمكن اكتشاف مناجم الذهب في السنة السابعة من حكم جلالته بصحراء الكوش . ووضعت كنوزها البرّاقة تحت أقدام الآلهة . اعلاء لتاج مينس الابيض في الجنوب . واعلاء لتاج مينس الاحمر في الشمال » . .

عمّ أول الامر سكون رهيب . أعقبته حركة فهياج كهياج الثورة . وأحاط الكل هذا التمثال بوجوه شرسة وصرخات صحراوية . باسطٌ كلٌّ ذراعيه كأنما يحمل الصخر سورة رب مقدس أو اله معبود . . العجل الذهبي في الصحراء . . . وكأنما هم يصلون له ويبتهلون . . وهزّت روح رجل العلم احساساتٌ خوف مبرح من جديد . وكأنما كانت تمتعه بقسوة وغلظة ومحاسبه بدقة وتأنيب « ألا ماذا أنت فاعله ؟ ؟ لقد أردت جلب الخير فما جلبت (كما يبدو) غير الشر فقط . لقد أملت في استخلاص الشفاء — اذ يمكن استخلاصه من الذهب — ولكنك تتعب هذه الأرواح بمالا يشفى منه ولا يطاب . . ألا ماذا أنت فاعله ؟ ثم نظر الى الغلام بنوبة خارجة عن ارادته . ذلك الذي كان محبباً اليه كل الحب . وذلك الذي وقف الآن فاقد الحركة كأنه شلّ في مكانه او سمق . أبيض الوجه كالأموات . ينظر زائغاً حائراً متردداً لا يستقر على قرار . وكأنما يرى رؤيا غير منظورة أو حلماً من الاحلام . . .

كان عقل جيوردانو قد تزحزح . . ووجدانه قد تزعزع . وشعر هو نفسهُ بنفسهِ . وكأنما أصبح ذاته انكر . يستحم في فيضان جارف من البريق . . وكان ما يطغو على روحه هو الذهب — الذهب — الذهب . . ثم أحسّ بنفسه وقد اندفع الى تياره اللامع المضيء فسقط فيه . وتركه يحيط بكل نواحي جسمه ويغمره . ثم أخذ يعبُّ من ذلك العنصر البراق بريق الشرر . ويجرع منه كما يجرع الخمر الذهبية . . شرب ثم شرب . ونهل بكل شراهة وفظاعة وطمع . . شرب . وشرب . ولكنه لم يرتو ولم يشبع . . انه في حاجة اليه احتياجاً جعله فاقد الرشد كمن به ثملٌ من شراب أو كأنما حلّت به روح من الارواح . .

— جيوردانو . . ! !

كان هذا هو صديقه الذي ناداه بصوت حال كله خوف . فلم يقدره هذا الاخير . إذ أن ما أحسّ به العالم من الشعور المفاجيء الادهى من الاحتقار هو « الاشمئزاز » . . .

وبدا كأنما من يناديه يغفو من حلمه : وسأله بمثل تلك النظرة الجامدة جمود الجرانيت الملقى منذ عدة آلاف من السنين رمزاً حيًّا على حماقة ذهب صاحبه فقال :

— ماذا هنالك ؟ ؟ . لمَ تناديني ؟ ؟ — انك لترعبني

— لماذا ؟ — لانه يبدو لي خروجك عن انسانيتك ! — ماذا ؟
— الذهب ! ! — اننا لم نقتلكم بعد . . — لسوف تقتلكم ! !
— والآن ماذا هنالك ؟ ؟ — ترو وحاول ألاّ تهلك نفسك به . .
— ماذا تعني بذلك ؟ ؟ — أعني أنك ترى في الذهب ألوهية حقيقية .
ولسوف تلزمني ان ألعن هذه الساعة ألف لعنة

وخاطب جيوردانو صديقه قائلاً « ألوهية ؟ ؟ » ثم سكت برهة وعاد يقول . . « انه لألوهية . وكان ألوهية منذ البدء . وسوف يظل ألوهية الى النهاية . انه هو الألوهية الوحيدة البحتة . الألوهية الخالقة للأرواح ليس الاّ . . كلما مجدت الآلهة أو كلت وسبت . ظلّ هذا الاله القادر الأبدي الذي لا يحتل عرشه السماء . ولكنهُ يحتكم بالارض . . ألا فاخبرني ماذا تعيبهُ عليّ من معرفتي بتلك القوة أيها الرجل الذي لا يهيم بغير العلوم »

وعاد العالم سموتاً من حيث جاء . .

وسار رجال القافلة من جديد . وكأنما كانت كتل الجرانيت الصخرية من هذه الجبال أشبه بالقوة التي بعثتها حمى الرغبة في نفوس قاطعي البيد من هذه الصحراء . يتبعون دليلهم كجيش حالفه النصر . يستبق الى اقتطاف المجد وكسب الاكاليل . . غير انه بدا على وجه جاستون لاتور طابع لا يتم على شيء من الانتصار . . كما انه رأى في هذه الساعة . [التي يسميها هو نفسه بالساعة الكبرى من حياته] شيئاً جديداً لم يكن بالحق وحي ألوهية على الاطلاق

ووصل الجميع في الأيام التالية بعد ان رحمت صخور الصحراء مفتقدي الذهب . بل مفتقدي الاله . .

— ٥ —

كان جبل من الصوان يرتفع عالياً في المكان الذي يحتوي على كنز الصحراء من المعدن الاهي . وفي وسط الغبار الاقتم المتعالي كأنه الهضاب يعلو بريق أصفر كأنه البحر المتحجر بسحر ساحر قدير . وحينما تحطم عاصفة الصحراء صخرة من الجبل لتقذف بها كجلمود تحطه من على يبرق موضع القطع بريق البرَد الابيض في الشتاء . وتسلط عليه شمس البيداء نارها فيها فتحميه وتتركه يتقد اتقاد الأتون . . . وساروا بعدئذٍ بانحدار رأسي . وتعددت المنعطفات والالتواءات في طريق الباحثين عن الذهب واختفت الصحراء فجأة من كل ناحية . ولم يبدُ لهم غير منظر القبة السماوية بلونها الفيروزي وامواج الضوء النوراني المرتفع من البلورات البرّاقة التي تعكسها الشمس من جوانبها المصقولة . حتى لكأنها جبال الماس الخيالية القديمة . . .

الاّ ان العجائب لا حدّ لها . فمنذ ثلاثة آلاف واربعمائة سنة قبل المسيح حكم مصر الملك مينو — وفي هذا الوقت اكتشفت مناجم الذهب في « ارض كوش » واستولى عليها . ثم

اختفت عقب ذلك بقليل من ارض مصر ومن افكار الخلق والشعوب كما لو أنها لم تكن قط. ثم هو ذا اليوم — بعد ستة آلاف سنة تقريباً — من يعرف خبرها ويمكنهُ الألمام بقصتها

في هذا المكان عاش الانسان من قديم الزمان. وفي هذه النواحي قامت مدنية من المدنيات القديمة . هذا المكان . مكان عالم للموت الرهيب

وأمر جاستون لاتور بضرب الخيام في احدى الامكنة الفسيحة . وارتفعت اكوام الرمال العالية كالعمد الحمر فوق درجات الصخور. المترامية هناك . تظهر بحالها هذه نتيجة مجهود عواصف السنين الالف الاربعة . وكأنما شاءت الطبيعة ان تبدي جسارتها وجهدها في ستر كنزها وطمره . غير انهُ كان هنالك كثير من النواحي العارية في الاماكن المختلفة تحمل آثار التنقيب والتكسير ... وكذلك وصل الجميع في النهاية

وكان اهم واجب عليهم قبل كل شيء . لا البحث عن باب الاله الذهبي المطمور وفتحه بل البحث عن عين من عيون الماء. فلابدَّ انهُ كان هنالك عين يومذاك . ولابدَّ من ان تكون هنا حتى اليوم . الاَّ أنهم — بالرغم من عدم بقاء غير القليل من مدخر الماء لديهم — احسوا بالعطش القاتل نحو الذهب يلهب أفئدتهم ويحرق ارواحهم . فلم يذهب منهم مع العالم غير نفر قليل من الرجال للبحث عن الماء — وحمل الرجل بنفسه المجرف في يمينه ليكون قدوة لهم وامثولة لديهم . الاَّ ان معظمهم جرى مسرعاً ينبش الارض بغير قائد أو مرشد تلهبهُ حمى الفضول وجنون الرغبة في البحث عن الذهب المقدَّس في جوفها العميق . وكان (من هؤلاء الاخيرين) الغلام ذو الضحكات الواضحة الصبيانية .. فمنذ تلك الساعة التي ابدى فيها لصديقه (الذي انقذه من الذل واسبغ عليه يسره ورخاءه) أفكار اعتقاده الاهي وجحده الشنيع . لم تفارق وجه العالم أمارات الجد والتفكير .. الاَّ ان محبته للغلام المسكين كانت ما تزال تلوح هافية . حنونة . والدية . .

ولقد كان الحظ حليف رجال البعثة — اذ عثر الباحثون عن الماء بسرعة على بئر قديمة وكانت مغطاة بقطع كبيرة من الصخور الحجرية التي دحرجها ولا بدَّ زلزال قديم يحميها من الردم والانظار (تلك ولا شك أعجوبة) . . واذ ازيحت الصخور وابعدت بدا عمق اسود مستدير يثير العجب من اهل هذا الزمن الذين رمموه وسوَّروه كما سوَّروا معابدهم وقبورهم الابدية

ورضي جاستون لاتور بنفسه ان يربط بحبل ويدلى به الى القاع . . وبعد برهة طويلة رهيبة. زأر من التف حول البئر زئير الاسود في القلاة وصاحوا معلنين وجود « الماء ».. واندفع من جوف صميم الارض تهليل مبحوح شق ضوء النهار يحمل معهُ لفظ « الذهب ».. فلقد عثر الآخرون كذلك . وها هم ينادون معلنين الاسم الالهي . ولم يكن تهليلهم صراخاً فقط . بل كان عويلاً وباحاً . رددت صدى اصواتهم العالية ارجاء الصحراء الصموتة . كأنما

ارادوا بذلك بعثرة الصخور او دك الجبال . او كانما ودّوا قذف صراخهم فوق المنبسط غير المنظور حتى يصل كالرعد الى اللانهاية غير المحدودة .. وكانوا يكررون من حين الى حين قول « الذهب الذهب الذهب » وكانت تمتد عروق هذا المعدن الاصفر المحبوب امتداداً عريضاً وتظهر بوضوح وجلاء منابع بهجة الحياة وسعادتها امام اعين الباحثين عن الذهب الذين كانوا في استطاعتهم الاغتراف منهُ كيفما يشاءون .. — ولقد عثر الآخرون ايضاً على الماء الذي يستطيع الانسان الاستفادة بهِ . وهل يستفيد بهِ الانسان حقاً ؟؟ عندما يرى فيضان الذهب في صخور الصحراء امام عينيهِ . انهُ يستطيع التفكير في جوع او عطش غير الجوع والعطش نحو الذهب . . . لم تكن هنالك جرع مؤلم ولكنهُ جوع لا يشبع . وكان هنالك عطش ولكنهُ عطش لا يروي على الاطلاق

ومن هذا الجوع والعطش تبكو الانسانية في كل حين

ولم يبق هنالك احترام ولا اعتبار مذ اخذت النشوة عليهم ارواحهم لمجرد رؤية الذهب ولم يبق لديهم عطف أو وحدة . بل تفانى الكل في الالتهاس بكل وجدانهِ بين لجج الخيال والذهول — ليس في العالم كله لذة تعادل لذة استخلاص هذا الكنز العزيز من جوف مناجمهِ . وقد ارادوا تحميل جالهم بقدر ما تستطيع . حتى ولو تفقت تلك الحيوانات القوية . ثم يحملون هم انفسهم بقدر كبير . . وأصبحت قوافلهم متضاعفة تضاعفاً غريباً . وأصبحوا هم جبارة عتاة لهم فوق ما لطاقة البشر الآخرين . . وكان كل همهم حمل الذهب ونقله من وسط الصحراء النوبية حتى ولو كلفهم ذلك السير في كل مفاوزها وخلوقها ومرعباتها . بل في لهيب الشمس وعواصف الرمال . في تهديد الموت ووعيد الهلاك اياماً واسابيع طويلة . . انهم في كفاح مع الموت يداقمونهُ بكل قوافلهم كأنما يحملون حرزاً او طلسماً ضده . .

وبينما هم يقطعون بحر الرمال بحمية ونشاط عثروا على بقايا عظام انسان بشري . الاّ انهم ألقوا بها جانباً بغير مبالاة . وأخذوا يحتفرون الارض متوغلين في احتفارهم

ألا كيف مات اولئك القوم الذين عاشوا هنا منذ آلاف السنين ؟ وماذا كان سبب موتهم؟ ان الجميع لا يودون غير الحياة — الحياة — الحياة . كما يتطلبها الغلام الملتهب بحمى الرغبة للحصول عليها . .

ولقد رفع هذا بيده جمجمة احد الموتى الذين مضى عليهم ما يقرب من الستة آلاف من السنين ووجّه اليها خطاباً كله تهكم وسخرية ثم صاح اخيراً يقول

ألا فلتحي الحياة . . . . . ألا فلتحيا الحياة

حسن رشيد نور
مدرس
بمدرسة الفنون التطبيقية بالجيزة

« لها تتمة »

قيمة العجز

في المتسولين والضعفاء

سيصدمك هذا العنوان ايها القارىء كائناً ما كان نوع الثقافة التي تثقفتها والمحيط الذي درجت فيه . فان كنت من الواقفين على النظريات الاقتصادية يتبادر الى ذهنك مقدار الخسارة التي تتحملها الامة في قوة الانتاج من جراء وجود هذه الفئة العاطلة التي بدل ان تزيد ثروة الامة تنقصها . وان كنت من رجال الامن تذكر ما لاقيته وما قصّه عليك الرفاق من وقائع المتسولين واخبارهم وما يأتونهُ من ضروب الحيل وصروف المكر ليتجنبوا مطاردتهم من رجال الامن الذين يجدُّون في تنفيرهم من الشوارع وذودهم عن الاماكن العامّة لانهم يعتبرونهم قذًى في عين المدنية يجب الأ تراه اعين المارّة . وان كنت من قراء الروايات يحضرك عدد من المؤامرات التي يحوك خيوطها في سواد الليل اناس زريُّو الملبس قبيحو المنظر يجولون نهاراً مقوّسي الظهور دامعي الاعين معصوبي الرؤوس يستندون الاكف من اجل بلغة من الطعام او نهلة من الشراب . وان كنت ممن يلذ لهم حديث العجائز تتذكر ما كانت تقصه عليك جدتك من احاديث الشطّار من المتسوّلين الذين يفرغون عصيّهم ليودعوها ما جمعوه من القطع الذهبية ، او يضعون الخرق البالية على ظهورهم لتظهر حدباء وبذلك يستدرُّون جود الناس وينالون عطفهم . وان كنت من قراء الصحف فسيتبادر الى ذهنك اسماء كثير من المتسولين الذين كانوا يعيشون عيشة الفاقة والتقتير ولكن حينما ماتوا وُجدت وراءهم بدر الاموال فكأنهم كانوا معارف للتوفير يحشدون الاموال بكل حرص لتوزع كلها في النهاية على مستحقيها . سوف تذكر هذا وغيره مما علق بذهنك او وقع تحت شهودك من اخبار المتسولين ووقائعهم ، ولكن على فرض ان ذلك صحيح لا شبهة عليه ولا ريب فيه ألا يبقى للمتسولين والضعفاء ما يشفع لهم ويجعل لوجودهم معنى في الحياة ؟

***

انت متوسط الحال او غني ايها القارىء ولذا فأنت آمن على مستقبلك ومستقبل بنيك الى حدٍّ ما . ولكن الم يخطر لك ببال ان تقف يوماً وتسأل الى اي حدٍّ انت مدين لمتسولين بغنائك ورفاهك سؤال غريب ؟ ولكن ما كل غريب من الاسئلة يستحق الاهمال . لا اود ان اناقشك في كيف حصّلت غناك واي المسالك سلكت حتى اثريت ، ولا اود ان اذكرك بان كل

صحفة تزاد على خوانك قد يقابلها نقص في عدد الصحاف على خوان غيرك ، وانك قد تكون صعدت سلّم الثراء ونلت ما نلتهُ من توفيق على اشلاء الكثيرين ممن دستهم في سيرك السريع كالحوت الذي يربي سمنته الفاحشة على التغذي بصغار السمك — لا اود ان انافسك في هذا فان الله وحده يعلم ذلك وسيكون لهُ معك شأن في اليوم الاخير . انما اود ان اسألك الى اي مدى انت مدين، في الاستمتاع بثروتك الزاهية — لا في جمعها ، الى المعوزين وقارعي عتبات البيوت ؟

***

يعرّف علماء الاقتصاد الثروة بانها مجموعة من المتع واللذائذ . فاذا كان هذا معنى الثروة فهل يزيدها او ينقصها المعوزون والمتسولون ؟

الليل قرّ والعواصف تزمجر في الخارج والرياح تعوي كأنها الذئاب تروم طعاماً والمطر يهمي والرعود تقصف وانت جالس بين بنيك امام موقدٍ مشبوب فتحمد الباري ان لك مثل هذا الموقد ومثل ما يظلّهُ من مسكن . ولكن يعجزك ان تتخيل حال من يتعرّض لهذه العناصر الهوج كيف يكون الاّ انك ، وانت في هذا ، يطرق سمعك عواء الكلب فتطلّ واذا شبح في الظلام يعالجهُ كلبك من ناحية والريح من ناحية اخرى وكلاهما يود ان يكون لهُ الحظ الاوفر مما ابقته عليه الكلاب والريح والزمن من بقية رداء . تراهُ فاذا هو يقاتل قتال المستميت ليخلّص رداءهُ من ذينك الوحشين ، لانهُ يعلم ان بين تخليصه الرداء منهما او تسليمه لهما الحياة والموت . ويتخطى عتبة بيتك دون استئذان ، لان شراسة الكلب وعنف الريح وقساوة البرد لم تدع لهُ ليستأذن . هو داخلٌ عليك شئت ام أبيت

هوذا مقياس صحيح للشقاء ايها الغني يقف امامك لتقيس عليهِ مقدار سعادتك . هذه هي درجة الصفر فانظر الى اية درجة ترتفع انت عنها . هوذا جسمٌ يرتعش ارتعاش الخرق البالية في مهب الريح — جسمٌ عارٍ يكسوه البرد الحرة كما تكسو النار وجوه بنيك الحمرة ، ولكن ثمة فرق بين الحمرتين . هوذا نفس مضطربة مشردة ترنو اليك متوسلة ضارعة فاما ان تعيدها الى قبضة مطاردِيها او ان ترأف فتدنيها من موقدك فتهدأ اعصابها المرتعشة وتذوق لذة الاطمئنان بعد الابتعاد عن الخطر . انك لا تستطيع ان تتصوّر معنى الدفء تصوراً صحيحاً قويًّا ولا تستطيع ان تتصوّر معنى الاطمئنان بالابتعاد عن مصادر الهلاك الاّ متى تنظر الى مخلوق كهذا تجدُ جميع العناصر في طلابهِ كأن لها ثأراً عنده . اوتضن عليهِ بعد هذا بقليل من عطفك وحنانك ؟ انهُ دفع ثمن ذلك من جسمهِ ونفسهِ

ولا يعجزك ايها القارىء — اذا شئت وكنت ممن يعنيهم وقع الحوادث اليومية ان ينظروا

الى غير تقويمهم — ان نحضر لنفسك غير هذه الصورة من صور الشقاء العديدة

وقد تسأل : هل هذا صحيح ؟ هل نحن نعطف — او يجب ان نعطف — على الحرمان والضعف لانهما يستخفان لنا قوتنا النسبية ويبرزان لنا ما نحن متمتعون به من متع ولذات ايراراً قويًّا ؟ هل نحن نعطف على الجياع لاننا شباع ونعطف على المرضى لاننا أصحاء ونعطف على العارين لاننا كاسين ونعطف على الصغار لاننا كبار ونعطف على الحيوانات عديمة الأذى لاننا نستطيع ان نؤذي ونعطف على مكفوفي البصر لاننا مبصرون ؟؟ هذه أسئلة تدير الرأس حقًّا اذا حاول المرء ان يجيب عنها اجابة ترضي جميع نواحي العقل وتصدُّ كل اعتراض. ولكننا نودُّ ان نسأل القارىء بدورنا بضعة أسئلة وليجب هو نفسه عنها كما يشاء

***

لماذا لا يعطف السقيم على السقيم عطف الصحيح على السقيم ؟ لماذا لا يعطف الاعرج على الاعرج عطف السليم على الأعرج ؟ لماذا نعطف على ابنائنا الصغار ويقلُّ هذا العطف كلما كبروا وازدادوا قوة الى ان يجيء يوم يصبح نظرنا اليهم نظر الند للند ؟ لماذا يلذُّ لنا لذة يخالطها شيء من العطف والأسى ان نرى ذا القوة وذا الأذى مسلوب وسائل القوة والأذى ؟ لماذا تنبسط اكفنا للمتسول الصموت المنكسر النظر أكثر مما تنبسط للسائل الملحاح شديد النبرات ؟

قد تقول ان فلسفتك هذه أيها الكاتب — ان صحَّ ان ندعوها فلسفة — لا تصدق الاَّ على اوساط الناس ممن تربي الانانية فيهم على عواطف الايثار ، فهم حتى في ممارستهم للفضيلة لا ينظرون الاَّ الى نفعهم الخاص سواء شعروا بذلك ام لم يشعروا . ولست احاول ان اردَّ هذا الاعتراض فيكفيني ان تسلم معي ان كلامي ينطبق على اوساط الناس (واوساط الناس هم الاكثرية دائماً) . الاَّ اني اود أن انبهك تنبيهاً يسيراً — واوجو ان لا يزعزع ايمانك — وهو ان تنظر من الآن وصاعداً الى فضائلنا البشرية الزاهية نظراً غير الذي تعوَّدت . لا تنظر الى الاب الذي يحرم نفسه لذة العيش ليرسل ابنه الى المدرسة كأب همُّه الأوحد نفع ابنهُ . ان هذا الاب بالطبع يحب ابنه ولكنهُ يحب الخلود ايضاً . ولا تنظر الى اعمال روكفلر واضرابه كاعمال البر وخدمة البشرية المتألقة فقط : ان روكفلر — مثلك ومثلي — يحب الذكر الحسن مثل حبِّه للبشر . والجندي الذي يستقبل بثغر باسم وصدر رحب رصاص البنادق وأطراف الحراب ليس همُّه الوحيد خدمة الوطن والذب عن حياضه . انه يحب وطنه ولكنه يحب ان يعز نفسهُ أيضاً . لا تقل ان هذا الجندي لا يأمل شيئاً من الشهرة بالاستبسال لان ما يحدثهُ من امواج صغيرة في سير المعركة يتلاشى في موجة النصر العام . ان جنودنا يكفيه ان يراهُ

اثنان أو ثلاثة من رفاقه بين فكي الموت في مقدمة الصفوف . لا تنظر الى هذه الامور نظراً ماديًّا بل فكر بما يكون وراءها من نوازع وامال قد تكون خافية حتى على أصحابها

والآن لست ادري اذا كنت اقنعتك بقيمة الضعفاء العاجزين والمتسولين — مهما ضؤلت هذه القيمة — من هذه الناحية — ناحية ابرازهم ما نحن عليه من قوة وما نحن متمتعون به من لذة ابرازاً جليًّا . انك لا تستطيع ان تتخيل لذة الصحة كما لو مرضت او شاهدت ما يفعله المرض في غيرك ومن يدري كيف تكون لذة التمتع بالراحة — مهما اوتي من سعة الخيال — اذا لم يذق ألم التعب او يشاهد آثاره على غيره ؟ ان الضد يظهر حسنه او قبحه الضد . ومن هنا قال الحكماء لا سعادة بدون شقاء

***

ولا ننسى ما يفعله منظر الشقاء والعازة في الآخرين من الايحاء لنا بالقناعة واحساس الرضى باحوالنا الراهنة . ففي سنوات الجوع يشعر من يحصل على الكفاف بمقدار من السعادة لا يشعر به متوسط الحال في سني الرخاء . وما هذا الا لأن الناس لا يهمهم في الغالب قيمة ثرواتهم المطلقة بل قيمتها النسبية — أي كم تزيد ثرواتهم عن ثروات غيرهم . وهذا في الغالب يجعل الناس يقتنون أشياء لا حاجة لهم بها . انما يقتنونها ليتميزوا بها عن غيرهم . فالتنافس هو رائد الناس في حشدهم للأموال لا الحاجة . ومن هنا لا يشبع المثرون من جمع الأموال مهما زادت عن الحد الذي ييسر لهم التمتع بكل ما يشتهون

ولكن هل كل قيمة الضعف — اذ سلمت معي ان للضعف قيمة — هي في هذه الناحية الضيقة فقط ؟ اليس لوجود الضعفاء القهري بيننا غير هذا النفع المادي الذي اذا احببنا ان نجزيهم عليه جردنا فضيلة الرحمة مما يميزها من حب الخير لاجل الخير ؟

قد تكون ايها القارىء من تلاميذ نيتشه ، ولذا فأنت تعتقد ان العطف على الضعيف جريمة لا تغتفر . فاذا كنت من هذه الفئة فلا شأن لنا معك من الآن ولك ان تطوي الصحيفة حيث انت فلا تفت على نفسك . ولكني على فرض انك من الفئة الاخرى التي لا تزال تقيم وزناً لفضيلة الرأفة نسوق اليك بقية هذا الحديث الذي نرغب ان نظهر فيه ما للضعفاء من فضل في تغذية هذه العاطفة الشريفة

***

اجتمعت بشاب عاد حديثاً من اميركا بعد ان قضى هناك سبعة عشر عاماً . فكان مما حدثنا به موضوع الازمة التجارية وضيق الحال وركود الاعمال مدللاً على ذلك بأن عشرة ملايين او تزيد من العمال بلا عمل في الولايات المتحدة . ولكن ليس هذا المهم في حديثه فان مثل هذا يحدث في كل بلد صناعي . انما المهم ان هذا الشاب كان يتكلم بصيغة قوية من الجزم

والتوكيد ان المرء قد يجوع في اميركا ويضطر الى طرق الابواب ، ولكن قد يأتي على قائمة طويلة من اسماء القديسين والاولياء ويتوسل بكل الملائكة والانبياء دون ان تناله بلغة من الطعام. واذا اعتاد الحيل ليتال مايسد به الرمق يعمد الى حيلة يعرفها جيداً متشردو الاميركان وهي ان يتشاجر وأحد الناس في الشارع او يضرب بقبضة يده على زجاج احد المحلات فلا يعدم عندها ليلة او ليلتين او اسبوعاً . وان عظم الذنب شهراً ، يقضيها في السجن حيث ينال طعاماً لم يكن ليحصل عليه بغير هذه الطريقة

قصّ عليّ هذا الشاب ما قصّ فخامرني الشك في حديثه . فرحت اسأل غيره ممن عادوا حديثاً من اميركا . فكان مجمل كلامهم مطابقاً لكلامه على العموم . فلم يسعني عندها الا التفكير في منشأ هذه الظاهرة الغريبة . الشعب الاميركي الذي اشتهر بالبذل وعمت عطاياه الشرق والمغرب يضن على ابنائه بما يقصي عنهم آلام الجوع ؟ ! ما معنى هذا التناقض ، قلت ان الشعب الاميركي شعب عملي يكره ان يضيع اقل جهد على غير الانتاج. ولذا فالمتسولون قد هم طبقة مكروهة لا تثير عطفهم. ولكني ما كدت اظفر بهذا التعليل حتى اخذت تتزاحم عليّ الاعتراضات ، ووجدت اخيراً انهُ تعليل ضعيف وان هناك نواحي اخرى لهذه المسألة لا تخضع له . فحينما ينتشح اكتتاب لاعالة الاطفال الفقراء في روسيا او في الصين لا يحجم الاميركي ان يبسط كفه للمساعدة . فهل يخرج الروس والصينيون عن حد كونهم مسترفدين بالجملة بينما المتسول الاميركي لا يستعطي الا مفرداً ؟

التعليل هو هذا ، وقد يقنعك وقد لا يقنعك

***

في اميركا مستشفيات كثيرة تضم اليها المرضى ودور لايواء العجزة وملاجئ خيرية للاطفال الفقراء . ولذا فهؤلاء الناس الذين تقع عيوننا عليهم في شوارعنا الشرقية — ذلك الذي شُلّت رجلاه فاضطر الى الزحف على يديه ليدنو منك فينال بعض ما تجود به ، وتلك الأم المكرة النظرات التي تحمل طفلاً قد عصر آخر نقطة من الحليب في صدرها ، وذلك الشيخ الذي يحمله بقية رجلين وعصاً اذا استعملها لينوب الكلام بها عن نفسه تحمله رجلاه . فهو لذلك يفضل احياناً ان يدع الكلاب تنال منه من ان يعتمد على رجليه وحدها — هؤلاء وامثالهم نراهم في شوارعنا الشرقية . ولكنهم ليسوا من الكثرة بحيث يصبح منظرهم عادياً لدينا فلا نعود نتأثر بمنظر البؤس والشقاء وقد لا تقع عينك على امثال هؤلاء مرة في الاسبوع او في الشهر فيكون منظرهم باعثاً في اذكاء ما كمن فينا من رأفة وحنان . انك لا تستطيع ان تكون رئيفاً اذا لم تجد من ترأف به ولا تعرف معنى البذل اذا لم تجد من تبذل له العطاء . فابناء

البؤس — بما يقدمونه من ميولهم ونفوسهم على مذبح البشرية العام — مدرسة تتعلم فيها معنى الرأفة والعطف

وقد تتهمني ايها القارىء بالعاطفية الشديدة وبأنني احاول ان اصنع من الامر الصغير شيئاً كبيراً

لك ان تفعل ذلك ، ولكن أود منك ان تصوّر لنفسك كيف يكون حال العالم فيما لو انتزعت من صدور الناس الاحساس بالتعاطف والشعور بشقاء الغير . اذا كان خيالك بحيث لا يساعدك على ذلك فما عليك الاّ ان ترجع ببصرك الى سنوات الحرب الكبرى لترى ماذا كان يعني تجرّد الناس من عاطفة الرحمة

ولك ان تعترض اعتراضاً آخر وهو : لماذا يشعر الاميركي بالعطف على الغير حينما يصله صدى صراخه ولا يشعر بصراخ الضعف في بلاده ، ان جانباً من الرد على هذا الاعتراض قد تقدّم وهو ان الضعف والشقاء في اميركا يختفيان بقدر المستطاع عن عيون الناس في المستشفيات والملاجىء ودور العجزة ، فلا يجد الاميركي ما يزخر نفسه بالألم ، وهو ليس له من الوقت ما يستعمل فيه خياله في استحضار صور الشقاء

اما الجانب الآخر من الرد على هذا الاعتراض فهو — في معتقدنا — ان الذين يقومون بجمع الاكتتابات يُختارون في الغالب من النساء والخطباء الملاسن الذين يستطيعون ان يتلاعبوا بسهولة بعواطف الجمهور تدعمهم في ذلك الصحافة العامة . ولذا فالاميركي له ما يجعله يتصور الشقاء في البلدان الاجنبية بوضوح بينما هو لا يجد ما يعينه على مثل ذلك في بلاده. ذلك انهم هناك يعالجون مشاكلهم معالجة محلية ، فلاتقام الحفلات الخطابية العامة ولاتتواطأ الصحف على تغذية هذه الحفلات الاّ في الحوادث الكبيرة التي تستدعي تضافر الامة جمعاء كما حدث لما فاض المسيسبي منذ سنوات

***

هذه سوانح من الافكار املاها منظر الشقاء في الضعفاء والمتسولين وغيرهم ممن خدعهم العالم والطبيعة عن نصيبهم في الحياة

وأخيراً ارجو الاّ يخامرك ايها القارىء انني استحسن وجود الضعف والشقاء لانهما يمنحان لنا القوة والسعادة ولانهما يوحيان لنا باحساس الرضى والقناعة ويعلماننا معنى التعاطف والرأفة انني اول من يتمنى ان لا يبقى في العالم شقي واحد . ولكن ما دام ابناء الضعف والشقاء بيننا وما دمنا عاجزين عن مداواة آلامهم فيخلق بنا ان نعرف لهم قدرهم وقيمتهم في الحياة

شرقي الاردن اديب عباسي

في جزيرة العرب

مناحي العمران الاجتماعية

فؤاد حمزه بك
وكيل خارجية الحجاز (١)

ليس من شك في ان العادات المحلية تختلف باختلاف البيئات والمواضع فالذي اصطلح عليهِ اهل البادية وتعارفوا على اتباعهِ قد يكون غير مؤتلف مع حالة اهل الحواضر والامصار. وللبداوة عادات بعضها انتقل بالتسلسل من الآباء الى الاحفاد وحوفظ عليهِ كما لو كان شرعة لا يصح الاخلال بها. وبعضها نشأ بحكم الضرورة القاهرة من شظف العيش وضيقه، وقساوة البادية ومرارة للعاش فيها كما ان للحواضر عادات تستوجبها ضرورات الحياة الهادئة المرفهة من تنعم في المأكل والمشرب وتبرج وزينة في الملبس والمظهر، ومن اشادة الآطام والقصور والاكثار من الفرش والخرثي وتسويع أسباب الراحة المادية بكل ما توصل الانسان الى ايجادهِ. ومع اننا عممنا استعمال لفظة عادات اهل الحاضرة على جميع السكان الحضر فانهُ من الواجب أن لا يند عن البال انهُ توجد اختلافات موضعية واقليمية عديدة بين مختلف الحواضر والبلدان. وكما أن هذا الاختلاف يشاهد على اتمه بين المدن المختلفة فانهُ يشاهد ايضاً في مختلف الطبقات في المدينة الواحدة. خذ لك مثلاً: احدى مدن الاقطار المقدسة الحجازية فانك لا تستطيع ان تجد عادة او عرفاً عاماً ينطبق على جميع أهل تلك المدينة بسبب اختلاف اطوارهم الناشيء عن اختلاط أجناسهم ولغاتهم وعروقهم وعوائدهم. فمكة المكرمة تتألف من خليط غير متجانس من الشعوب والامم الاسلامية التي وفدت اليها في أزمان وادوار متعددة وجاء كل واحد بعادات بلاده وعنصات قومه فاكتسب من محيطهِ شيئاً جديداً لم يمحُ ما انغرس في قلبهِ من عادات ألفها ونشأ عليها هو وقومهُ في بلادهم الاصلية

ان اختلاط الوافدين الى الاقطار المقدسة من سائر انحاء العالم الاسلامي قد نشأ عنهُ مزيج لهُ الآن ميزات خاصة لا تشبه المزايا التي كانت للوافدين في بلادهم الاصلية ولا هي تشبه المزايا التي كانت لاهل الحجاز قبل مجيء هؤلاء الناس اليهم. وقلَّ ان يستطيع المرء في مكة المكرمة وجدة ان يجد عائلات قديمة بل جل العائلات فيها ممن هاجر اليها واستوطنها منذ زمان قد يطول ويقصر واختلط الدم الهندي بالعربي والمغربي بالاعجمي والياباني بالاسود

(١) من فصل في كتابه «قلب جزيرة العرب»

المآكل

يُتناول الطعام في الحواضر على ثلاث دفعات في اليوم الواحد وتسمى واحدتها (وَجْبة) الاولى في الصباح المبكر وتسمى في نجد (الرَّيُوق) وفي الحجاز (فُسكوك الرّيق) والثانية في الضحى وتسمى (غداء) والثالثة بين العصر والمغرب أو بعد المغرب وتسمى (عشاء)

أما في البوادي فالعمدة في عدد الوجبات ومواقيتها على الظروف والتقادير ووجود الطعام وحالة الانسان الشخصية . إلاّ ان الغالب ان يكون العشاء أهم الوجبات وأترفها

ويتألف الريوق في نجد من اللبن الرائب والعسل والتمر والزبدة في الغالب وأما في الحجاز فيختلف عن ذلك وبعضهم يتناولون الطعام المطبوخ في الريوق ايضاً

واما الغداء في نجد فيتألف من الارز المطبوخ باللحم او الجريش وهو نوع من البر المجروش يطهى بالحليب والمرق او من المرقوق وهو نوع من الثريد او من القرصان وهو نوع آخر من الثريد او الشواء من اللحم

ويتألف طعام العشاء من نفس الانواع الاّ انهُ يعتنى به اكثر من الغداء وقد يزاد على الانواع الواردة في العشاء انواع من الحلوى المعمولة بالنشاء والحليب . وتوجد انواع اخرى من الاطعمة النجدية الاّ ان ما ذكرنا هو أهمها واكثرها شيوعاً واستعمالاً . ومن الضروري إضافة الحنينة وهي نوع من عصيد التمر والدقيق والسمن المطبوخ معاً الى المآكل النجدية الفاخرة

وقد يتفنن أهل الحواضر النجدية في طهي انواع أخرى من المآكل لا سيما البقول والخضر الاّ ان الاصناف التي أوردناها هي عمدة المعيشة المرفهة . فالبر والرز واللحم واللبن والتمر والسمن هي المواد الاساسية في المعيشة النجدية سواء منها معيشة الحاضرة أو معيشة البادية . وليس في معيشة الاخيرة ما يستحق أن يذكر لعدم عناية البادية بمآكلها من جهة ولعدم تمكنها من الزيادة عن الكفاف الضئيل من العيش من جهة أخرى

ويختلف طراز المآكل في الحجاز عنه في نجد من حيث تنويعها والعناية بطبيها . ولا يوجد طراز مخصوص يمكن تعميمه بل هنالك أنواع المآكل العربية الاصل أو المستعارة من الطراز التركي او الهندي او الجاوي . ويعتنى في الحجاز بالخضر اكثر مما يعتنى بها في نجد ولهم في طهي الخضر طرق عديدة وصنعة متقنة

ويكثر استعمال الاقاويه والابازير في الاطعمة النجدية والحجازية ، مثل الهيل والزعفران والعصفر والفلفل الاسود والكمون وغير ذلك من أنواع البهارات . ولكل اكلة خليطة مخصوصة بها تطلب من باعتها جاهزة

وطعام أهل القرى الحجازية والبادية أبسط كثيراً من أطعمة أهل المدن . فقد شاهدت أشخاصاً ذكروا لي انهم قبل وصولهم الى المدن لم يشاهدوا الارز ولم يذوقوه ومآكلهم هي

في الاكثر من محصول دورتهم وعوضاً عن دقيق البر يستعملون دقيق الذُّخن والذرة ويستعوض من ذلك أرغفة كبيرة تشوى على الحجر أو في الطابون [1] وتوضع بعد نضجها في إناء وتمزج بالعسل والسمن وتؤكل على هذه الكيفية

المشرب

المشروب الوطني في البلاد بأجمعها هو القهوة العربية وتطبخ بعد حمص حبوبها وسحقها في دلال من النحاس ويمزج بها نوع من البهار المعروف بالهيل . وبعضهم يستعمل القهوة بالزعفران أو بالقرنفل . وعلى كل فانها لا تمزج بالسكر بل تستعمل سُرَّة . وفي الجهات الجنوبية من البلاد في المنطقة المجاورة لليمن يستعمل الاهالي قشر القهوة مغليًّا وممزوجاً بالسكر كما أنهم يخلطون الزنجبيل بالقهوة

وقد شاع في الازمنة المتأخرة استعمال الشاي شيوعاً عظيماً يكاد ان يكون عامًّا في البادية والحاضرة وان دام الامر على هذا المنوال فقد لا يستغرب ان يحل محلها . ولا توجد أوقات معينة لاستعماله على نحو ما هو متبع في البلدان الاجنبية ، وانما جرت عادة اهل الحجاز ان يستعملوه بعد الطعام . وقد يستعملون النوع الاخضر منه بعد الطعام خاصة وفي الاوقات الاخرى يستعملون الشاي الاحمر المعتاد

ومما يكثر شربهُ في البادية وفي نجد على الاخص الحليب واللبن . وحليب الابل من أهم مواد الغذاء الرئيسية في البادية . فالابل تشرب المياه التي تعافها نفس الانسان وتصفيها في جوفها ثم تدرها للانسان حليباً لذيذ الطعم كثير الغذاء . ولا يستعمل حليب الابل الاَّ للشرب مع انه قد يوجد بين البوادي من يخرج من دسمه نوعاً من السمن يسمى الودك . واما حليب البقر والماعز والغنم فانه يخمر ويستخرج منه السمن ويشرب الباقي منه باسم مخيض او شنيشه . وجميع السمن يستخرج من اللبن الرائب [2] ولا يوجد من يستخرجه رأساً من الحليب . وأما الجبن فغير مستعمل في نجد على الضدّ من الحجاز فان أكثر الحليب يترك في الآنية الى ان تتجمع على سطحه طبقة الدسم فتؤخذ ثم يستعمل الحليب لاستخراج الجبن منهُ . ويوجد من يشرب حليب البقر والغنم والماعز قبل تخمره ممزوجاً بالزنجبيل واستعمال هذا يكثر في جهات عسير . هذه هي المواد المستعملة للشرب غير الماء القراح

أما المياه فانها تختلف عذوبة وملوحة وصفاء بالنسبة الى المواقع المختلفة . ومنها ما هو محصول الينابيع والآبار ومنها ما هو من مياه الامطار او الآلات المقطرة . وماء الشرب في ينبع وجدة انما هو من الماء المستقطر من مياه البحر الملح

---

(١) فرن بسيط مصنوع من اناء كبير من الخزف يحمى جيداً وتلصق الارغفة على جدرانه ويسمى في بعض البلاد العربية باسم تنور (٢) يسمى اهل نجد اللبن الماضي «رُوبا»

ويوضع الماء في المدن الحجازية في أواني خزفية يدعونها (أزيار) لتصفيتها وتبريدها . وأما نجد والبادية فان الماء فيهما يوضع في القِرَب على الغالب

الملبس

مع ان الملابس المستعملة في انحاء البلاد هي الملابس العربية ، فانهُ من الصعب ان نحصر أشكالها في طراز واحد عام

فلباس الرأس في نجد وفي البادية بأجمعها هو الغُتْرَة [1] والعقال . وفي الحجاز هو العمامة او الغترة فقط وتسمى في الحجاز عمادة . وتوضع الغترة على الغالب فوق طاقية صغيرة تعمل في نجد من قماش الصوف وتحشى بقليل من القطن وفي الحجاز من قماش القطن الابيض . والعقال على أنواع : فمنه عقال الصوف الأسود او الأبيض ومنه عقال الصوف المقصب او الحرير المقصب . وقد يستعمل البدوي قطعة من الحبل او الجلد المفتول بمثابة العقال. ومشايخ الدين في نجد وكافة الاخوان يضعون الغترة بدون عقال أو يعصبون على الغترة عصابة من قماش الشاش الرقيق . وأما في بادية الحجاز وعسير فان العقال قليل الاستعمال وكذلك الطاقية وتستعمل الغترة كغترة وعصابة في آن واحد . وفي مدن الحجاز تستعمل الغترة بأن تلف فوق كوفية من قماش القطن المنشّى . وأما العمامة الحجازية فانها تتألف من قسم يشبه الطربوش بشكله الا انها تعمل اما من الخصف واما من القماش المطرز بألوان زاهية من اخضر واحمر واسود وابيض وتعصب العمامة البيضاء فوق هذه الاسطوانة من أسفلها ويترك اعلاها بارزاً لتظهر الالوان . وتكون الغتر اما من الصوف واما من قماش القطن الملون او المرقط او من قماش الحرير المطرز . ولباس الجسم عموماً يتألف من ثوب من قماش القطن وقد يكون الثوب ذا أردان تنتشر من المرفق او بدون الاردان كما انه قد يكون الثوب طويلاً حتى كاحل الرجل او قصيراً حتى الركبة او دونها بقليل . وقد يستعمل حزام من القماش او الجلد فوق متوسط الثوب كما هي الحالة بين بادية الحجاز وعسير او بدون ذلك كما هي الحالة في نجد وبادية شمال الحجاز. واستعمال السراويل تحت الثوب محصور في طبقة مخصوصة بين البادية وحواضر نجد . وفي ما عدا ذلك فالثوب يستعمل من دون السراويل

اما العباءة فانها الشعار العربي البين ، وهي من قماش الصوف الرفيع او المتين توضع على المناكب فوق الاثواب . ومنها انواع عديدة من حيث اللون والقماش والخفّة والثقل . وهي من المصنوعات المحلية لها أسواق ومغازل مختلفة ومنها شيء يجلب من خارج البلاد

ذكرنا ان الثوب هو اللباس العام وليس معنى هذا انه لا يوجد ما يستعمل سواه. وانما خصصناه بالذكر لانه أعم انواع الملابس استعمالاً بل يمكن القول انه هو الاساس والانواع

(١) قطعة من القماش مربعة تطوى طيتين على شكل مثلث قاعدته تكون في مقدمة الرأس فوق الجبين

الاخرى هي تبع له . وقد يلبس فوق الثوب نوع آخر من الملابس يسمى زبون [1] وقد يزاد فوق كل ذلك وتحت العباءة معطف صوفي او حريري او قطني

ويستعمل فوق الثوب في مدن الحجاز والحسا غير الزبون والمعطف نوع آخر هندي الاصل يسمى «شايلة» وهي مثل الزبون إلاَّ انها تختلف عنه بأنها أقصر من الزبون ولها ازرار فوق الصدر . ولا يفوتنا ان نذكر الجُبَّة الحجازية أيضاً فانها تلبس فوق الشايلة عوضاً عن العباءة . وتعمل الجبب من جميع أنواع الأقمشة الصوفية والقطنية والحريرية الأبيض منها أو الملون . اما لباس الاقدام فهو النعال الوطنية المعمولة من الجلد المدبوغ في البلاد بألوان مختلفة زاهية ولا تدخل المسامير في صنعها بل تُخاط بالخيطان او السيوت . واكثر البادية لا يستعمل النعال مطلقاً بل يسير البدوي حافي القدمين . وملابس النساء تختلف بالطبع عن ملابس الرجال بحسب أحوالهن مع ان الأساس في الاثنين واحد

الزينة والتبرج

يطلق الرجال شعر الرأس كالنساء في اكثر انحاء البلاد . ويضفر الشعر غدائر تتدلى على المنكب والاكتاف وتُمسَّخ بالطيوب المختلفة . واما المتقدمون في السن من الرجال او مشايخ الدين فانهم يقصون شعر الرأس . وفي الحجاز يحلقونه او يقصرونه كثيراً ، واما النساء فمن البديهي انهن يحتفظن بشعرهن كما هو ، ولم تدخل بينهن عادة قص الشعر

ويطلق عموم السكان لحاهم ولا يحلقون منها الاَّ ما كان تحت الذقن او ما نبت من الشعر على كراسي الخدود . واما الشاربان فيتركان على حالهما وانما يقصران عملاً بالحديث المأثور « حفوا الشاربين واطلقوا اللحى »

ولا يلبس الرجال الحلي الذهبية ولا غيرها . كما انهم لا يلبسون الملابس الحريرية الاَّ قيما ندر في بعض المدن الحجازية . واما النساء فليس عليهن حرج في هذا الباب

وعادة الاكتحال والتضمخ عادة فاشية عموماً بين النساء والرجال في نجد والبادية كلها . واحسن انواع الطيب عود الند وعطر الورد وعطر العود والزباد [2] ولا توجد بين النساء عادة استعمال المساحيق . ويتختم اكثر الرجال في نجد بخاتم فضي فصُّه من العقيق يحفر عليه اسم حامله ويلبس في خنصر اليد اليمنى

ويحمل الرجال بعض انواع الاسلحة كالجَنْبيَّات او المسدسات او السيوف وقد شاهدنا ان كثيرين في البادية يحملون عوض الجنبيات مدًى عادية يستعملونها في احتياجاتهم اليومية العديدة . واكثر البدو يحملون علاوة على ذلك منقاشاً وملقطاً شعريَّاً وموسى صغيرة لاقتلاع الشوك من الايدي والارجل

(١) يسمى في الخارج تبازاً (٢) عطر يستخرج من غدد بعض الحيوانات الثانية

وعادات الاستياك بمسواك من جذور شجر الاراك عادة عامة تقريباً . وهي مستحبة قبيل الصلاة مباشرة . والنساء يستعملن الحِنّاء لطلاء اليدين والرجلين وتلوينها بها

الأفراح والمآتم

أصبحت العادات المتبعة في الافراح والمآتم خلاف ما كانت عليه قبيل قيام الحكومة الحاضرة التي حملت الناس على عدم الخروج عن حدود الشرع فيما يتعلق بذلك . فقد أبطلت عادة إحياء الموالد وحلقات الذكر المشهورة في الامصار. ولم يعد في الامكان استعمال آلات الطرب التي كان استعمالها مباحاً من قبل. وجل ما يمكن السماح به استعمال النقارة والحداء

ففي حفلات الزفاف لا يتعدى الامر اجتماع الناس للتهنئة واجراء العقد وحضور الوليمة في مدن الحجاز يسير العريس في الليل الى منزل العروس بين المشاعل وسط لفيف من اقرانه وأصدقائه . ولا يكتب عقد الزواج بصك كما هي العادة في سائر الامصار إلاّ في حالات قليلة جدًّا . وقد ابطلت عادات الندب على الموتى واللطم في الجنائز. واكرام الميت دفنهُ بعد غسله والصلاة عليهِ فوراً . ومن الحفلات التي كان لها أهمية كبيرة فيما سبق حفلات الختان وحفلات ختم القرآن . وبالنسبة الى أهل مكة فان حفلة السلام على من يعود من زيارة المدينة المنورة من أبهى الحفلات واجلها . وعلى ذكرنا للختان لا نرى بدًّا من ذكر عادة سيئة من اقبح عادات بدو الحجاز وعسير وهي عادة سلخ الشاب المراهق في حفلة تتجلى فيها كافة الوان القظاعة والوحشية على ملأ من الناس ومشهد من اتراب المسلوخ واقرانهِ. والويل والعار لكل شاب يظهر ألماً او تململاً بينما تعمل موسى السالخ في جلده وقد أبطلت هذه العادة القبيحة بعد ان كانت عامة بين كثير من قبائل الحجاز وعسير مثل هذيل وغامد ورجال ألمع وفهم وغيرهم

تربية الاطفال

وعناية البدو بأطفالهم قليلة جدًّا . فالطفل منذ ولادته رفيق والدته تحمله معها في اعمالها اليومية او تتركه في الخيمة الى كان عملها فيها . وحينما يصبح الولد قادراً على السير تستصحبهُ امهُ او اخوته معهم اثناء العناية بالانعام ورعيها . ولا يعتنى بالطفل من الوجهة الصحية والنظافة كما انهُ لا يعتنى بتعليمه وتدريبه . ومتى اصبح قادراً على رعي الحيوانات بمفرده كلف بها وعهد اليهِ بحراستها والعناية بأمرها . واما في الحواضر فالحالة تختلف بالطبع عما هي عليهِ في البادية . فتربية الاطفال والعناية بهم من الوجهتين الصحية والدينية ثم تعليمهم امر من اوامر الدين التي يراعيها الكثيرون . ولا يوجد حد معين لبقاء الطفل مع امهِ وانما الغالب انهُ بمجرد صيرورته قادراً على تدبير شؤون نفسه يتعلق بأبيهِ او باخوتهِ، واذا راهق زُوّج وبعد الزواج قد يبقى مع والديهِ ولكنهُ في الغالب ينفصل عنهما

وسن الزواج ليس لها حدّ معين . وعادة تزويج القاصرين ما تزال جارية الى يومنا هذا

معاملة الابل

لا تقل عناية العرب بالابل عن عنايتهم بالخيول وتزيد حاجتهم اليها عن كل ما عداها فانها ضرورية في انتقالهم وفي حروبهم وغزواتهم ومن اجل حليبها ولحمها ووبرها . وفي البادية كثيرون لا يملكون من حطام الدنيا الاَّ ناقة تدر عليهم من خيرها فيقتاتون به في حياتهم القاسية وتملك هذه البلاد اكبر عدد من الجمال كما انها تملك أجود الانواع واحسنها

ولأجواد الابل انساب تحفظ ويعتنى بها مثل ما يعتنى بنسب الخيول الأصيلة وهذه الاجناس يمكن حصرها فيما يلي :

الابل العهانية وهي أسلس الانواع قياداً واكثرها راحة

الابل الحرة وهي اقوى من العهانية واكثر جلداً وصبراً

الابل الباطنية وهي مثل العهانية

الابل الدرعية وهي مثل العهانية من حيث سهولة ركوبها ومثل الحرة من حيث قوتها

الابل الحوارة وهي سهلة الركوب الاَّ أنها دون الاجناس الاخرى

الابل الجرْمية وهي أدنى اصناف الابل

ويجمل بنا في هذا المقام ان نذكر الاسماء الاصطلاحية التي تطلق على الابل في نجد وهي : —

الجمال : تفيد النوع مطلقاً

الابل : تطلق على الاناث التي لا تركب وهي التي تلد وترضع صغارها ولكنها لا تحلب

الناقة : واحدة من الابل سواء اكانت تحلب ام لا

المسح : الابل التي يستدرُّ حليبها وهي غير التي يرضعها ولدها

الخيش : انثى الجمل التي تستعمل للركوب فقط

الذلول : واحدة من الخيش

الرَّمْل : الذكور من الجمال اجمالاً

البعير : لا يستعمل الاَّ للذكور

الهجين : لا تستعمل في نجد ولكنها تعني الذلول

وتسمى الناقة الحبلى اللقحاء والتي تجر وراءها ولدها الخلفة والتي يصحبها ولدها الذي لا يزيد عمره عن عشرة اشهر عشرة

ولصغار الابل أسماء مختلفة بحسب السن التي تبلغها . فيقال للذي عمرهُ أقل من سنة حوار وتمام السنة مفرودة ، وتمام سنتين حقَّة ، وتمام ثلاث سنين لقيَّة ، وتمام اربع سنين جذعة ، وما فوق ذلك الى خمس سنين ثنيَّة ، وما فوق خمس سنين رباع

والانثى من جميع هذه تسمى بَكْرَة والذكر قَعُوداً

الفيتامين

للدكتور حسن كمال

يطلق هذا الاسم على عدة مواد مجهولة التركيب توجد عادة ضمن المواد الغذائية في مقادير صغيرة وينشأ عن نقصها عدة حالات مرضية متباينة

وربما كان Lunin لونان اول من اجرى تجارب عديدة باطعام حيوانات اغذية لا فيتامين فيها وذلك عام ١٨٨١ . ثم اتضح بعد ذلك في بلاد الانكليز عام ١٩٠٦ — ١٩١٢ بواسطة هوبكنز Hopkins ان الحيوانات التي تطعم هذا الغذاء يقل وزنها ثم تموت ولكن اذا اضيف الى هذا الغذاء شيء من اللبن تحسنت صحتها وزاد وزنها . وفي المدة الواقعة بين سنتي ١٩٠٩ و١٩١٢ اثبت الاستاذ ستب Stepp صحة تجارب كل من لونان وهوبكنس بأن الغذاء الحيواني يلزم له مواد حيوية تعرف بالفيتامين بخلاف مواده الاخرى كالزلالية والنكرية والنشوية

ثم ثبتت صحة هذه المباحث بعد ذلك على وجه قاطع في بلاد الانكليز والولايات المتحدة لكن لم يتوصل الباحثون الى معرفة هذه المواد حتى عام ١٩١٣ لما اثبت كل من مكلُم MoCullum وداڤيس Davis ان بعض الاغذية العديمة الفيتامين يمكن ان يُسَدَّ عجزها باضافة بعض مواد من البيض والزبدة المذابة في الاثير . لكن هذا العجز لم يتيسر سدُّه في كل غذاء وبقيت عدة اغذية اخرى ناقصة الفيتامين لم يتمكن القوم من معرفة السر في نقصها حتى عام ١٩١٥ لما تمكن كل من الاستاذين الاخيرين من حل هذه العقدة . ففي تلك السنة اثبتا ان هذه المواد تقسم الى نوعين نوع يذوب في الدهن واطلقوا عليه حرف أ ـ A ونوع يذوب في الماء واطلقوا عليه حرف ب ـ B

﴿الامراض الناتجة عن نقص الاغذية﴾ لكن قبل الزمن المذكور اعلاه اعتقد الناس ان هناك امراضاً تنشأ عن انعدام بعض المواد في الاغذية وان هذه الامراض يمكن اتقاؤها باضافة هذه المواد الى الاغذية . فمرض البرى بري Beri—beri مثلاً كان معروفاً انه ناجم عن اكل الارز دون قشره الخارجي . وفي عام ١٨٩٧ اثبت الاستاذ ايكمان Eijkman ان الدجاج الذي يغذى بمثل هذا الارز يصاب بالمرض ايضاً

وكانت نتيجة هذا الاكتشاف ان انتقل ميدان البحث في الفيتامين الى المعامل الكيماوية حيث صادف من النجاح نصيباً كبيراً . واتضح وقتئذ ان هذا المرض المعروف باسم (برى بري) هو نتيجة فصل قشور الارز من الغذاء وان الدجاج او الطير الذي يصاب بهذا المرض يشفى منه

اذا غذّي بهذه القشور او نقوعها . ثم امتدّ البحث العلمي بعد ذلك وتناول انواع الفيتامين الاخرى من حيث كنهها والمقادير اللازمة منها واثر ارتفاع الحرارة فيها وكذلك تأكسدها

واتخذ البحث في كنه مرض الاسقربوط نفس السير الذي اتخذه في مرض البرى بري ففي عام ١٩٠٧ اثبت كل من هولست Holst وفروليخ Frohlich ان خنازير الهند اذا غذّيت بالحبوب والماء فقط دون الكرنب الحاوي للمواد الخضراوية اصيبت بداء الاسقربوط . وان هذه الخنازير تشفى من المرض اذا غذيت بالكرنب الاخضر وبعض الفواكه . ثم اتضح بعد ذلك ان القردة تصاب بالمرض . وتمكن الباحثون من معرفة نوع المواد الفيتامينية اللازمة للوقاية من داء الاسقربوط والمقدار اللازم منها

وأتى الاستاذ فونك Funk عام ١٩١٢ واطلق اسم (فيتامين) على هذه المواد . وازداد العلماء بحثاً فيها الى ان توصلوا الى معرفة عدة انواع منها اطلقوا عليها الاحرف الابجدية وهي ا ـ A ، ب B_1 ، ب B_2 ، ج C ، د D و ه E فنعمد الآن الى شرح كل نوع على حدة : —

الفيتامين A ـ ا : — يكثر في كبد الحيوانات ذوات الثديين والاسماك وفي بعض الاحيان (كما هو الحال في كبد الحوت) يوجد هذا الفيتامين مصحوباً بالفيتامين د (D) وفي الاخرى لا يوجد الا بمفرده (كما هو الحال في كبد الغنم والبقر) . ويوجد الفيتامين ا (A) ايضاً بكثرة في النباتات الخضرة وان مقداره هناك يكثر كلما طال تعرّض هذه النباتات للشمس . وهذه النباتات هي المنبع الذي تستمدّ منه الاسماك والحيوانات ذوات الثدي ما فيها من الفيتامين (A) . وهو قليل في الزبدة والفواكه وبعض الخضروات ولا يتأثر هذا الفيتامين بسرعة اذا تعرض للهواء او ارتفاع الحرارة . وقد اثبت كل من جرين Green وملانبي Mellanby ان هذه المادة تمنع الالتهاب وتقي الجسم من الامراض المعدية المصحوبة بالتهاب وتلف الاغشية المخاطية دون ان تزيد في حصانة الجسم العامة . واثبتت التجارب ايضاً ان هذا الفيتامين لا تأثير له في سير الدرن في الجسم او غيره من الامراض المعدية الا اذا اعطيت منهُ مقادير كبيرة . لكن ملانبي Mellanby وجرين Green بيّنا ان هذا الفيتامين يلطف كثيراً من حدة التسمم النفاسي بل ويقلل من وقياته . واستنتج ملانبي بعد ذلك ان قلة فيتامين ا ـ A بالجسم تساعد على اصابته بالنزلات الانفية الحلقية والروماتزم الحاد والدرن والنزلات الشعبية والالتهابات الرئوية والتهاب الاذن الوسطى وتقرحات الفم والعين والانف . لكن الباحث التي تلت ذلك اثبتت ان تعاطي فيتامين ا — A لم يحدث حصانة ضد امراض الجهاز التنفسي والنزلات الانفية في الاطفال والاصابة بالامراض المعدية عموماً والتهاب ذات الرئة . ويدعي اليسون Ellison انهُ تمكن من تقصر نسبة الوفيات بالحصبة بوصف فيتامين ا ـ A و د ـ D للمصابين بها . وهو يقول كذلك ان هذا النقص هو نتيجة تحصين الجسم ضد المضاعفات الرئوية القتالة

والثابت ان قلة فيتامين ا — A في الجسم يحدث فيهِ حالات مرضية مثل جفاف الملتحمة Xerophthalmia والعشى Night—blindness والنزلات الرئوية . وقد ثبت ان اقطاراً كثيرة لا يتعاطى سكانها المقدار اللازم من فيتامين ا — A ومن هذه البقاع بلاد الانكليز والولايات المتحدة وهولاندا

واوضح المستر دان W. J. Dann ان الاجنة والاطفال لا تتناول مقداراً كافية من فيتامين ا — A في ارحام امهاتها وفي الالبان التي تشربها . وان الاكثار من تعاطي هذا الفيتامين وقت الفطام من ازم ما يكون للصحة . ويكثر فيتامين ا — A في دهن الحيوان وزيوت الاسماك

﴿ الفيتامين (ب١) او (B١) ﴾ اطلق الاستاد ايكمان Eijkman هذا الاسم على الفيتامين الذي يقي جسم الانسان من مرض البرى برى ويشفيهِ منهُ كما يقي الحمام من مرض التهاب الاعصاب العام ويشفيهِ منهُ وهو قابل للذوبان في الماء ولا يتأثر اذا أغلي هذا المحلول بضع ساعات لكنهُ ينعدم بسرعة اذا كان هذا الغليان تحت ضغط متزايد ودرجة حرارة ١٢٠ سنتجراد

وقد توصل القوم الى عزل الفيتامين ب١ (B١) هذا وتمكنوا من شفاء الحمام المصاب بالتهاب الاعصاب العام باعطائه مقداراً يتراوح بين $\frac{1}{100}$ ملليجرام يومياً

ومرض البرى برى الذي يشفى بهذا الفيتامين يكثر في بلدان مختلفة

﴿ الفيتامين (ب٢) (B2) ﴾ : اذا غذي فأرٌ بغذاء قليل مقدار الفيتامين ب٢ امتنع جسمه عن النمو بدون ان ينحف او يقل وزنه ويعد بضعة أسابيع تظهر على جسمه لطخ جلدية التهابية واعراض مرض البلاجرا بشكل واضح . ومن ثمَّ ثبت ان داء (البلاجرا) هو نتيجة قلة تعاطي الفيتامين ب٢ في الغذاء

وفي عام ١٩٢٧ اثبت جولدبرج (Goldberg) ان هذا الفيتامين يكثر في الخميرة (Yeast) واللحم الاعجف (Lean meat) ومقاديره متوسطة في اللبن والبيض والقمح والطاطم

واثبتت التجارب في الولايات المتحدة ان تعاطي مقادير كبيرة من فيتامين ب١ وب٢ يحدث في الاطفال زيادة في النمو والوزن بشكل واضح للغاية

﴿ الفيتامين (ج) (C) ﴾ هذا الفيتامين يقي الجسم من مرض الاسقربوط ويكثر في اوراق النباتات الخضرة وعلى الاخص الكرنب وكذلك عصير الليمون والبرتقال والعنب والطاطم وبعض اللفت . وهو قليل في اللحوم والالبان والبطاطس والخضروات والفراكه

وهذا الفيتامين يفقد فائدته في العلاج بالتأكسد بسرعة وعلى الاخص اذا ارتفعت درجة حرارته . وهذا هو السر في زوال مقادير كبيرة منه في الغذاء المطهي او المجفف

والمعتاد الآن ان كل طفل يغذى غذاءً اصطناعياً يعطى عصير الفراكه شراباً وذلك بقصد منعه من الاصابة باسقربوط الاطفال لان لبن البقر قليل مقدار الفيتامين (ج) (C)

ولوحظ في بلاد الانكليز (مانشستر وجلاسجو ونيوكاسل عام ١٩١٧) ان الاسقربوط ظهر بين الاهالي هناك نتيجة عدم وجود مقادير كافية من البطاطس في اغذيتهم ويفضل بعض الاطباء الاكثار من الخضراوات وانواع السلطة والفواكه . وقال بعضهم ان الانسان يجب ان يأكل خضراوات وفواكه بمقدار ما يأكل من اللحم وان يتناول لبناً بما يعادل ثمن القيمة ايضاً (وهذا طبعاً فيما يختص بالاطفال والبالغين دون الرضّع)

واظهر البحث ايضاً ان قلة تناول فيتامين (ج) (C) يمنع نمو الاسنان جيداً وتكوين طبقاتها كالمعتاد ولا يبعد ان تكون قلة هذا الفيتامين سبباً من اسباب تحر الاسنان كما هي الحال ايضاً مع الفيتامين (د — D)

﴿ الفيتامين د — D ﴾ اكتشف الاستاذ هولدشنسكي Holdschinsky عام ١٩١٩ ان تعرّض المصاب بالكساح للاشعة فوق البنفسجية المنبعثة من نور الزئبق يشفيه من هذا الداء . ثم اتى بعده كلٌّ من هس Hess وأونجر Unger عام ١٩٢١ واثبتا ان هذه الاشعة بعينها موجودة في ضوء الشمس وان التعرض لاشعة الشمس يسفر عن النتيجة نفسها

ثم اتى ستينبُك Steenbock وبلاك Black عام ١٩٢٤ واثبتا ان غذاء الفيران اذا عرّض للاشعة فوق البنفسجية تولّد فيه فيتامين د — D وهو الذي يمنع الاصابة بداء الكساح عند هذه الحيوانات ويشفيها منهُ ايضاً . ثم اتضح بعد ذلك ان الزيوت النباتية اذا تعرضت لنفس الاشعة تتولد فيها مقادير كبيرة من هذا الفيتامين ايضاً . وفي عام ١٩٢٤ اثبت الباحثون ان مادة الكولسترول Cholestrol التي في اغلب الزيوت الحيوانية وما يماثلها من المواد في الزيوت النباتية اذا تعرضت للاشعة فوق البنفسجية انقلبت الى مادة قوية شافية للكساح

ومضى العلماء بحثاً في الموضوع فاتضح ان المادة التي تتأثر بالاشعة ليست هي الكولسترول وانما هي مادة اخرى في الكولسترول تعرف باسم ارجوسترول ergosterol وهي تكثر في الخميرة Yeast وفي « أرجوت » الجاودار ergot of rye . والظاهر ان تأثير الأشعة فوق البنفسجية في جسم الحيوان انما يتلخص في كثرة تكون فيتامين د — D في الجلد بفعل الاشعة المذكورة في مادة الارجوسترول التي في الجلد . ثم يمتص الدم هذا الفيتامين ويدخل الجسم كما يدخله عن طريق الفم والامعاء

ومن ثمَّ يتضح ان الفيتامين د — D يمكن التداوي به عن طريق الفم او عن تعريض الجسم للاشعة . والكساح الآدمي سرعان ما يشفى بتناول مقدار يتراوح بين ٢ و ٤ ملليجرام من الارجوسترول المعرّض للاشعة

وفيتامين د — D قليل في الاغذية العادية انما يكثر في زيت كبد بعض الاسماك وزيوت الاسماك الاخرى . وهو قليل في اللبن والزبدة ولكن مقداره هناك يختلف بحسب الفصول

أو بعبارة اخرى بمقدار تعرّض الحيوان لأشعة الشمس في تلك الاوقات

وتوصل البعض الى اطعام الابقار زيت كبد الحوت ووجدوا أثر ذلك ان البان هذه الابقار حوت مقادير كبيرة من فيتامين ا و د (A & D)[1]

﴿ الفيتامين (هـ — E) ﴾ اكتشف كل من ايفانس Evans وسكوت Scott عام ١٩٢٢ ان العقم في ذكور الفيران وانثاها انما هو نتيجة قلة تناول الفيتامين هـ الذي يذوب في الايثر ويمكن بهذه الطريقة استخراجه من الخضروات

ويكثر هذا الفيتامين في القمح النابت وأوراق الخسّ، ولكن مقاديرهُ متوسطة في كل الحبوب وفي الزيوت المستخرجة منها، وفي الاوراق الخضر النباتية جافة كانت او رطبة وكذا في الفواكه . وهو يوجد أيضاً في اللحوم والدهن الحيواني وصفار البيض واللبن . وهو يكاد يكون معدوماً في الخصيتين والكبد والكليتين والمخ وزيت كبد الحوت والخميرة والدقيق والارز المقشور ولا يتأثر هذا الفيتامين بالطهي . وقد تمكن القوم من استحضار هذا الفيتامين بشكل مركّز حتى ان تعاطي مقدار يسير منهُ يبعث على الحمل

﴿ الفيتامين والغذاء ﴾ ان تناول انواع الفيتامين في الغذاء امر ضروري لكل شخص وعلى الاخص الاطفال والنساء الحوامل والمرضعات لان قلة تعاطي الفيتامين في الرضاعة والطفولة يحدث تأثيراً سيئاً في دور البلوغ . فالاطفال الذين لا يتناولون المقادير الكافية من الفيتامين يتعرضون للاصابة بالاسقربوط والبريبري والبلاجرا والكساح وجفاف الملتحمة وتلف الاسنان الخ

ولما كان غذاء الجنين والرضيع هو عن طريق امه وجب عليها ان يكون غذاؤها حاوياً لكل انواع الفيتامين بمقادير كافية . ولا يبعد مطلقاً ان تكون هناك حالات مرضية اخرى لا نزال نجهلها ناتجة عن قلة تعاطي انواع اخرى من الفيتامين

ويرى الباحث في الجدول التالي بياناً بأهم منابع الفيتامين في الاغذية المعتادة . لكن مقادير هذه الانواع من الفيتامين غير ثابتة . ويتضح من الجدول ايضاً ضرورة تنوع الغذاء وعدم قصره على انواع مخصوصة فان الحالة الاولى تمكن الشخص من تناول انواع الفيتامين المتعددة بينما الحالة الثانية لا تمكنهُ الاّ من تناول بعض انواع الفيتامين فقط دون الانواع الاخرى

﴿ طريقة تفاعل الفيتامين في الجسم ﴾ لا تزال هذه الطريقة مجهولة . ولكن ضرورة هذه المواد للجسم ونتيجة استعمالها يجعلانها كثيرة الشبه بمفرزات الغدد الصم كالادرنالين . ويظهر ان جسم الانسان والحيوان في حاجة الى بعض العقاقير التي لا يمكنهُ ان يصنعها بواسطة احشائه وان من هذه العقاقير انواع الفيتامين المذكورة . والابحاث المقبلة كفيلة باظهار الحقيقة

(١) راجع مباحث Zilva, Drummond, Golding

منابع الفيتامين في الاغذية المتادة

الاسم	ا	ب١	ب٢	ج	د	هـ	الاسم	ا	ب١	ب٢	ج	د	هـ
اللحم		+	++			+	الحبوب		+++	+			+
كبد ذوات الثدي	+++	++					بطاطس		+		+		
السمك							لفت		++		+++		
زيت كبد السمك	+++				++		فواكه غير مطهية				+++		
اللبن	+	+	+	+	+	+	دقيق ابيض		+				
الزبدة	+				+	+	دقيق اسمر	+++	+++	+			+++
الجبن	+				+		ليض	+++	+++	+			+++
المسلي النباتي						+	خميرة		+++	+++			
خضراوات غير مطهية	++	++		+++		+++							
خضراوات مطهية	++	++		+		+++							

رافائيل

لألفونس دي لامرتين

تكاد تكون رواية رافائيل أبلغ ما جادت به قريحة لامرتين المبدعة لانه أودع فيها كل عواطف نفسه وخوالج فؤاده . فقد عشق وتيم . وكان عشقه وتيمه أشبه بأشعة الوحي التي لا تنير ما حولها فقط بل تخلق جواً يمتد مع الزمن فيستضيء به كل الذين يشرهم . لان تيمه كان عفاً . وهيامه طاهراً نقياً . وهذا الضرب من الحب هو قيمة العواطف السامية . وعظمة قلب الروح وترفعها كدخان البخور الى السماء التي هبطت منها وتسمو بها الى الخلود الذي منه بدأها واليه معادها

ولما كانت هذه الرواية تحت الترجمة رأينا أن ننقل من أوائلها نبذة يصف بها لامرتين حبيبته جوليا التي صادفها في الفندق ولم يكن بعد قد تعرف اليها ولا خاطبها بكلمة . قال :

كانت جالسة وعلى رأسها ركن من الشال ليقيه وطوبة الليل ، وهي منهالكة على نفسها قد أمالت عنقها على كتفها اليسرى ، وأغمضت عينيها . فشحب وجهها وتكرث أساريرها ، وغامت في فكرة صامتة ، فبدت كأنها تمثال الموت ، ولكن الموت الذي يجذب ويبعد النفس عن مشاعر الآلام البشرية ، ويحملها الى ربوع الضياء ، تحت أشعة الحياة الحقيقية

وقد احدثت قدماي صوتاً على اوراق الكرم اليابسة ، ففتحت عينيها اللتين كانتا بلون البحر الصافي . وهما لوزيتا الشكل ، ذابلتان من ضعف الجفون . تحيط بهما أهداب حريرية سود طويلة الكحل الطبيعي . الذي تعمد الشرقيات الى تقليده بتكحيل عيونهن ، ليزددن في شدة سحرها ، وليمنحن فتورها قوة وذبولها مضاء

وكانت نظرات هاتين العينين كأنها منبعثة من مكان سحيق ، لم ارَ لها مثيلاً في عين انسانية اخرى ، فتشبه تماماً نيران الكواكب التي تسعى اليك لتمسك في لياليك ، والتي تقبل من السماء من بعد شاسع لا يدرك له مدى

ويتوسط وجهها الشفيوناني ، يتصل بخط لا التوائي بجبهة مرتفعة منكشة ، كأنها مضغوطة بفكرة قوية ، وكانت شفتاها رقيقتين منخفضتين قليلاً من طرفيهما بثني ، تحفره عادة يدُ الحزن ، واسنانها من عروق اللؤلؤ لا من العاج ، تماثل اسنان فتيات الشواطىء البحرية الرطبة ووجهها بيضي قد تناولهُ الهُزال حول الصُدغين وتحت الفم ، فهو والحالة هذه ، اشبه بهيئة مجسمة للفكر لا مُحيّا لمخلوق بشري ، يعبر عن ذبول خفيّ ، يتراوح بين فتور الالم وفتور الهُيام ، فلا يتسنى للنظر ان ينحرف عنهُ ، دون ان يحمل صورته في سوداته

وكانت هذه المخلوقة رؤية لدلم تعرِ مُعْدَم تحت مظهر ابدع جمال حَلِم به انسان رقيق العواطف دقيق الشعور

ألقيتُ عليها السلام باحترام كلي، واسرعت الخطاة في الممرّ الممتدّ امامها . وكأن هيئتي الرزينة وعينيّ المطرقتين تسألها العفو والمغفرة ، لإزعاجي اياها عن غير عَمْد

فلما وقع نظرها عليّ ، ورأتني مقتربًا منها ، انصبغت وجنتاها الشاحبتان بلون احمر خفيف فدخلت غرفتي وقد اصابتني رِعدة لا ادري ماهيتها

وبعد دقائق قليلة نهضت من مكانها ، ودخلت المَزل وهي تلقي على نافذتي نظرة لامبالاة فيها ولا اكتراث. وفي الايام التالية كنت اشاهدها في الحديقة وفي القناء ، وفي السهول والجبال والوديان وعلى صفحات البحيرة . لكن محادثتها لم تخطر لي ببال ، بل لم تدفعني الجرأة الى الافضاء اليها بكلمة سوى السلام ، فكانت ترده اليّ بذهول محزن وتعاود سيرها ، كما اداوم انا طريقي ، دون ان يفكّر احدنا بالآخر

ومع ذلك كنت أشعر في مساء اليوم الذي لا اراها فيه ، بأني حائر النفس حزين القلب ، فكنت اتحدر الى الحديقة دون قصْد ولا غاية ، فأمكث فيها على الرغم من المطر وبرد الليل ، وعيناي معلّقتان بنافذتها ، وكان يشقّ عليّ ان اعود الى غرفتي دون ان يكتحل ناظريّ برؤية خيالها يموج بين السُّتُر ، او ان تشنّف أذُني نغمةٌ من التي تُرقصها على البيانو ، او ان اسمع رنة صوتها العذب الممزوج بلحن غريب ساحر

وكانت الغرفة التي تقضي فيها ساعات المساء ملاصقة لغرفتي ، لا يفصلها عنها سوى باب ضخم من خشب البلّوط مقفل بمزلاجين ، فكان يتسنى لي سماع وقع اقدامها وحفيف ثوبها ، وحركة صفحات الكتاب التي تقلبها اناملها ، وكان يخيَّل اليّ في بعض الاحيان اني اسمع صوت تنفسها

وقد وضعتُ في بادىء الامر ، الطاولة التي كنت اكتب عليها بلصق ذلك الباب ، دون ان يكون لي مأرب من ذلك فشعرت بعدئذٍ بأني اقل وَحْدة من ذي قبل ، لا سيما عند ما طفقتُ أُنصت الى تلك الحركات الخفيفة التي تكتنفني ، فكنت اتصور اني اعيش برفقة عشير ، مع تلك الشخصية التي كانت تملأ اياميَ كلها من غير ان اشعر

وصفوة القول : لقد كان لي كل افكار الحب ومشاغله ، ومباهجه واستغلاقاته ، قبل ان يخطر لي ببال اني حبٌّ مستهام ، فلم يكن العشق يبدو لي في اشارة معينة ، او في نظرة خاصة ، او في اقرار بيّن ، او في ظرف خارجي ، ليتسنى لي والحالة هذه التوقي والتحرُّز ، بل كان شبيهاً بتلك الابخرة الوبائية غير المنظورة ، المتصاعدة من الآجام ، فتملأ الفضاء الذي يحيط بي ، وتُسمّ الضياء الذي يكتنفني ، والفصل المخضر الذي اجتازه ، وتنتشر في وَحْدة حياتي ، وفي التقرُّب الخفيّ بيني وبين تلك الشخصية ، التي تبدو لي وحيدة ايضاً ، وفي تلك التجوالات

الطويلة المدى ، التي لا تبعدني عنها ، الاّ لكي تجعلني اشعر بشكل اوضح ، بتلك الجاذبية الطائشة التي تقرّبني منها ، وفي ثوبها الابيض الذي كنت ألمحهُ من بعد بين اشجار الجبال ، وفي شعرها الاسود الذي كان هواء البحيرة ينشرهُ على حافة الزورق ، وفي وقع خطواتها على الدرج ، وفي الضياء المنبعث من نافذتها ، وفي أنين أرضية شرفتها الخشبية الخفيف عند ما تطأها اقدامها ، وفي صرير قلمها على القرطاس عند ما تكتب ، وفي سكون ليالي الخريف الطويلة التي تحييها وحيدة بالقراءة او بالكتابة او بالتأمل ، وهي على قيد خطوات مني ، واخيراً في سحر ذلك الجمال الخيالي ، الذي تأملته طويلاً دون ان اراه ؛ والذي استبينه عند ما أغمض عينيّ ، فيظهر لي من وراء الجدران ماثلاً أمامي كأنه شفّاف قد خرج من مادّته ، ليبدو لبصيرتي وبصري في آنٍ واحد . ولم تكن هذه العاطفة التي أشعر بها لتتزج بعجلة مجازفة ؛ ولا بفضول يحملني على اختراق ستر تلك العزلة ، وازالة ذلك السدّ الواهي الذي يحول بيني وبينها ، فقد خاطبت نفسي قائلاً : «ماذا يعنيني من أمر هذه المرأة المريضة القلب او الجسم ، التي جمعتني بها الصُدف في جبال بلاد غريبة ؟»

وبعد ذلك انتقدت على الاقل ، بأني نفضت غبار قدميّ ، لأني لم اكن اريد ان ارتبط في الحياة بأدنى صلة للروح او الشعور ، لاسيما جنوح القلب واستسلامه ، فكان مقتي للحب شديداً ، لاني لم أعرف تحت هذا الاسم سوى تقلّبه وتلوّنه . وطيشه وزيّفه ، ودنسه ورجسه ، ذلك اذا استثنيتُ حبي لانطونين ، الذي لم يكن الاّ عاطفة أخّاذة ، فاتنة ، سريعة الزوال ، وزهرة سقطت من غصنها قبل ان يتضوّع أريجها ويفوح طيبها

ومع ذلك من تكون هذه المرأة ؟ هل هي كائن مثلي ام شهاب من الشهب الحية التي تخترق سماء تصوراتنا ، دون ان تترك اثراً سوى ما تخلّفهُ في العين من الخطاف سريع للبصر ؟ وهل هي من وطني او من وطن ناءٍ ، من احدى جزائر الشرق او خط الاستواء ، حيث لا يمكنني اللحاق بها ؟ فاكون قد عبدتها اياماً لأبكيها دواماً ؛ وهل قلبها خالٍ ليجيب عن خفقان قلبي ؟ وهل مما يسلّم بهِ العقل ان هذا الجمال قد قطع مراحل الحياة ، ووصل الى هذا النضوج الذي يمسّ الافول ، دون ان يضرم في طريقهِ نار الحب في قلبٍ وقعت عليهِ انظاره ؟ وهل لها ابٌ او امٌ او اخوات او اخوة ؟ وهل هي متزوجة ؟ وهل لا يوجد في العالم رجل قد نأى عنها غاضباً لاسباب غامضة ، لكنهُ يحيا في فؤادها كما تحيا في فؤاده ؟

كنت اردد كل هذه الاسئلة على نفسي ، لأبعد عنها هذا الاستهواء القهري المثبط للعزيمة الذي كنت اجده عذباً لذيذاً ، فأترفع عن الاستسلام عنها لاني كنت اربأ بنفسي عن استطلاع طالع الغير ، فكنت اجد أليق بي ان اترك روحي تهيم في المجهول ، لانها تستشعر من ذلك

راحة وهناء

القاهرة جورج نيقولاوس

التواقت

أجمل نظريات النسبية وأفكهها

Simultaneity

الحادثان المتواقتان في وقت واحد بالنسبة اليك
يسبق احدهما الآخر بالنسبة الى غيرك

لفرنك الحراد

يراد بكلمة «التواقت» حدوث حادثين متباعدين في وقت واحد كقولك مات فلان في الهند وولد آخر في الصين في وقت واحد ، اي في نفس الثانية والدقيقة الخ . فيقال ان هذين الحادثين متواقتان . او كقولك ان القمر خسف في الدقيقة الفلانية لان خسوفهُ حادث ووقوف عقرب الساعة عند الدقيقة المذكورة حادث آخر . فهما متواقتان . فهل يمكن ان يعدّا متواقتين في نظر كل من الناس ام ان التواقت أمر نسبي يختلف باختلاف المراقبين المتباعدين احدهما عن الآخر وعن الحوادث انفسها ؟ لعلك تستهجن القول ان حادثين معينين متباعدين يكونان بالنسبة الى زيد من الناس متواقتين وبالنسبة الى عمرو احدهما حدث قبل الآخر . ولكن التمثيل يجلو لك حقيقة ناصعة لم يكن ليفطن لها احد قبل اكتشاف ناموس النسبية . ولعلّ قضية التواقت هذه أغرب قضايا النسبية وأعجبها وأفكهها

لقد فهم القارىء من مقالاتي السابقة ان نظرية النسبية لا شأن لها بالمادة المجردة من الحركة بل شأنها خاص بحركة المادة. فأي حركة مادية (غير عقلية) مهما كان نوعها او قدرها او اتجاهها او تأثيرها تعد حادثاً . والنسبية « ناموس الحوادث » في المكان والزمان معاً (لا في أحدهما دون الآخر) بالنسبة الى المراقبين المتباعدين مسافةً . فاذا كان مراقبان في مكان واحد شهدا معاً حادثين متواقتين . ولكن اذا كان احدهما بعيداً عن الآخر ومتحركاً بالنسبة الى الآخر اختلف وقت المشاهدة بينهما لان تباعدهما في المكان يستوجب تباعدهما في الزمان [1]

وهنا وجه الغرابة . ولكن اذا فطن القارىء الى ان خبر الحادث لا يصل الى المراقب الأ

---

(1) من أبسط الشواهد على ان تباعد المكانين يستلزم تباعد الزمانين انه لما كنت في نيويورك قرأت في احدى الصحف الساعة الحادية عشرة قبل الظهر تلغرافاً لخواجه ان ملكة اسبانيا ولدت صبياً في الساعة الثانية بعد الظهر من ذلك النهار . فكاني قرأت خبر الحادث قبل حدوث الحادث نفسه

عن طريق بصره او سمعه بواسطة امواج النور (او الاشعاع المغنطيسي الكهربائي الذي يعد النور من انواعه العديدة — كاللاسلكي) او امواج الصوت الهوائية تمهد له السبيل الى فهم كيف ان تباعد المكانين يستوجب اختلاف الزمانين

ان النور الذي ينقل خبر الحادث المنظور الى بصرك يسير بسرعة ٣٠٠ الف كيلو متر في الثانية (في الفراغ) ، والصوت الذي ينقل خبر الحادث المسموع الى اذنيك يسير بسرعة ٣٣١ متراً في الثانية . فسرعة النور نحو مليون مرة كسرعة الصوت تقريباً . ولذلك يرى المشاهد ومض البرق قبل ان يسمع رعده . كما انه يشاهد لهبة المدفع قبل ان يسمع دويه . ويسمع رجع الصدى بعد صدور الصوت بوقت طويل او قصير بحسب بعد المكان الذي يرجع الصدى . فنحن اذن نميز بسهولة استغراق الصوت للوقت . ويتعذر علينا ان نميز استغراق النور للوقت ولهذا نبدأ بالتمثيل على قضية التوافق بمثل صوتي لكي تقرب النظرية لفهم القارىء ما امكن . وثم ننتقل الى التمثيل بالنور بالنيابة عما يؤاخيه من انواع الاشعاع التي تنتقل اخبار الحوادث بواسطتها كاللاسلكي والراديو

مرآتان

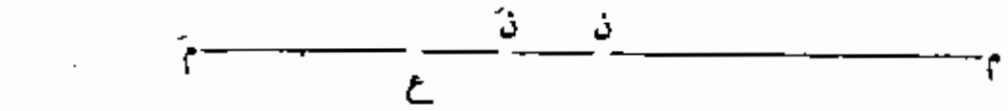

التوافق الصوتي

لو كنت واقفاً امام خط سكة حديدية مستقيم عند ن مثلاً وامامك مرآتان ظهراهما متعامدان وهما ماثلتان الى الخط كما ترى في الرسم بحيث ترى فيهما في وقت واحد لمعتين صادرتين من جانبي الخط م — مَ . ثم شاهدت اللمعتين . وبعد هنيهة سمعت طلقتي مدفعين موجودين عند م . و . مَ في وقت واحد معاً . فاذا سألتك : هل انطلق المدفعان في وقت واحد معاً ، فاذا تجيب ؟

قد تقول : لا ريب عندي انهما انطلقا معاً لاني سمعت الطلقين في نفس اللحظة

قد يتراءى هذا القول مقنعاً أو مفحماً . ولكن لنفرض ان شخصاً آخر واقف عند يسارك عند ع مثلاً وسألناه فقال سمعت صوت المدفع مَ قبل صوت المدفع م . ولذلك اعتقد ان ذاك انطلق قبل هذا فهل ترفض حكمه ؟

لعلك تتردد هنا برهة في الجواب ثم تقول . لا يخفى عليك ان انتقال الصوت يستغرق نحو ٣٣١ متراً في الثانية . فاذا كان هو قد سمع مَ قبل م فلأنه اقرب الى ذاك منه الى هذا — حسن . اذاً للمسافة تأثير في الوقت بين السامع ومصدر الصوت لان المسافة تساوي حاصل

السرعة مضروبة بالوقت . فلو فرضنا فرضاً آخر وهو انك قست المسافة بينك وبين كل من المدفعين ووجدت ان موقفك كان اقرب قليلاً الى م منه الى م . عند ذ مثلاً . ولكن موقع ع اكثر قرباً منك الى م . وهو سمع م قبل م وانت سمعت الطلقتين معاً في وقت واحد فهل تحكم ان المدفعين اطلقا معاً ؟

لعلك تجاوب على الفور قائلاً : لا . لا بد ان يكون م قد اطلق قبل م بمقدار مسافة الفرق بين مسافتي بعدي عن المدفعين . وهذا الفرق في المسافة يستغرق مدة الفرق بين وقتي الطلقتين تماماً . ولذلك بلغت الطلقتان الي في وقت واحد

— حسن جداً . وهنا يترتب عليك ان تحدد لي ماذا تعنيه « بالتواقت » اي بحدوث الطلقتين في وقت واحد معاً بحيث استطيع ان اطبقه على كل حادث . لانك في الفرض الاول حكمت ان المدفعين اطلقا في وقت واحد لانك سمعت طلقتيهما في وقت واحد . وفي الفرض الثاني حكمت ان م اطلق قبل م مع انك سمعت الطلقتين في وقت واحد . فظرف السمع هنا لم يتغير . فلماذا اختلف الحكمان؟

تقول قول المنتصر في المناقشة: ولكن ظرف موقفي بالنسبة الى مسافتي المدفعين عني تغير في الفرض الثاني عنه في الفرض الاول . فلا بد اذن من اختلاف الحكمين

— حسن . وحسن . فاذا تعني اذاً بالتواقت ؟ اتعني ان سمعك لمدفعين في وقت واحد بصرف النظر عن وقت انطلاقهما يدعى تواقتاً ؟ ام ان انطلاقهما في وقت واحد بصرف النظر عن سمعك لهما يدعى تواقتاً . انبهك . هل ميزت الفرق بين السؤالين ؟

— ميزته جيداً . الاول صوتان بلغا الي معاً . والثاني صدورهما البعيدان عني حدثا معاً

— حسن . فاي الامرين تعنيه تواقتاً ؟

— اعني تطابق الامرين معاً اي يجب ان يكون المدفعان قد انطلقا في وقت واحد كما اني سمعتهما في وقت واحد فيكون هذا التطابق تواقتاً بكل معنى الكلمة . ولكن اذا سمعتهما في وقت واحد مع ان احدهما انطلق قبل الآخر كما فرضت في الفرض الثاني فلا يسمى هذا «تواقتاً»

— كيف تعرف ان الانطلاق والسمع متطابقان في التواقت ؟ بل كيف تعرف ان المدفعين انطلقا في وقت واحد

وهنا وجمت وبعد قليل قلت : — اذا سمعت الطلقتين في وقت واحد اقيس المسافة بيني وبين كل من المدفعين فان وجدت المسافتين متساويتين اي اني في وسط المسافة بين المدفعين افهم انهُ لابد ان تكون سرعتا انتقال الصوتين متساويتين ايضاً وبالتالي لابد ان يكون المدفعان قد انطلقا في وقت واحد . لذلك احدد لك معنى « التواقت » هكذا : اذا كان السامع في وسط المسافة بين مصدري صوتين فسمع الصوتين في وقت واحد فلا بد ان يكون انطلاق المدفعين

قد حدث في وقت واحد ايضاً . فان لم يكن السامع في وسط المسافة فلا اعتبار لسماعه سواء كان متواقتاً او متفاوتاً

- حسن . فلنرَ : هل هذا التعريف يصح ان يُطلَق على كل حادث ؟ الى هنا فرضنا انك ثابت عند الخط ، وان المدفعين ثابتان ايضاً ، وان الهواء الذي تنتقل به امواج الصوت ثابت ايضاً . كلكم ثابتون بالنسبة الى الارض (ولكنكم لستم ثابتين بالنسبة الى الشمس وسائر الاجرام . وبالاجمال لستم ثابتين بالنسبة الى الفضاء المطلق)

فلنغضّ الطرف عن تحرُّك الهواء والارض والنظام الشمسي الخ وتقتصر على النظر الى الحركة على خط السكة الحديدية فقط . ولنفرض ان قطاراً يسير على الخط الحديدي بسرعة ٣٣ متراً في الثانية (عُشر سرعة الصوت) من جهة مَ الى جهة م وان ن موجود في القطار . ولنفرض ان ب واقف امام الخط في منتصف المسافة بين م . و . مَ وان عندهُ جهازاً كهربائياً

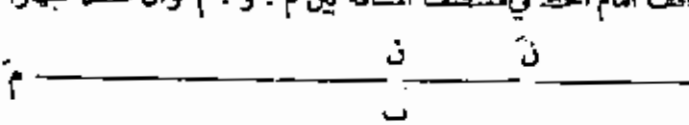

يمتد منهُ سلكان الى المدفعين بحيث انهُ اذا ضغط على زرّ ينطلق المدفعان . فبالطبع يلتقي صوتا الطلقتين في اذنيه في وقت واحد . ولنفرض انهُ ضغط على الزر حينما مرَّ ن امامه . فما قول القارىء : هل تكون الطلقتان متواقتتين لكل من ب . و . ن لان كلاً منهما كان في منتصف المسافة حين ضغط ب على الزر ؟

اذا فكّر القارىء قليلاً يكتشف ان ب سمع الطلقتين في وقت واحد بلا شك . ولكن ن سمع م قبل ان سمع مَ . لماذا ؟ لانهُ لما وصل صوتا م ومَ الى موقف ب كان ن قد اجتاز مسافة (قل) ٣٣٠ متراً في مدة عشر ثوانٍ (١٠ + ٣٣) فبلغ الى نَ مستقبلاً صوت م قبل ان يدركه صوت مَ فيسمع ذاك قبل هذا في عشر ثوانٍ

فترى مما تقدَّم ان وجود المراقب في وسط المسافة بين مصدري الصوتين لا يضمن التواقت له اذا كان متحركاً بالنسبة الى ب . ففي هذا المثل كان كلٌّ من ب . و . ن في منتصف المسافة بين المدفعين ومع ذلك تواقتت الطلقتان للرقيب ب ولم تتواقتا للرقيب ن . ولو تواقتت الطلقتان للرقيب ن لسبقت احداها الاخرى في مسمع ب

اذن لا بد من التسليم بنظرية النسبية وهي ان التواقت نسبيٌّ ايضاً . فاذا كان متواقتاً لزيد لا يكون متواقتاً لعمرو اذا كان الاثنان متباعدين واحدهما متحركاً بالنسبة الى الآخر

ينتج من ذلك ايضاً ان لكل جسم منسوب اليه كالخط الحديدي او القطار او من كان مقيماً عندها وقتهُ الخاص مختلفاً عن وقت جسم آخر او رقيب آخر اذا كان احدهما متحركاً بالنسبة الى الآخر . واذا لم يذكر جسم (او رقيب) منسوبٌ الحادثُ اليه فلا معنى للقول

ان الحادث حدث في وقت كذا . فاذا قلنا ان الطلقتين صدرتا في وقت واحد او ان احداهما صدرت قبل الاخرى وجب ان نقول بالنسبة لمن كان وقت الحدوث هذا ، لان فلان سمع في الثانية الفلانية وفلاناً آخر سمع في ثانية اخرى

قد تعترض قائلاً ان شرط التواقت كما علمنا آنفاً هو ان يكون المراقب للطلقتين في وسط المسافة بين مصدريهما تماماً . وهذا الشرط لم يتم للشخص الذي في القطار لانهُ لما بلغت الطلقتان اليه لم يكن باقياً في منتصف المسافة المذكورة بل صار اقرب الى م منه الى مَ فلذلك لم يسمع الطلقتين معاً : اذن لا يكفي للتواقت ان يكون الشخص في منتصف المسافة حين صدور الطلقتين كما حددت معنى «التواقت» سابقاً بل يجب ان يبقى في منتصفها حين يصل الصوتان اليه ايضاً. واذا بقي ن عند ب كانا في ظرف واحد فكأنهما شخص واحد وكان التواقت هذا منحصراً في موقف واحد لا يختلف فيه السماع مع تعدد الرقباء . فلا نسبية هنا . وانما اذا كان ن متحركاً وب ثابتاً صار التواقت نسبيًّا لكل منهما يختلف للواحد عنهُ للآخر

التواقت النوري

الى هنا قصرنا التمثيل على الحوادث الصوتية اي التي تنتقل اخبارها بواسطة الصوت ، لسبب اننا نستطيع ان نميز الفرق في المدة بين صوت وصوت اذا اختلفت مسافة مصدريهما عنا . فاذا رمنا ان نمثل بالنور بدل الصوت ، اي اذا شئنا ان نراقب لمعتي المدفعين بدل صوتيهما وجب اما ان تكون لنا قوة احساس نظري تميز الفرق بين اللمعتين في جزء من مليون من الثانية — والحس البصري لا يستطيع هذا التمييز — او ان تكون المسافة بين مصدرين للنور ملايين الكيلومترات . وهذا ما يتعذر علينا قياسه كما نقيس المسافة بين المدفعين . وانما تقاس هذه المسافات العظيمة بوسائل اخرى يمارسها علماء الطبيعة والفلك ولا محل لشرحها هنا . ولان هذه الوسائل ينحصر اجراؤنا لها في ارضنا فقط اي على جرم واحد من اجرام الكون فهي تجعل نسبية التواقت امراً محتوماً لا مناص منه ، لاننا نحسب كل حركة من حركات الاجرام بالنسبة الينا فقط . وهي تختلف بالنسبة الى اي جرم آخر

ثم ان الفرق العظيم بين طبيعة النور وطبيعة الصوت تجعل «نسبية التواقت» اشد حتمية كما سنرى . الصوت ينتقل امواجاً هوائية والهواء لا يكون على وتيرة واحدة . فتارة يكون ساكناً واخرى متحركاً وتارة كثيفاً واخرى لطيفاً او بارداً او حاراً . وكل ذلك يجعل سرعة الصوت مختلفة باختلاف هذه الاعتبارات . اما النور (وكل اشعاع كهربائي مغنطيسي) فله سرعة واحدة في الفضاء لا تتغير . ثم ان الصوت يكتسب مع سرعته سرعة الارض التي

يسير في هوائها . ولهذا تختلف سرعتهُ بالنسبة الى الفضاء . فاذا كانت سرعته على الارض ٣٣١ متراً بالثانية فهي في الفضاء بالنسبة الى الشمس ٣٠ كيلو متراً مع ٣٣٠ متراً في الثانية لان الارض تسير بهاتيك السرعة . واما النور فلا يكتسب سرعة الجسم الذي يصدر منه او الذي يمر عليه . فأيّما سار والى اي جهة اتجه تكون سرعته واحدة بالنسبة الى الفضاء . فسرعته في الفضاء تعد « سرعةً مطلقة » تنسب اليها سائر السرعات وتقاس بها . اقول ان سرعته مطلقة بالنسبة الى الفضاء على اعتبار ان الفضاء ساكن ولكن كيف نعلم ان كان الحيز الفضائي الذي تجول فيه الاجرام ساكناً او متحركاً . فلا مناص من النسبية اذاً . ولذلك سيرى القارىء ان نسبية التواقت النوري ابعد غوراً وأعظم شأناً وأكثر تعقداً من نسبية التواقت العرفي وهي التي تتمشى مع ناموس النسبية

فتمثيل على نسبية التواقت النوري في الابعاد السحيقة اضرب مثلاً ضربه الاستاذ تيرينغ المساوي في كتابه «النسبية بلغة بسيطة»

في ٢١ فبراير سنة ١٩٠١ ظهر للفلكيين نجم جديد في كوكبة برساوس Perseus فسماه الفلكيون نوفا برساي Nova Persei اي جديد برساوس . هذا النجم الذي كان قبلاً مظلماً او خفيًّا لسبب مجهول ضاء بغتة لسبب مجهول ايضاً واصبح منظوراً

ولا يخفى عليك ان سطوع هذا النجم استغرق وقتاً قبل ان ظهر للفلكيين . فتأخر وصوله الى الارض يساوي المدة التي قضاها النور في رحلته من النجم الى الارض . وقد حسب الفلكيون مسافة بعده عنا فاذا هي ثلاثون سنة نورية . اي ان النور يقضي ٣٠ سنة منذ صدوره عنه الى ان يصل الينا . وهذه المسافة تساوي نحو ٢٨ ٨٣٩ ٨١٦ ٨٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ كيلو متر = سرعة النور مضروبة بعدد ثواني الثلاثين سنة

ولذلك تساءل الفلكيون وعلماء النسبية منهم : اي تاريخ في ارضنا يطابق اول سطوع لذلك النجم ؟ بحسب حساب الفلكيين لبعد ذلك النجم (٣٠ سنة) يكون اول سطوعه قد حدث في ٢١ فبراير سنة ١٨٧١ اي ان مولد ذلك النجم واليوم الحادي والعشرين من فبراير سنة ١٨٧١ يعتبران حادثين متوافقين . فهل هذا الاعتبار صحيح في نظر علماء النسبية ؟

بحسب رأي علماء الفلك الطبيعي الرياضي هذا الاعتبار صحيح لان ناموس سرعة النور لا يتغير في زمان ولا في مكان والرصد دقيق ومضبوط والحساب مضبوط ايضاً . ولكن لعلماء النسبية رأياً آخر . لانهم ينظرون الى اعتبارات اخرى تجعل شكًّا في هذا الاعتبار . هؤلاء يسلمون بحساب الفلكيين ولكن الفرق بين الفريقين ان الفلكيين اعتبروا النظام الشمسي (الذي ارضنا ضلع منه) وذلك النجم ثابتين كلاً في موقعه ، او على الاقل ان المسافة بينهما ثابتة . وبناء على هذا الاعتبار بنوا حسابهم . ولكن علماء النسبية اذا سلموا بأن المسافة بين

النجم والارض ثابتة لا تتغير فلا يمكن ان خط هذه المسافة الثابت الطول لا يختلف موقعه بالنسبة الى سائر الاجرام

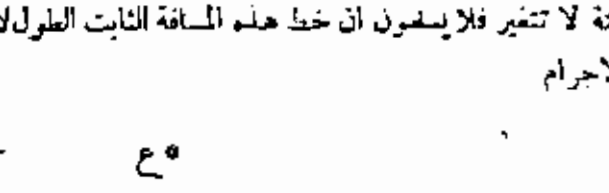

لنفرض ان ر الارض (او النظام الشمسي) و ن النجم نوقا برساي وع العيوق . ولنفرض ان خط المسافة بين ر ـــ ن ثابت (٣٠ سنة نورية) غير متغير اي ان الارض والنجم يسيران في اتجاه واحد وبسرعة واحدة بحيث تبقى المسافة بينهما كما هي . ولكن خط المسافة هذا بالنسبة الى ع وغيره من الاجرام العديدة (التي اتينا العيوق منها) متحرك او هي متحركة بالنسبة اليه او كلاهما متحركان الواحد بالنسبة الى الآخر حركات مختلفة السرعة والاتجاه. ففي حين من الزمان يصبح النجم ع عند غ مثلاً . فاذن كل من ر . و . ن . يتغير موضعه في الحيز الكوني وان لم تقصر المسافة بينهما او تطول. ولكن هذا التغير في وضعهما لا يؤثر شيئاً في مسير النور وسرعته

فمتى صدر النور من النجم ن اصبح حراً في سرعته وانتشاره الى جميع الجهات. ولذلك يصل الى ر بعد ان يتم رحلته بمعدل ٣٠٠ الف كيلو متر في الثانية . فكم استغرقت رحلته ؟ هل استغرقت ٣٠ سنة ؟ فلنر اذا كان خط المسافة ر ـــ ن يسير في اتجاه السهم د من جهة ن الى ر بسرعة س (قل ١٠ كيلومترات بالثانية) فالنور الصادر من ن يصل قبل ٣٠ سنة تساوي $\frac{س}{ن}$ × ثواني ٣٠ سنة تقريباً باعتبار ان ن ترمز سرعة النور . وان كان الخط المذكور يسير في اتجاه السهم ل بسرعة س اي بعكس الفرض الاول تأخر وصوله بذلك القدر لان الارض (مع النظام الشمسي) تقرب الى النور القادم اليها فتختصر المسافة والمدة في الفرض الاول وتبتعد عنه في الفرض الثاني فتطول المسافة والمدة

لو كان في الامكان ان نكتشف سرعة ذلك الخط (المسافة بين الارض والنجم) بالنسبة الى الحيز الفضائي لاستطعنا ان نعلم بالضبط المسافة التي قطعها النور بين الجرمين . ولكن من يستطيع ان يكتشف هذا الاكتشاف المستحيل ؟ لانه ليس في الفضاء جرم ثابت تنسب اليه مواقع الاجرام وحركاتها لنعلم كم ميل يبعد ذلك الخط عن الجرم الثابت او يقرب اليه ، فاذا اكتشفنا سرعة هذا الخط بالنسبة الى ع العيوق او غ نبقى جاهلين سرعته الحقيقية بالنسبة الى الفضاء المطلق . لان العيوق نفسه سائر ايضاً بسرعة خاصة. لقد عرف الفلكيون ان النظام

الشمسي يسير بسرعة ٢٠٠ الى ٤٠٠ ميل في الثانية بالنسبة الى مركز المجرة. ولكن المجرة نفسها غير ثابتة بل هي متحركة في الكون مع سائر مجراته المتحركة بسرعات مختلفة . اذاً يستحيل ان نعرف سرعة تحرك الخط بين ر و ن بالنسبة الى الفضاء . ولذلك يستحيل ان نعرف في كم سنة يقضي النور رحلته بينهما . فاذا قال الفلكيون ان بيننا وبين النجم الذي نحن بصدده ٣٠ سنة نورية فان هذا القول يصدق على المراقب الارضي فقط وفي حين الرصد فقط. فلو امكن ان ينتقلوا بغتة الى ذلك النجم ويرصدوا الارض منه لاختلفت نتيجة حسابهم اختلافاً كبيراً . فتقرير يوم مولد النجم المذكور انما هو نسبي ، اي بالنسبة الى الارض فقط

التواقت المتحرك

ذلك على افتراض ان المسافة بين النجم والارض تبقى واحدة مدة طويلة من الزمان او على الاقل لا تزال كما هي منذ سطع نور النجم الى ان وصل نوره الى الارض . ولكن هناك احتمالات اخرى تقصر مدة رحلة النور او تطيلها

اولاً . يحتمل ان النجم والارض (او بالاحرى النظام الشمسي) يتقاربان ميلاً واحد (او اكثر اذا شئت) كل ثانية . وهذا الاحتمال يتضمن احتمالين آخرين : الاول ان النظام الشمسي يسير بسرعة س (قدّر ما شئت من الارقام) نحو النجم والنجم نفسهُ يسير في نفس الاتجاه ولكن بسرعة (س — ١) . وباختلاف هذا التقدير يختلف طول خط المسافة التي يقطعها النور لكي يبلغ الى الارض اذ يقصر في كل ثانية ميلاً . ولكن رحلة النور تقصر ليس بقدر هذه المسافة بل بقدر نسبة سرعة النظام الشمسي المطلقة في الفضاء الى سرعة النور لانهُ مقبل على النور اي بقيمة $\frac{س}{ن}$ من الاميال كل ثانية . فاذا فرضنا ان سرعة النظام الشمسي في الفضاء ٣٠٠ كيلو متر في الثانية (وهو فرض يستحيل تحقيقهُ او تستحيل معرفة السرعة المطلقة في الفضاء . وانما نفرض فرضاً لسهل الحساب) فتقصر رحلة النور بقيمة $\frac{٣٠٠}{٢٠٠٠٠٠} = \frac{١}{١٠٠٠}$ من الميل كل ثانية . الاحتمال الثاني بالعكس اي ان النجم يسير بسرعة (س — ١) فيتقاربان ويقصر خط المسافة بينهما كل ثانية ميلاً . ولكن رحلة النور تطول بنسبة سرعة النظام الشمسي المطلقة س الى سرعة النور ن كما تقدم حسابها لان النظام الشمسي مبتعد عن النور الوارد اليه من النجم . ولكن من يستطيع ان يكتشف قيمة س

ثانياً يحتمل ايضاً ان النظام الشمسي وذلك النجم يتباعدان (لا يتقاربان كما فرضنا سابقاً) ولنفرض انهما يتباعدان بسرعة ميل (وان شئت فاكثر) . وهذا الاحتمال يتضمن احتمالين

آخرين ايضاً . الاول : قد يكون النجم والنظام الشمسي سائرين في اتجاه واحد معاكس لاتجاه نور النجم كاتجاه السهم د واما سرعة النجم تزيد على سرعة النظام الشمسي ميلاً (او اكثر) في الثانية وبذلك تطول المسافة ميلاً كل ثانية. ولكن رحلة النور تقصر بقدر سرعة النظام الشمسي من نحوها (قدّرها ما شئت). لانهُ متى تركت لمعة النور النجم لا يبقى لسرعة النجم شأن فيها سواء كانت بطيئة او سريعة وسواء كان النجم متجهاً الى هنا او هناك . الثاني قد يكون اتجاه سير النظام الشمسي والنجم كاتجاه السهم ل المسير لاتجاه النور واما سرعة النظام الشمسي تزيد على سرعة النجم ميلاً (او اكثر) وفي هذه الحالة يتباعدان كل ثانية ميلاً واما رحلة نور النجم تطول لان النظام الشمسي مبتعد امامها — تطول كنسبة س الى ن (ومن سرعة ن نسبة اي $\frac{س}{ن}$ من الميل

***

ترى مما تقدّم ان مدة رحلة النور بين النجم والنظام الشمسي لا تتوقف على تطاول خط المسافة بينهما او تقاصره بل على مقدار سرعة النظام الشمسي المطلقة في الفضاء ان كان مقبلاً نحو نور النجم او مدبراً عنهُ . ولكن من يستطيع ان يعلم كم هي سرعة الشمس او اي جرم في الفضاء المطلق ؟ اذا استطعنا ان نكتشف سرعة الشمس بالنسبة الى سرعة النجم او الى مركز المجرة فلا نستطيع ان نتحقق ان كانت هذه السرعة هي نفس سرعة الشمس المطلقة في الفضاء فقد تكون اكثر او اقل . ولذلك يستحيل ان نعلم ان النور قد قضى ٣٠ سنة في رحلته من النجم الى الارض او اكثر او اقل، لاننا ما دمنا نجهل اين كان موقع النجم حين رحلت اول لمعة منه الينا واين كان موقع الارض حينئذٍ واين صار موقعهُ وموقع ارضنا حين وصلت اللمعة اليها فيستحيل ان نستطيع تقرير المدة لرحلة مسافة النور والمسافة بين الجرمين . فالمدة التي حسبها الفلكيون لرحلة النور بينهما انما هي نسبية بحسب حساب سرعة النور على الارض

***

ولعلّ النظرية تتجلى للقارىء اكثر اذا ضربنا المثل التالي :— تتصور ان ملاكاً سموياً يستطيع الاجتماع بنا ويروي لنا معلوماته . ونتصور انه انطلق لمعة نور حين صدرت من النجم وسارت به بسرعتها المعلومة الى ان وصل الى ارضنا . فنسألهُ : كم قضيت من الوقت في رحلتك بحسب حساب الوقت الارضي على فرض انه كان يحمل ساعة مضبوطة كساعاتنا ؟ ولنفرض انه اجاب : قضيت ٣٠ سنة بالضبط وبحسابنا لسرعة النور نعلم انه قطع نحو ٢٩ بليون بليون ميل

واذا سألناه : هل تعتقد ان هذه المسافة هي نفس المسافة بيننا وبين النجم ؟ يجيب لا ادري

— لماذا

— لاني لم أعلم اين كان موقع الأرض حين رحلت من النجم . ولا أدري الآن وقد وصلت الى الارض اين صار موقع النجم . فهما سائران بسرعة اجهلها ويستحيل عليَّ ان اقيسها لذلك نضطر ان نسلم بان ما ننسبه الى أي جرم من بعد المسافة واتجاه الحركة وسرعتها وصدور اي ظاهرة فيه وبلوغ خبرها الينا انما هو نسبي الى ارضنا فقط او بالاكثر الى نظامنا الشمسي . ولما كان النور الذي ينقل الينا أخبار حركات الاجرام لا يتأثر في اتجاهه وسرعته بأي مؤثر . فلا نستطيع ان نقرر مدة حقيقية بين سطوع ومضة من نجم ووصولها الينا . وانما نقرر ما نقرره بحسب ما يثبتنا به النور حال وصوله الينا لا حال صدوره من مصدره . وتقرير ما نقرره عن وقت صدوره انما هو بحسب وقتنا وبالنسبة الينا فقط

فالتوافق بين مولد ذلك النجم والتاريخ المطابق له في حسابنا انما هو نسبي لنا يختلف عن التاريخ الذي يراه أهل ذلك النجم لو كانوا في ظروف كظروفنا وظهرت لهم ومضة من نظامنا الشمسي

لا ريب ان الموضوع دقيق يحتاج الى سعة التصور وعمق التبحر . ولا يمكن ان ينبسط بابسط مما تقدم . فاذا كان للقارىء شيء من الصبر على التصور والتبحر فلا بدَّ ان ينجلي له الموضوع جيداً

***

وحاصل القول انك لا تستطيع ان تقول ان الحادث الفلاني وقت حادثاً آخراً او تاريخاً معيناً الاَّ اذا قرنت قولك بالقول انهُ حدث بالنسبة الى الموقع الفلاني . واما ان تقول على الاطلاق من غير ان تعين موقعاً تنسبهُ اليهِ فالقول لغوٌ لا معنى لهُ . اجل لا معنى للقول (على الاطلاق) ان حادثين حدثا في وقت واحد الاَّ اذا ذكر في هذا القول من قاله واين هو يقيم لكي ينسب التوافق اليهِ

ليس لاي كائن على الارض او في المريخ او في نوفا برساي او في السديم الاقرب او الابعد ان يقول ان حادثين حدثا معاً في وقت واحد على الاطلاق الاَّ اذا كان هذا الكائن مستقلاً عن الكون الاعظم ومشرفاً على حوادثهِ ويرى كل حادث حين يحدث نوًّا بغير واسطة النور. فكائن كهذا يستطيع ان ينبط تواريخ حوادث الكون المتباعدة المتتابعة بالنسبة الى نفسهِ وبنسبة كل حادثة في جرم الى حادثة في جرم آخر . واما اذا كان هذا الكائن لا يشعر بحوادث الكون الاَّ بواسطة النور فيكون قوله بتوافق حوادث الكون نسبيًّا كقولنا

شبرا نقولا الحداد

حصاد الزمان

لهارولد بلسيفر

هارلد بلسيفر (Harold T. T. Pulsifer) احد شعراء اميركا المشهورين ارسل ديوان شعره الاخير «حصاد الزمان» (Harvest of Time) الى صديقه امين الريحاني بالقريكة لبنان — وقد عارض القصيدة الاولى في بقصيدة من نظمه . والقصيدتان نشرتا في الجريدة الاسبوعية النيويوركية The Saturday Review of Literature في العدد الاول من شهر نيسان (ابريل) سنة ١٩٣٣ ونقلتها عدة صحف ومجلات اميركية وقد ترجم الريحاني القصيدتين شعراً منثوراً لمجلة المنتطف

ان الزمان لَيَذْري الجمالَ بريح السموم ،
فيلبث من بين حبيّ الحَبيّ اليابسَ الهشيم،
وسيجيء الغدُ بسنابل للحصد ذهبية ،
فتعود الى الارض البهجة والبهاء ،
وترتفع اصوات وحيدة لها صولاتٌ طائلات ،
وتُسمَع مرة اخرى الكلمات البليغات الخالدات.
غداً — وان كان لا يعرف لفجرهِ آنٍ .
غداً — وان جُهل الزارع ، وجُهل المكان .

وقد تكون الارض الرائدة حتى اليوم دَرِيَّة .
فترفع الى ذروة المجد امة منسيّة ،
وهي تلمس براعم الجمال في قلبها النَّديّ ،
وقد زرعت غصنَه يدٌ خفية.
الجمال ! — كل ملك اثيل يزول ، والجمال يدوم ،
فعجّل بذْري الهشيم ، وعجل بكشف النيوم .

في هذا الشرق

لنسيب الريحاني

ايه ايها العرب ، ان قولك النهضي

ليبعث في ارز جبالي الخبور ،

وهو يسمع في الاودية ، حول عشّه الصخري ،

صوتاً قديماً يعاد ، صوت تموز ،

ويرى في ظلال الزمان شفاهاً عقيقية ،

تنطق بالبعث ، وتبشر بعود الجمال .

اجل ، سنزرع غداً كما زرعت احسن تلك «اليد الخفية».

ولا زال التربة في الوادي القديم طيبةً نديّة

لا في جبالي ؟ — في الهند اذن او في الصين ،

في ارض تختلج شوقاً تحت الثلوج ، وتبتلج املاً بين المروج ،

في ما وراء الكنج ، وفي اعالي الدّنَق —

جَير ، في هذا الشرق سيهتف كوكب الصباح :

هللوا لليوم السعيد ، حيوا على الفلاح.

لا ينكر ان لا يزال ها هنا شقاقٌ وعداء ،

ولكنّ ها هنا كذلك مهد الانبياء .

من القاهرة الى انقرة

مشاهدات في تركيا الجديدة

— ١ —

كنت اجهل تركيا الجديدة ، وهي جارتنا ، فرأيت منها في الرحلة الاخيرة لمحات تستوقف البصر . وكنت ارتاب في صحة ما يقال عنها حتى شهدت بعيني

***

كانت الدولة العثمانية في عهدها الاخير، امبراطورية مفككة الاوصال خاضعة لنفوذ الاجانب، فيها مرتع لاصحاب المغامرة والوشاية ، فلما خرجت من الحرب الكبرى مغلوبة على امرها ، ونزل قواد الحلفاء على ضفات البوسفور ، قيل ان «مريض اوربا» قد قضى

ولكن شرارة الحياة كانت كامنة في النفوس، ورغم الرماد الكثيف الذي كان يغطيها — رماد الحرمان والخذلان — كفت نفخة واحدة من روح تقدح الشرر ، وطنية وعزيمة ماضية ، فتطاير الرماد ، وبدت الشرارة ، وما لبثت ان اصبحت جمرة تتأجج

فالانقلاب الخطير الذي انتقل بتلك البلاد من الامبراطورية العثمانية المريضة المشفية ، الى تركيا الجديدة التي تتقد حياة وزوعاً الى العلى ، لهو من انقلابات التاريخ الخطيرة ، ولولا شدة قربنا اليه ، والقرب يحير البصر ، لبدا لنا في كامل روعته وجلاله

ما بالك بقوم يكسرون بفلول جيش مهزوم ، جيشاً اوربيًّا منظماً تؤيده جيوش الحلفاء واساطيلهم ، بل ما بالك بقوم يتحدون الحلفاء ويخترقون مناطق الحياد التي عينها قواد الحلفاء على ضفات الدردنيل ، بل ما بالك بقوم يعمدون لكبار رجال السياسة في لوزان ولا يخرجون من هنالك الاّ والمشيئة القومية التي اعرب عنها الميثاق القومي قد تحققت ، بل ما بالك بقوم يكسرون كل قيد ، ويدرسون كل حاجز يعيقهم عن التقدم ، فيسيرون ، رؤسهم مرفوعة ، وعيونهم شاخصة الى العلى

ليس لنا ان نحكم على هذه القيود والحواجز — فهذا شأنهم هم ، ولكن لنا ان نتفهم الروح العنيفة التي انطلقت من شعب منهوك مخذول ، فأتت بالمعجزات

ان الذين يهمهم تحول الاجتماع ، فيدرسونه في الكتب ، عليهم بزيارة تركيا ، فليس في

امثلة على عمارة الهياكل اليونانية

مقتطف أكتوبر ١٩٣٣ امام صفحة ٣٦٧

التاريخ ما هو ابعث على الدهشة والاعجاب من هذا التحول السريع المتسق القائم على اساس . ان ما فعله بطرس الاكبر في روسيا ، وما احدثه زعماء اليابان الحديثة من التحول ، ليس الا ظلاً باهتاً من ظلال الانقلاب الذي شمل الامة التركية في كل ناحية من نواحي حياتها العامة والخاصة

بل ان الذين تخلبهم سير الرجال المبدعين امامهم سيرة الغازي يدهشون بها. انهُ بعد كل الوان الظفر التي اجتمعت له ، عرف اين يقف . وهذا سر التسلط على نوازع النفس واهوائها

في تركيا ، آثار خالدة تعرض لنا مشاهد التاريخ الحافلة ، وعلى ضفات البوسفور خمائل وحدائق وجزائر كأنها قطع من الجنان . وفي جوار استانبول وقلب الاناضول مدن مياه تصلح للاستشفاء . وريادة هذه الاماكن ، تمهد السبيل لاستئناف الصلة الوثيقة التي كانت تربطنا بتركيا . غير اننا يجب الا نكتفي بريادة المتاحف والخمائل ومدن المياه ، بل علينا ان ندرس مقومات تركيا ، واتجاه روحها ، وان نجتمع بادبائها وكتابها . لان هذه الامور تحكم صلات الفهم والتعاطف بين الشعبين

***

كان موعد سفر الباخرة التركية «ايجه» في الساعة الثالثة بعد ظهر الاثنين (١٤ اغسطس ١٩٣٣) فكنا في الساعة الثانية والنصف ، فاذا الرفاق كلهم هناك وكلهم طبيب نابغ وصحافي اديب وعلى رأسهم الدكتور علي باشا ابراهيم . وكان اول ما استرعى نظري في الباخرة انها لا تفرق عن السفن الاوربية في شيء ، نظافة وادارة وحسن ترتيب وتنسيق . ثم خبرنا دقتها المتناهية في حفظ المواعيد في القيام والوصول . رجال السفينة كلهم اتراك ، غاية في الادب واللطف ورعاية المسافرين . والقبطان سعيد بك تركي ، وضابطه الاول تركي كذلك ، والباخرة في ايديهما كلها في ايدي ابرع الملاحين . رحم الله ايامًا كان يقال فيها ان ربان مدمرة تركية لم يستطع الوصول الى بور سعيد ، لانها لم تكن قد كتبت على الخريطة ! انا اليوم في هذه السفينة ، التي تفضل كثيراً من السفن الاوربية التي تمخر اليم بين شواطىء البحر المتوسط ، احس في كل دقيقة من دقائق السفر ، ان الاكف التي تتولى مسيرها ومصيرها في هذا العباب المخضم ، اكف يصح الاعتماد عليها

بعد مسير نهار وليلتين من الاسكندرية ، وصلنا الى بيريه مرفأ اثينا عاصمة اليونان. وليس في بيريه ما يستحق الذكر ، الا ما رأيناه من حقارة مقاهيها ، وكثرة الحفر في الشوارع التي مررنا بها ولا بدع فهي مرفأ صغير ، ومواردها قليلة ، وكل الحكومات تشكو شدة الضائقة ، وحتى مرسيليا نفسها أكبر مرفأ على بحر الروم ، لا تخرج في الحي الحاذي للشاطىء عما تقدم الا ان شوارعها اوسع ومبانيها ومستودعاتها اكبر . وأردنا استئجار سيارات تنقلنا الى اثينا وتسير بنا فيها الى حيث شاء من المتاحف والآثار ثم تعود بنا الى بيريه مساء فطلب

السائق ٦٠٠ دراخمة (وهي نحو جنيه مصري) ولكن الاستاذ رمزي (منظم الرحلة) رفض التسليم بهذا السعر فجدَّ في المساومة بلهجة الاتراك الاسياد، فتمكن بعد ربع ساعة او نزيد ، من استئجار ثلاث سيارات بمُاعَاة دراخمة

وركبنا السيارات الثلاث الى اثينا ؛ فاكدنا نخرج من حي المرفإ ونستدير بيريه حتى انفسحت امامنا طريق رحبة واسعة مرصوفة أحسن رصف ، تقوم على جانبيها الاشجار الظليلة . فبلغنا العاصمة في اقل من ثلث ساعة

***

هذه اثينا ! ام الحضارة الاوربية ، ومهد فنها ، وأدبها ، وحكمتها ، وفلسفتها . هذه مدينة بركليس وسقراط وصولون وافلاطون وارسطوطاليس وفيدياس واسخيلس وصفوقليس! اية مدينة في شرق الارض وغربها ، تستطيع ان تباهي بكوكبة ، من العبقريين تضاهي هذه الكوكبة ؟ اية مدينة في قديم التاريخ وحديثهِ تستطيع ان تطاول اثينا في ما اخرجته للعالم من اصول الفن ، ومبادىء العلوم ، ومذاهب الفلسفة ، وروائع الادب

انك لاتكاد تفيق من التأمل في ما توحيه اليك هذه الاسماء ، ومن الروعة تستولي عليك اذ تحس أن ارواحهم تطل عليك ، حتى تكون السيارة قد توقفت بك الى سفح اكمة الاكروبول

***

الاكروبول ! انك في اثينا تنتقل من أرضك الى أرض خالد! هذا هيكل المشتري . وهذه قوس طريانوس. تراها الى يمينك وانت ذاهب من بيريه الى اثينا . وهذه قمة الاكروبول تطل منها على السهول التي تحيط بسفحها وتشرف على البحر الذي رأى في العصر القديم سفن الفرس تتحطم امام جزيرة سلاميس بسفن اليونان . خفف الوطء ! ان كل قدم مربعة تدوسها أرض يقدسها الفن والعبقرية . أتذكر ما يقصهُ التاريخ كيف قضى اكتينوس ومنكليس تسع سنوات يشرفان على تشييد هيكل البارثنون ، المتسق في جميع اجزائهِ ، المهندم في كل خط من خطوطهِ . أتذكر كيف قضى فيدياس واعوانه تسع سنوات ينقشون تماثيل الافريز في الرخام ، تماثيل رجال لا يقع عليها نظر انسان الاَّ وتسمو في نظره معاني الرجولة الجسدية . تماثيل آلهة تبدو في جلالها ووقارها آيات فلا يصدق رائيها ان آلهة الاقدمين كانت تقتل وتعذب. لقد ظلَّ هذا الهيكل — البارثنون — يتوّج اكمة الاكروبوليس قروناً عدة ، تلمع أنوارهُ الزاهية في نور الشمس، فلا يسمو اليهِ نظر جيل من الناس الاَّ ويشعرون بان في هذا الهيكل بلغ الرجال أعلى مراتب الابداع ورأوا لمحات من عروش الآلهة

فاذا بلغت القمة ، رأيت بقايا من الرواق المعمد ، كأنها تنتظر زلزلة او مدفعاً ليكمل تدميرها . الف قطعة وقطعة من الحجر معفرة بالتراب تحت قدميك !

استانبول تحيك بقبابها ومآذنها

داخل مسجد آيا صوفيا

مقتطف أكتوبر ١٩٣٣ — امام صفحة ٣٣٩

أشبع بنظرك عن هيكل البارثنون . هذه بقايا تمثال للزهرة . وهذه انقاض هيكل النصر غير المجنح (اشارة الى اثينا التي حبت اليونان نصرها وكانت ربة من دون اجنحة) . وعند المنحدر الجنوبي الشرقي متحف صغير ، ولكنهُ يضم امثلة جيدة في الغالب من نقش الافريز .. كل اوضاع الجسم الانساني ذكراً وانثى في حالتي الراحة والحركة ، تراها ممثلة أدق تمثيل ، منقوشة أبرع نقش ، في هذه الحجارة الصمّ ، فتكاد ترتعش وتتكلم

اما الاحياء الحديثة في اثينا ففخمة واسعة الشوارع ، فيها ميادين رحاب فساح ، ولكنني لحظت في زيارتي الاولى لها ان على القوم الذين يسيرون في الشوارع مسحة من الكآبة ، ولعلها همٌّ وهمّةٌ ، لانني ذكرت من دون وعي ، اننا ذاهبون في ضيافة الامة التركية ، التي غلبت اليونان وطردتهم من آسيا الصغرى وتراقية الشرقية ، في ذل وخذلان ، بعد ما وعدهم معظم الحلفاء بالتأييد فتخلوا عنهم

والمعيشة في اليونان رخيصة . فالجنيه المصري يعدل نحو ٥٧٠ دراخمة . ذهبنا وكنا في الركب ، اربعة عشر شخصاً ، الى مطعم من اكبر المطاعم في اثينا مشهور بطهيهِ الممتاز وطبقة القوم التي تؤمه وتناولنا الغداء هناك . وكانت زيارة الآثار والمتاحف قد ارهقت القابلية فاكلنا بشهية اصنافاً مختلفة من الطعام والحلوى والفاكهة وشرب بعضنا الجعة او المياه المعدنية فلما جمع حساب الركب فاذا بهِ ٦٥٠ دراخمة او اكثر من جنيه واحد قليلاً (وكان الجنيه يومها يعدل ٥٩٠ دراخمة) . وفي عودتنا زرنا اثينا ثانية وتنازلنا عن ارستقراطية الجنيه المصري — بالمقابلة مع الدراخمة — فركبنا اتوبيساً الى اثينا فكانت اجرة الفرد خمس دوخمات او اقل قليلاً من قرش صاغ وتغدينا في المطعم نفسه وعدنا بقطار المترو وهو من انظف ما رأيت من القطارات التي من قبيله بالاجرة نفسها . وقد أيّد المصطافون هناك من المصريين ما تقدم

— ٢ —

البحر رهوٌ والجو معتدل والهواء عليل والسفينة تمخر بنا بحر مرمرة والركب شديد الحماسة لان أصحاب النظارات منه تبينوا عند الافق مآذن ايا صوفيا والسلطان احمد . هوذا ربان الباخرة سعيد بك والنظارة بيده يتجه الى الاستاذ رمزي قائلاً : « غازي اسطنبولدم » اي ان الغازي في استانبول

لقد بلغنا استانبول مدينة القياصرة احد عشر قرناً من قسطنطين الكبير الى قسطنطين باليولوغوس وهو الذي قتل في حصارها الأخير . استانبول مدينة السلاطين من ايام محمد الفاتح الى وحيد الدين . مدينة الخلفاء من ايام سليمان القانوني الى عبد المجيد . ها هي ذي تحيينا بقبابها الفخمة ومآذنها الدقة الذاهبة في الجو كأنها صلوات المؤمنين مرتفعة الى السماء . انروعة موقعها الطبيعي تأخذ البصر فتنة واعجاباً . فبحر مرمرة يغسل قدميها بمياهه اللازوردية

ومضيق البوسفور والقرن الذهبي يتطلقان حقويها بنطاق من الزمرد او الياقوت الأزرق . تراها قائمة على اكمات متتالية فتدرك الحكمة في اطلاق اسم « روما الجديدة » عليها . وتذكر ما كان لها من مكانة في شؤون التاريخ العالمي فتضعها مع اثينا وروما في مقام واحد . كانت مثابة لعلماء اليونان وحلقة بين حضارتهم القديمة وحضارة القرون الوسطى التي نشأت منها المدنية الأوربية الحديثة وبنيت عليها . تذكر كل ذلك فيخفق قلبك لأنك سوف تطأ شوارعها وتزور آثارها واطلالها . ثم يبدر ذهنك انها كانت سيدة العالم ايام عز السلاطين تأتيها الشعوب من الشرق ومن الغرب خاضعة خانعة . هنا الباب العالي وباب السعادة في طوب قبو وسراي يلدز وقصر يلدز بلي . انك تتحسر على هذا الماضي المجيد يكون مآله نزول استانبول عن العرش وقيام انقرة مكانها . ولكن استانبول كانت عاصمة الامبراطورية العثمانية وأما انقرة فعاصمة الجمهورية التركية . ولهذا حديث آخر

ثم تتحدر الشمس من كبد السماء ، ويخبو النور المتوهج فتعود لا تتبين من استانبول الا القباب والمآذن وقد ذهبها الاصيل فتبدو عليها تلك الجلالة الغافية التي لا تبدو عند الغروب الا على العمارة الدينية . فتحسب ان كل هذه المدينة دوراً وقصوراً (وما أقل قصورها) انما انشئت لتكون لهذه الجوامع ، اماء وجواري

***

السراي القديمة أو « طوب قبو » واقعة على ربوة تشرف على البوسفور وهي في الغالب قصور السلاطين القدماء وفيها كنوزهم وآثارهم وملابسهم المزركشة بالجواهر . ولكنك لست تجد بينها قصراً واحداً يستوقف النظر في نظامة بنائه ، بل انك لتحار كيف رضي السلاطين ، وهم أصحاب الحول والطول ، وثروة الامبراطورية العثمانية تحت مطلق تصرفهم ان يعيشوا في تلك القصور ورهن اشارتهم مهندسون شيدوا تلك الجوامع الفخمة . ثم تزداد حيرتك ودهشتك اذ ترى هذه القصور المطلة على البوسفور منكمشة عنه تفصل بينها وبينه اسوار متهدمة وبقعة من الارض نبتت فيها الحشائش والاعشاب وقامت في جوانبها اكواخ متداعية الجوانب ، بدلاً من ان تصلها بذلك الشاطىء الساحر ، حدائق غناء تسبغ على جمال الموقع الطبيعي الذي اغدقته راحة المبدع عليها ، جمال الأثر الفني أخرجته يد صنع ماهر . وانك لتحس هذا الاحساس في معظم حيي اسطنبول وبيرا . روعة من الجمال اغدقتها الطبيعة على استانبول فمنعت يد الانسان عن تعهدها بل انها في الغالب امعنت في تشويه الصورة . فاغلب الأحياء المحاذية للبحر في اسطنبول وبيرا — ما عدا المنطقة التي تحيط بقصر دولمة بغجه وهو مقر الغازي الصيفي في الغالب — حقيرة تبعث في النفس القتام بدلاً من ان تكون قطعة من الجنان تدخل على النفس البهجة والمرح

جامع آياصوفيا

جامع السلطان احمد وامامهُ المسلة المصرية

مقتطف اكتوبر ١٩٣٣ امام صفحة ٣٤٠

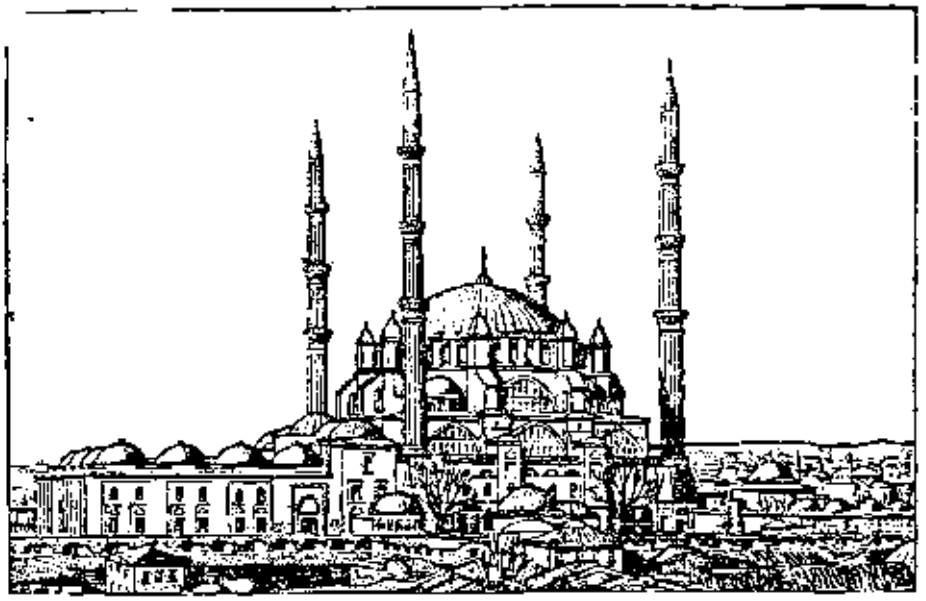

جامع السلطان سليم بادرنه

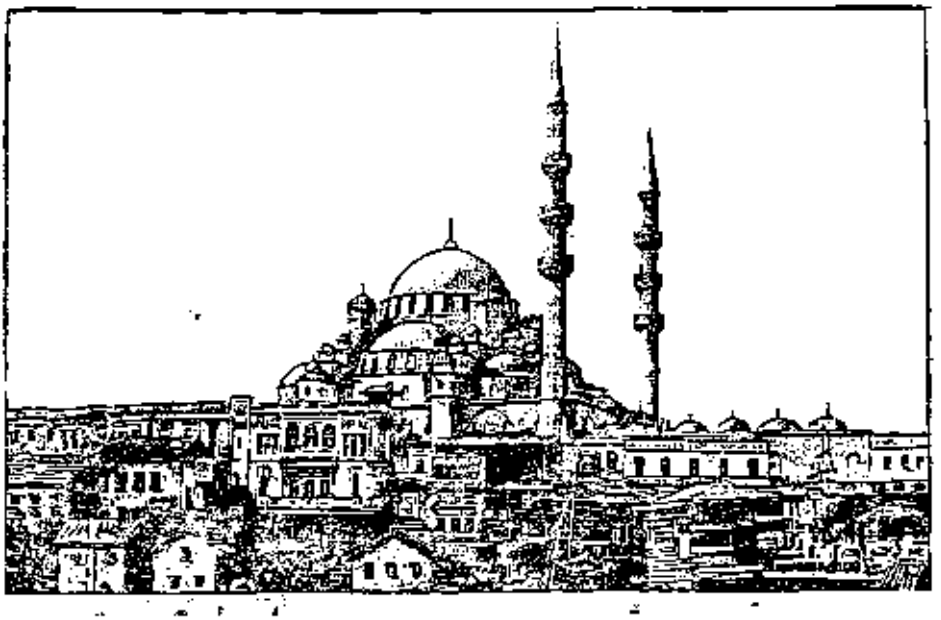

جامع بنى والدى

اما الآثار النفيسة التي تحتوي عليها مباني السراي القديمة فيعجز القلم عن ادائها حقّها من الوصف . ففي نواحٍ منها من القاشاني القديم المصنوع في ازهى العصور التي ازدهرت فيها تلك الصناعة ما لا يدرك قيمته الصحيحة الا رجال الفن . وكان الدكتور علي باشا ابراهيم وهو الخبير بشؤونها يقف امامها وقفة الذاهل المأخوذ بجمالها وقيمتها . فكنا نقف معه ثم نسأله رأيه فيها ، فلا تفوز الا بكلمات الاعجاب ، أو بسرد قصير دقيق لمزاياها الفنية والتاريخية فاذا ألححنا في السؤال عن قيمتها ، ذكر الملايين وانتقل من تحفة الى اختها

وفي ناحية اخرى مجموعة فريدة من الصيني ، كان امبراطرة الصين قد اهدوها في الغالب الى السلطان عبد الحميد فظلت مدفونة في اقبية القصر ، الى ان اتيح لها في هذا العصر ، من عني بها فاستنقذها من بخسٍ آتها وعلقها على الجدران فاكتست بها من الارض الى السقف . وانك لتنظر الى قطعة الخزف وتعلم انها من الصنف الثمين النادر ثم تدير بصرك في نواحي « المتحف الخزفي » فتجد من صنفها خمسمائة قطعة او تزيد

واذا تحولت الى « الخزينة » حيث عرضت كنوز آل عثمان بهرك الماس والزمرد والياقوت الاحمر والازرق واللؤلؤ والفيروز وغيرها من الحجارة الكريمة ، عروش وسيوف وخناجر وملابس ، كلها مرصعة بالحجارة الكريمة . فانك لاتكاد تجيل البصر في ما احتوت عليه خزانة او خزانتان منها ، حتى تمر بالماس والزمرد مرورك بالشيء المألوف

واذا قلت ان هذه الحجارة الكريمة تحصى بالآلاف فانني وايم الحق لا أبالغ . فلا يكاد الانسان يصدق ما يقال عنها حتى يراها بعينيه

ومن الآثار التي في الخزينة ديوان تركي الصنعة مصفح بالذهب ومرصع بالحجارة الكريمة تتدلى من فوقه زمردة كبيرة . وثمة الزرد الذي ارتداه السلطان مراد الرابع يوم افتتح بغداد سنة ١٦٣٨ ب . م . وثمة كأس ذهب كبيرة مرصعة بنحو اثني حجر من الماس المسطح . وكأس أخرى منزلة بالفضة على الطريقة العربية تحمل اسم قايتباي من سلاطين المماليك (١٤٨٦ — ١٤٩٦) بمصر . ومجموعات نادرة من النقود الرومانية والبيزنطية والعربية والتركية . وملابس السلاطين والامراء الرسمية وأدوات زينتهم

وفي ناحية اخرى من « السراي القديمة » بناء صغير أنيق يدعى كشك بغداد بناه السلطان مراد الرابع فاتح بغداد على مثال كشك في تلك المدينة وجدرانه مغطاة من الداخل والخارج بألواح القاشاني الازرق وهو من اندر أنواع القاشاني واغلاها ثمناً

اما المتحف الوطني فيحتوي على امثلة نادرة من الآثار القديمة . تجول في ردهاته يسترعيك هنا تمثال « الضاحك الباكي » وهو تمثال فتى روماني اذا نظرت اليه من اليسار

اثنيته كثيباً حزيناً واذ نظرت اليه من اليمين رأيت ثغره يفترُّ عن بسمة لطيفة . وهناك قطعة من الحجر تعرف بشاهد بيت المقدس وجدت سنة ١٨٧١ على مقربة من جامع الصخرة وعليها كتابة يونانية . وفي غرفة اخرى اسطوانة عليها كتابة تصف حصار بيت المقدس على يد سنحاريب الملك الاشوري وقد وجدت هذه الاسطوانة في نينوى ، ونقلت الى المتحف البريطاني ثم اهدتها الملكة فكتوريا الى متحف استانبول

وكان مرشدنا داهية ، عالماً باسرار النفس ، فانهُ بعد ما سار بنا من حجرة الى حجرة ، ومن ردهة الى ردهة ، وهو يصف هذا الاثر ويبين لنا محاسن ذلك التمثال ، اذا به هبط بنا الى جناح خاص من الدور الارضي ، وقد بدأنا نملُّ لكثرة ما رأينا ، ودخل بنا غرفة ، وقفنا أمامها فيها مشدوهين . وجلسنا على المقاعد الوثيرة التي وجدناها هناك نحدق في ما أمامنا ولا نشبع تحديقاً

هنا نواويس عثر عليها في صيداء ، منقوشة في الرخام الازهر ، وهي سليمة تكاد تحسبها خارجة من يد الصانع بالامس او كما قال شوقي

ونقوش كأنما نفض الصـــانع منها اليدين بالامس نفضا

وأهم هذه النواويس ناووسان : ناووس الناديات في قطعة فردة من الرخام وجدرانه الاربعة مقسمة الى ١٨ لوحة على كل لوحة منها تمثال امرأة في موقف من مواقف الحزن والتفجع يختلف عن موقف جارتها وجارة جارتها والتمثال منقوش نقشاً بارزاً وعلى الافريز مشهد صيد وعلى حافة الغطاء مشهد جنازة . والمرجح انهُ صنع لستراتون ملك صيداء (نحو ٣٨٠ ق.م)

واجل منهُ الناووس المنسوب الى اسكندر المكدوني . ويرجح البعض انهُ صنع ليدفن فيهِ ولكن برسي جاردنر العالم الاثري يرى غير ذلك ، مع ان نقوشه تمثل معارك الاسكندر . فعلى احد جوانب الناووس ترى الى اليسار الاسكندر راكباً طاعناً فارساً فارسيًّا وفي وسطهِ قائد وجنود يونانيون ومكدونيون من المشاة يقاتلون جنود الفرس . وفي يمينهِ تمثال بارمنيو من قواد الاسكندر . وعلى الجانب المقابل صورة الاسكندر مع احد امراء الفرس في صيد الاسد . وعلى جانبي المقدمة والمؤخرة نقوش اخرى من هذا القبيل فنقوش الواحدة تمثل معركة ونقوش الاخرى مشهد قنص وصيد . والواقع ان النقش في هذا الناووس من أفخر وابدع ما رأيت فان نقوشه جمعت بين الحقيقة والخيال والذوق المبدع ، جمعاً لا تفوقها فيه نقوش اخرى على ما اعلم . وصور الاسكندر أدق صور عرفت لهُ حتى الآن . ففي هذه النقوش من دقة القياس وسهولة التمثيل ومهارة الدلالة ، ما يذهل البصر ويبهج النفس ، بل ان في الوجوه من المعاني التي تساور النفس في ساحات القتال وميادين الصيد ، مما يدل على ان ناقشهِ كان عالماً نفسيًّا علاوة على كونهِ مثَّالاً بارعاً . وانهُ ليسوءنا ان ناقش الناووس لا يزال مجهول الاسم ولكن يرجح ان عهده يرجع الى منتصف القرن الاول قبل الهجرة

لوحتان تمثلان بعض النقش على ناووس الاسكندر

مقتطف اكتوبر ١٩٣٣

امام صفحة ٣٤٢

كل اوضاع الجسم البشري في حالتي الحركة والسكون

— ٣ —

ليس في الاسفار ما هو اوقع في النفس من ان تزور المدن القديمة المتصلة باقدم حوادث التاريخ وامجاده فتشاهد آثارها واطلالها مستعرضاً صفحات من تاريخها المجيد الحافل بذكريات الحرب والفن ، وللحضارة ما زالت في مهدها ، ثم تلتفت يمنة ويسرة فترى اهل تلك المدن يستوحون هذه المنشآت لكي تكون امجادها حافزاً لهم في بناء مجد جديد على اطلال المجد القديم

ففي بورصه تجد آثاراً ترتدُّ في التاريخ الى عهد هنيبال . وحمامات تستعيد لك عهد طريانوس وامبراطرة الرومان . وجوامع تشهد فيها صفحة من امجد الصفحات في تاريخ الفن التركي والعمارة الاسلامية . وفي يالوفا مياه حارة عرف الاقدمون كيف يستفيدون بها يقال ان حماماتها بنيت في حكم قسطنطين الكبير وزهت في ايام يوستنيانوس وزوجه تيودورا . وفي ازمير او على مقربة منها جدول يقال انهُ نهر ميليس الذي ولد هوميروس على ضفافه واسوار ومقابر ترجع بها الى عهد استعمار الاغريقيين في فجر حضارتهم المجيدة

ولكنك الى جنب هذا كله ترى في ازمير مدرسة للصناعات يتعلم فيها فتيان الترك مبادىء الحضارة الميكانيكية وأساليبها . هنا يصنعون اجزاء الادوات الميكانيكية المختلفة في ورشها ويبنون المولدات الكهربائية — نعم لم يبدؤها اي انهم يصنعون كل جزء من اجزائها ولا يكتفون باستحضار الاجزاء وتركيبها . وترى فيها داراً للمطبعة فيها ردهة بديعة لالقاء المحاضرات وحُجَر للتدريس حسنة التهوية تكثر فيها الخارطات والصور ووسائل التجربة والامتحان لان الطابع التجريبي العملي هو الطابع الغالب على التعليم في تركيا الجديدة . وفيها كذلك مكتبة ليست بالغنية ولكن فيها مئات من المجلدات التركية المطبوعة بالحروف اللاتينية في مختلف العلوم والفنون تنبىء بالجهد العظيم الذي بذل من سنة ١٩٢٨ الى الآن في وضع المؤلفات بالحروف الجديدة وطبعها . وفيها كذلك تمثال ضخم لغازي في أكبر ميادينها تراه ممتطياً جواده ومشيراً بيده الى البحر . وعلى القاعدة نقش بارز في البرونز يمثل مشاهد القتال في حرب الاستقلال وفي مقدمتها فتاة بالسراويلات التركية القديمة يقدح الشرر من عينيها وفي يدها علم يخفق . وعلى هذه القاعدة نقش كذلك الامر الذي اصدره الغازي الى جنوده في ٢٦ اغسطس سنة ١٩٢٢ يرمي بدأ الزحف على الجيش اليوناني قال : امامكم البحر المتوسط ! وقد فسر لنا والي ازمير كاظم باشا هذا الامر ، فقال ان المقصود به لا ينحصر في طرد اليونان من آسيا الصغرى الى البحر ، بل يتعداه الى ان لتركيا في البحر المتوسط مكانة يجب ان تحتلها . وفي ازمير كذلك رأينا اول دلائل النهضة النسوية في تركيا ، فقد استقبلنا على الباخرة وفدٌ فيه سيدة مهذبة ، ظننّاها زوج رئيس البلدية ، الدكتور بهجت صبحي ، ولكن لم تلبث ان عرفنا انها مستشار في البلدية ، ولها شأن في لجنة حزب الأمة التي تتولى شؤون الثقافة العامة . وفي محكمة الجنايات رأينا

سيدة غضة الاهاب . تتقلد منصب عمو اليسار ؛ وهي مع حداثة سنها وبهاء طلعتها ترى الكرامة والوقار في كل حركة من حركاتها ، وفي كل كلة تفوه بها

وأزمير حاضرة ولاية «آيدن» وهي اكبر مدينة في آسيا الصغرى (بلغ سكانها في احصاء ١٩٢٧ نحو مائتي الف) ومن أهم مرافىء البلاد ، تصدر التين والتبغ والعنب الغض والمجفف والسجاد والحرير . وكان الحلفاء قد قطعوا هذه المنطقة لايطاليا ، في اتفاق سري لم يمض لاعتراض روسيا عليه فلما اجتمع مؤتمر الصلح في فرساي ، طلب فنزيلوس ان تمنح أزمير والمنطقة المجاورة لها لليونان . وكان الايطاليون قد خرجوا حردين من مؤتمر فرساي ، فاذن لليونان في احتلال المنطقة فنزل فيها الجيش اليوناني في ١٥ مايو سنة ١٩١٩

فلما وضعت معاهدة سيفر ؛ نُص فيها على ان تظل مدينة ازمير والمنطقة التي تحيط بها في ادارة اليونان خمس سنوات ، أما باقي الحكاية فاشهر من ان يذكر. ذلك ان مصطفى كمال ، ما زال ينفخ في الشعب التركي من وطنيته وعزمه الصلب حتى طرد اليونان من آسيا الصغرى ؛ فلقيت ازمير في الحالين اهوال الحريق والعدوان والتدمير . ولكنك اليوم اذ تطلُّ عليها من البحر ، ترى المباني الجديدة تحييك وكأنها تقول للشيء ان الجروح القديمة قد اندملت وها نحن نقيم مدينة جديدة تتجلى فيها الروح التركية الجديدة . والواقع ان روح تركيا الجديدة ، أشد جلاء في ازمير ، منها في اية مدينة اخرى زرناها الا انقره . ولا غرو فوالبها كانلم باشا من رفاق الغازي في الجهاد الوطني ، وهو رجل يأخذ بمجامع قلبك اذ ترى فوق وجه بفيض بنضارة الشباب ، تاجَ الشيب الوقور . ويؤيده في أعمال الاصلاح رئيس البلدية الدكتور بهجت صالح ، وهو شاب لا أظنه تخطى الخامسة والثلاثين يتقد نشاطاً وحماسة وقد سمعناه يخطب فسحرنا ، على جهلنا باللغة التركية ، بفصاحته وحسن ادائه

***

اما بورسة فعاصمة ولاية بورسة ، وهي واقعة على سفح سلسلة من الجبال تغطيها حراج السنديان والدلب والصنوبر ، أعلى قمتها جبل يعرف باسم جبل أولمبوس الآسيوي وبالتركية « اولو داغ » أي الجبل الكبير وقد بني عند سفحه على ارتفاع ٢٠٥٠ متراً فندق حديث للاصطياف وليكون مثابة للذين يمارسون رياضة الشتاء على الثلج

وبورسة تبعد نحو ساعة عن البحر في سكة الحديد او السيارة ، ومرفأها قرية مودانية التي عقدت فيها الهدنة بين الاتراك والحلفاء بعد ما طرد الاتراك الجيش اليوناني من آسيا الصغرى . ويقال ان فرقة الفرسان التركية كانت قد تقدمت نحو صفوف الجيش البريطاني المرابط هناك للدفاع عن مناطق الحياد التي عينها الحلفاء على شاطىء الدردنيل فسحبت فرنسا وايطاليا جنودها منها وبقي الجيش الانكليزي واقفاً بالمرصاد . وكان يكفي ان تطلق رصاصة

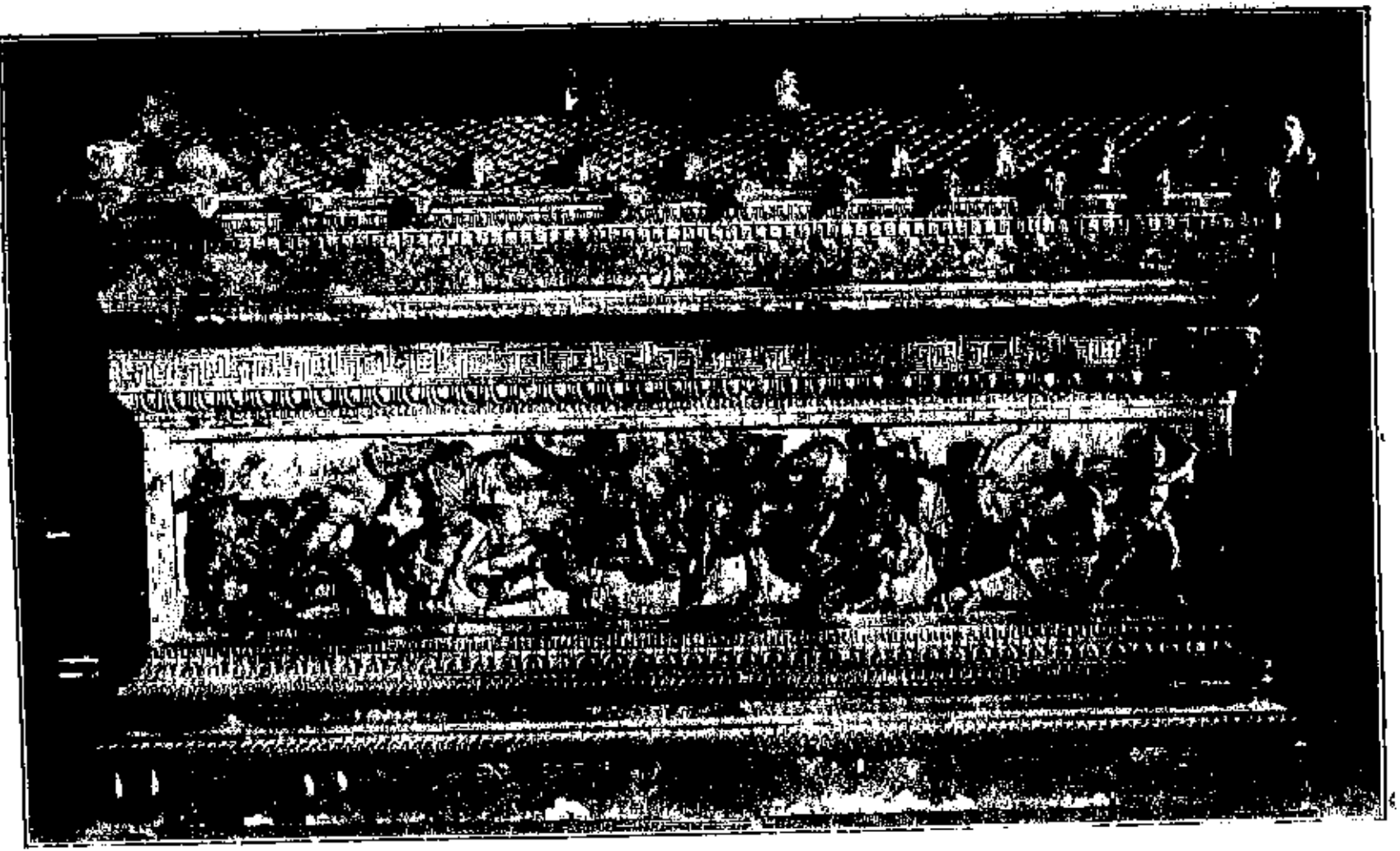

مقتطف أكتوبر ١٩٣٣ صورة الاسكندر في صيد الاسد انظر صفحة ٣٤٢

واحدة من احد الجانبين لكي يشتبك الفريقان . ولكن الجنرال هرنجتن القائد الانكليزي أبدى من الحكمة والحزم والرغبة الاكيدة في الصلح ما مكنهُ من اجتناب الاشتباك مع الاتراك ، فلما تأكد الحلفاء أن نصر الاتراك في آسيا الصغرى قد تمّ ، دعيت حكومة انقرة الى مؤتمر لعقد الصلح على اساس استرداد تركيا لسيادتها التامة وتعهدها بأن تحافظ في خلال المفاوضات على حرمة مناطق المياه حول الدردنيل والبوسفور

وقد دلونا على البيت الذي عقدت فيه هدنة مودانية . فاذا به صغير لا يمتاز بشيء خاص من حيث المنظر الخارجي ولكن لا بدَّ ان يبقى علماً تاريخيًّا ، لانه يرمز الى اليوم الذي اعترف فيه الحلفاء لتركيا الجديدة بحقوقها الوطنية ، وقد انتزعتها انتزاعاً بحد السيف

وبورسة مدينة قديمة لها مكانة كبيرة في تاريخ آل عثمان ولولا قربها الى البحر لكان الغازي اختارها عاصمة لتركيا الجديدة في بدء الحركة الوطنية في الغالب . تاريخ تأسيسها مجهول ولكن المؤرخ الروماني بلينيوس يشير الى ان هنيبال ، القائد القرطاجني العظيم أنشأها بعد خذلانه في معركة زاما بافريقية والتجائه الى ملك بروسياس في هذه المنطقة . وقد بلغت المدينة اوج عزها في عهد الامبراطور طريانوس الروماني ، وكان بلينيوس الصغير حاكماً لها وله رسائل يبث بها الى الامبراطور يشير فيها الى انشاء حمامات لان فيها ينابيع مياه حارة تفيد في معالجة بعض الامراض . ثم تقلبت عليها الدول والحكام الى ان حاصرها عثمان بن ارطغرل سنة ١٣٠٧ ب.م وبعد مادام الحصار عشر سنوات دخلها اورخان ابنه وأصبحت عاصمة للعثمانيين . وقد ادخل اليها اورخان صناعة القاشاني ونسج الحرير وبنى فيها مراد الأول قصراً فخماً وأنشأ حولها بايزيد الأول المعروف بيلدرم (الصاعقة) اسواراً لما ارتقى عرش آل عثمان سنة ١٢٨٩ ثم فتحها تيمور لنك بعد ما هزم بايزيد في معركة انقرة ونهب جوامعها ثم اشعل فيها النار . وظلت ككرة الصولجان بين ايدي الفاتحين والغزاة الى ان استقرَّ فيها ملك بني عثمان . وقد لجأ اليها الأمير عبد القادر الجزائري سنة ١٨٥٢ — ١٨٥٥ ثم احتلها ابراهيم باشا نجل عزيز مصر محمد علي باشا سنة ١٨٨٣ . ولكن الاحداث الطبيعية وما منيت به المدينة من ثار ونهب محت معالمها القديمة في الغالب

وحول المدينة الآن مزارع توت يربى فيها دود الحرير ، ومصانع حديثة لحلّ الحرير ونسجه وقد زرنا احد هذه المعامل فاذا فيه نحو ٣٠٠ فتاة تحلُّ الحرير وتغزله وتنسجه بالآلات الحديثة قماشاً جيداً . وكان حول المدينة بطائح يزرع فيها الارز ، ولكنها جففت الآن فابيد داء الملاريا الذي كان فاشياً فيها

اما ينابيع المياه المعدنية فيها فمتعددة وهي على نوعين . مياه كبريتية ، ومياه حديدية ، وحرارتها في الغالب عند انبجاسها من الارض نحو ٤٤ درجة بميزان سنتغراد . وقد بني فيها

فندق على احدث طراز ردهاً وغرفاً وحمامات ، وشيد كذلك الى جانبه حمام ضخم ، مرصوف من داخله بالرخام وفيه حوض متسع تظله قبة كبيرة ، وقد قال لنا الذين يعرفون اكس ليبان انه شبيه بحماماتها . وينتظر ان تفتح ابواب الفندق والحمام للزوار في السنة القادمة .

اما الجامع الاخضر ، فمن ابدع ما تقع عليه عينك من آثار العمارة الاسلامية . بني في عهد محمد الاول (١٤١٣ — ١٤٢٢ ب. م.) ومع ما اصيب به من التلف بفعل الزلازل، لا يزال محرابه وما يحيط بالمحراب من القاشاني الاخضر ، آية من آيات الفن الجميل . ويقال انهُ كانت له مآثر ، غشيت كذلك بهذا القاشاني البديع النادر ، ولكن الزلازل هدمتها. ويحيط بجدران الجامع من داخله ، منطقة عرضها نحو قدم ، على علو مترين او مترين ونصف متر ، كلها بالقاشاني وقد رسمت فيها آيات من القرآن الكريم بخط ثلث جميل ، وفي اعلى المنطقة كتابة بالحروف الكوفية ، تصعب قراءتها ، ولم نعلم هل هي نفس الآيات المكتوبة بالخط الثلث او آيات غيرها . وعلى مقربة من الجامع تربة محمد الاول بانى الجامع الاخضر ، وتعرف بالتربة الخضراء ، لتغلب القاشاني الاخضر على نقوشها، وقد نُزع معظم القاشاني الذي غطيت به الجدران من الخارج، اما القاشاني الذي يغطي الجدران من الداخل فمن النوع المعشّق وهو من اندر انواعها واتمها . وفي نوافذ التربة بقايا من الزجاج الملون

***

سبقني مكاتب المقتطم في استانبول الى وصف يالوفا ، وقد قابلته فيها يستثني من اصابته بعرق النسا فألفيته يثني ولا يفتن ، فأكتفي بأن اقول ان الحمامات التي ازدهرت في ايام قسطنطين وبوستنيانوس ثم طغت عليها الاجنة ، قد وجهت اليها عناية خاصة في هذا العهد (بدئت العناية بها سنة ١٩٢٩) فبنيت النزل والحمامات على احدث طراز مألوف في مدن الحمامات في اوربا وتعهدها اطباء بارعون من الترك . وحرارة مياهها الكبريتية تبلغ ٦٦ درجة بميزان سنتغراد عند انبثاقها من الارض والغازي فيها دار يؤمها في فصل الصيف احياناً وفيها كذلك دار لعصمت باشا . وقد حدثنا الدكتور سليمان عزمي عما خبره من فائدتها في سيدة كانت مصابة بالروماتزم ، فوصف لها الذهاب الى داكس بفرنسا ، فذهبت وعادت ولم تصب من العلاج هناك الا فائدة يسيرة . وفي السنة التالية ذهبت الى استانبول ، فحدثها اصدقاؤها اتفاقاً عن مياه يالوفا . فتعالجت بها ، ويشهد الدكتور عزمي — وهو الخبير الذي يزن الكلام بميزان الذرّ — انها اصابت في يالوفا من الفائدة ما لم تصبه في داكس وانها بعد علاج آخر في السنة التالية شفيت مما المّ بها

والمسافة من استانبول الى يالوفا تستغرق نحو ساعتين ونصف ساعة من السفر بحراً ونحو ثلث ساعة بالسيارة . والطريق اليها من الفرضة البحرية ممهّد مرصوف

مدخل جامع السلطان احمد

المحراب والقبلة في جامع السليمانية

مقتطف أكتوبر ١٩٣٣

وهي واقعة في وادٍ يرتفع نحو مائة متر او تزيد عن سطح البحر ، تحيط بها الجبال وقد كستها الحراج كساء سندسياً يأخذ البصر ، ونسقت في جوانبها الحدائق ، وبنيت السلالم لكي يسهل على نُزّالها الصعود من الوادي الى قمة الاكمة التي بني عليها الفندق الكبير . وكان للمنتظر ان نبيت فيها ليلتنا ، ولكن الفندق الكبير والنزل الاخرى كانت مزدحمة بالزوّار . فغادرناها بالسيارة الى بورسة

— ٤ —

شاهدنا في استانبول نصباً قائماً على ربوة تشرف على البوسفور يمثل نضال تركيا لاسترداد حريتها بزعامة رجل لعله في مقدمة زعماء الامم في هذا العصر او هو معهم في المقدمة . فعلى الجهة الواحدة ترى الغازي مرتدياً لباسه العسكري يقود اتباعه الى ساحة القتال . وعلى الجهة المقابلة الغازي كذلك والى يمينه عصمت باشا والى يساره فوزي باشا ومن ورائهم رجال الحركة الوطنية وكلهم بلباس السهرة الاوربي . هنا يقع في عيني الغازي نور البهجة لان النصر قد تمّ وها هو يقدم لشعبه الحرية التي انتزعها لهم وبهم من براثن الاسد

ثم ان كل صورة تراها للغازي حتى طوابع البريد تراهُ فيها مرتدياً ثياب السهرة الاوربية في الغالب . ولو ان الزائر بقي في استانبول لاحسّ ان كلّ ما قيل وردد عن الانقلاب التركي انما يشير الى تغلب الازياء الاوربية على الازياء الشرقية القديمة ويقتصر عليها . فالرجال يلبسون القبعات والنساء يسرنّ سوافر في الشوارع . أكان من الضروري ان تثار حرب دامية ويقع انقلاب عظيم لتحقيق هذا ؟

والواقع انك اذا شئت ان تلمح طرفاً من تركيا الجديدة يجب ان تزور انقره العاصمة . ان مشهدها ابعث المشاهد على الاعجاب والدهشة . فهي تفسر لك كثيراً مما تراهُ من المتناقضات في حياة تركيا الجديدة . يصرُّ الاتراك على ارتداء الملابس الاوربية ولكنهم ينقلون عاصمتهم من اوربا الى آسيا . لقد اخرجوا الارمن واليونان من كل نواحي الجمهورية الاّ استانبول . ومع توجسهم من الاجنبي الناشيء عن رغبتهم في استكمال عناصر استقلالهم التام في بدء الحركة الوطنية ، ترى المهندسين الالمان والفرنسويين يشيّدون في انقره آخر طراز من «الفيلات» الاوربية

ولكن انقرة رمز للروح الجديدة . هي على ما قال احدهم في باريس جوّ تتنسمهُ . ففي عيون سكانها شباباً وكهولاً رجالاً ونساء ترى ذلك الالق المنبيء عن يقظة الروح . وفي حديثهم تتبين ارادة الحياة حاسمة قاطعة كالسيف المصقول . هي رمز لتحرر تركيا من قيود الامتيازات ونفوذ الاجانب وربقة الاستعباد لرؤوس الاموال الاجنبية . هي رمز للجلاد بين الامة التركية المتجددة والطبيعة الجافية حيث اقيمت معالم المدينة الجديدة

تبدأ الرحلة الى انقره باجتياز مدخل البوسفور من جسر غلطة الى حيدر باشا باخرة

من البواخر الكثيرة التي تنقل الناس بين استانبول وضواحيها الاسيوية في اشقودار وحيدر باشا وجزائر الامراء . وتنزل من السفينة فيستقبلك بناء محطة ضخمة تخترقهُ فاذا انت امام ارصفة واسعة نظيفة وعلى الخط الحديدي قطار الحقت بهِ ثلاث مركبات نوم . كانت الساعة السادسة لما قام القطار من حيدر باشا مخترقاً سهول الاناضول الشرقي فاذا هي من اخصب البلدان التي رأيناها. حراج غضة وحدائق غناء تكثر فيها اشجار الاثمار وبيوت لا بأس بها في الغالب . ولكنك لست تجد بينها قصوراً ريفية كالتي تنتظر ان تراهُ في مثل هذا الريف الجميل

وسار بنا القطار يقطع السهول والجبال فتناولنا في عربة الاكل طعام العشاء وطعام الافطار ومررنا باسكي شهر التي كان لها شأن خطير في حرب الاستقلال في الساعة الثالثة بعد منتصف الليل . فلما اصبح الصباح كان القطار يجتاز نجداً علوهُ نحو الف متر عن سطح البحر تدل تربتهُ على انهُ شديد الخصب . ولكنهُ أجرد قاحل في الغالب لقلة اليد العاملة . ولكن الاستاذ رمزي كان يوجه انظارنا من حين الى حين الى الاشجار الكثيرة التي تغرس الآن بامر الغازي. والى المزارع المثالية التي تبنى لتكون بيوتها الصغيرة المهندمة النظيفة التي استوفيت فيها شروط المعيشة الصحية نماذج لفلاحي البلاد يقتدون بها . فلما مررنا امام مزرعة الغازي وهي على خمسة كيلو مترات من انقره استرعى بصرنا منطقة واسعة من الارض خضراء اللون تغطي أكمة وسفحها والسهل الذي عند اقدامها . فقيل لنا ان هذه المنطقة كانت قفراً يباباً قبل بضع سنوات لا تزيد على العشر ولكنها اليوم تحوي عشرة ملايين شجرة مئة ملايين منها اشجار فاكهة واربعة ملايين اشجار زينة . والغازي شديد العناية بتشجير النجد المحيط بانقرة لان انقره في نظره وفي نظر الشبيبة التركية رمز الفوز في حرب الاستقلال بل هي رمز ايضاً كما قدمنا للفوز في الحرب التي تثيرها الامة التركية الآن على جفاء الطبيعة حول عاصمتها الجديدة

وانقرة منطقتان — القرية القديمة — وهي قائمة على اكمة صخرية ترتفع نحو ٥٠٠ قدم فوق النجد الذي يحيط بها على الضفة اليسرى من نهر «انكوري سو» وهو احد روافد نهر سقاريا الشهير . وتبعد عن استانبول نحو ٥٧٠ كيلو متراً على خط السكة الحديدية . تتوج الاكمة قلعة قديمة ؛ ولكن القرية نفسها حقيرة كل الحقارة ، بيوت صغيرة متراكم بعضها فوق بعض مبنية بالطوب المجفف بالشمس ، وطرقات ضيقة مظلمة مرصوفة بالحجارة الكبيرة فيصعب المشي فيها ، بل ان اجتياز السيارات لها من العجائب . وتجد بين البيوت آثاراً قديمة بعضها ضخم ، لان انقرة تمتُّ الى الحضارات القديمة بصلة متينة . فقد كانت في عهد الرومان عاصمة لاحدى ولايات الامبراطورية الرومانية . وقد فتحها الفرس والعرب . ثم تعاقب عليها الترك السلاجقة فالصليبيون فالعثمانيون ومن أشهر الآثار الباقية فيها انقاض هيكل لاوغسطس

اما المدينة الجديدة فقائمة في النجد الذي تشرف عليهِ الاكمة والقلعة .وهو كالح جاف كان

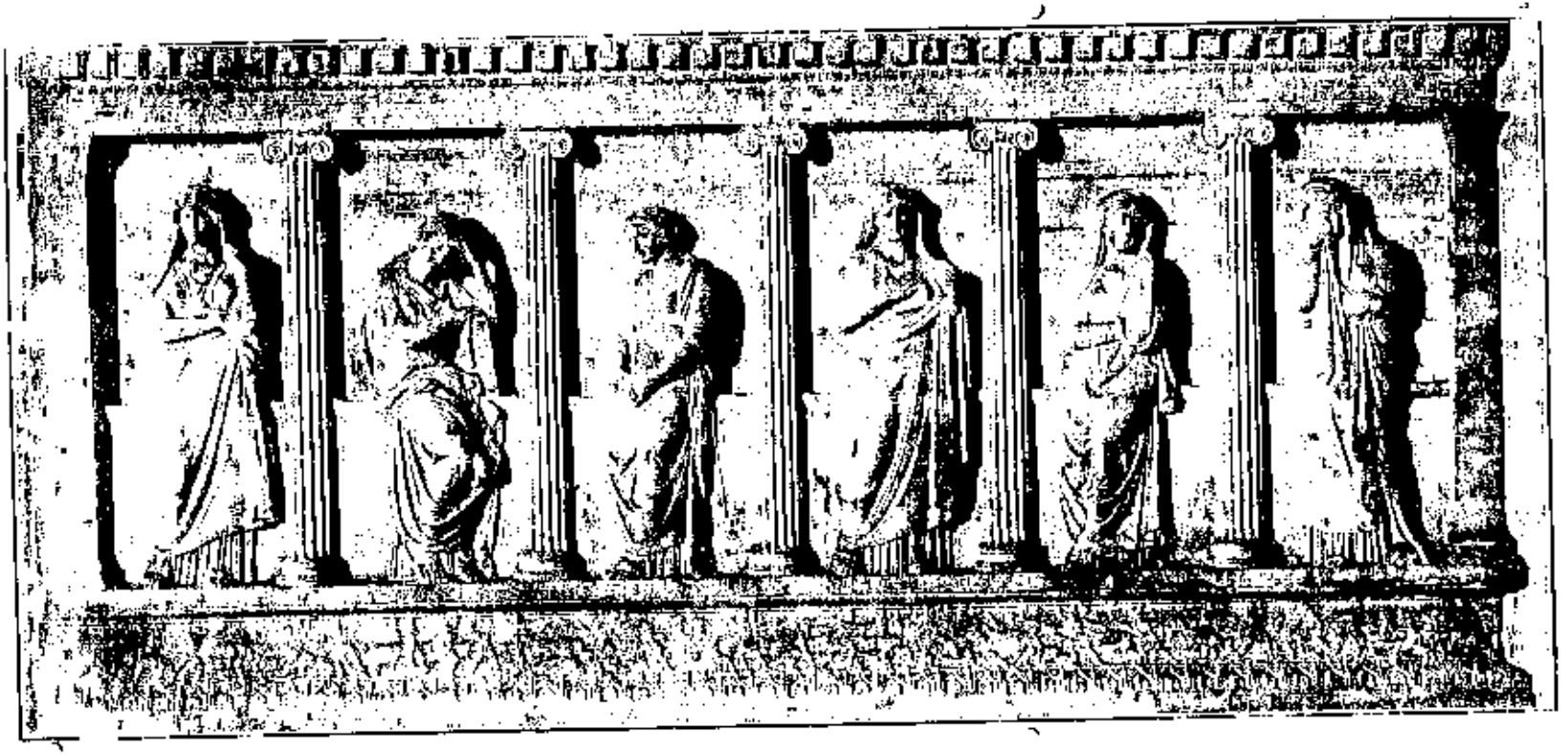

ناووس النادبات

انظر صفحة ٣٤٢

فيه مستنقعات يكثر فيها بعوض الانوفيليس الناقل للملاريا وكان السكان معذبين بها فأورثهم الضعف والسقم . ولكن المستنقع جفف ، والبعوض أبيد . وقد اكد لنا رجال الصحة انك لن ترى بعوضة واحدة في دائرة تبعد عن انقرة عشرين كيلو متراً من كل ناحية بل ان قطار استانبول لا يلبث ان يصل الى محطة انقرة وينزل منه المسافرون حتى يصعد اليه رجال الصحة لتبخيره

ترى المدينة ممتدة أمامك من سفح الاكمة الى رحاب النجد ، كأنها بشوارعها الفسيحة وبيوتها النضرة صفوف جيش يغزو . وليس امامه الا الطبيعة الجافية يغزوها . وليس له الا سلاح الارادة الماضية والايمان بزعامة الغازي سلاح يغزوها به . وأي سلاح أقوى من هذا السلاح

فدورها العامة والخاصة ، مبنية على احدث طراز . حتى قال احد الكتاب انه رأى في انقرة افضل امثلة على العمارة الاوربية الحديثة . فانك اذا اخذت أنظر احياء هليوبوليس وبسطته فوق متسع من الأرض كانت لك صورة لانقرة عاصمة الجمهورية التركية

تخرج من المحطة في سيارات (تاكسي) كأنها لفخامتها ونظافتها سيارات خاصة فتجتاز شارعاً عريضاً ترى على يمينه فندقاً حديثاً فخماً ، هو فندق انقرة بالاس ، وفيه يقيم الغازي بعض الحفلات العامة خلال فصل الشتاء . وامام الفندق الى اليسار بناء مجلس الامة وامامه حديقة عامة غناء وامام الحديقة ميدان فسيح لعرض الجيش . ثم تجتاز الشوارع الاخرى : هنا بنك ايش وهو مبني بالحجر السماقي أسسه الغازي من نحو عشر سنوات وقد احتفل بانقضاء عشر سنوات عليه ونحن في انقرة يوم ٢٦ اغسطس . وهناك وزارة الصحة وهي بناء أنيق ووراءها مستشفى نموذجي وعلى مقربة منها دار الهلال الاحمر وهناك تكنة الجيش ومقر أركان الحرب ومدرسة التجارة . ثم تصعد في شارع بديع الى الاكمة المناوحة لاكمة انقرة القديمة فتمر بسفارات الدول وبيوت الوزراء . فاذا وصلت الى القمة فانت امام « تشان كايا » وهو مقر الغازي ومنه ادار حرب الاستقلال . هنا البناء القديم الذي كان يجلس فيها الغازي في الايام السود ، يدخن لفافة من التبغ الرخيص ، وانباء السوء في بعض الليالي تأتيه تترى ولكن نور الامل في نفسه لا يخبو وايمانه بقوة الامة التركية لا يضعف وحد عزمه الماضي لا تفله الاحداث

لذلك اشار احد شعراء تركيا الشبان الى ذلك ، وقد تمثل فقر الأمة التركية كأنه المطمح الاعلى ، فقال : « ان الطريق الصاعد الى تشان كايا هو الطريق نحو السماء » . وعلى مقربة من البناء القديم اقيم بناء جديد للغازي بالحجر السماقي على طراز حديث يجمع بين البساطة وسلامة الذوق

أما منشآت انقرة الصحية والتهذيبية والاجتماعية فكثيرة ، وبها يباهي الاتراك ويفاخرون . ففي معهد عصمت وهو بناء ضخم ، تجد خمسمائة فتاة تتعلمن فنون تفصيل الملابس وصنع القبعات والعناية بالاطفال ومبادىء التمريض واصول الطبخ وصنع الحلوى . زرناه فقابلتنا وكيلته ، وهي سيدة تركية بهية الطلعة ذكية الفؤاد شديدة الغيرة على عملها . فذهبت بنا من

قسم الى قسم وهي تشرح لنا ونحن نحس في بسمتها ونبرة كلامها معنى المباهاة بما يقوم به هذا المعهد وماله من اثر في تثقيف الفتاة التركية تثقيفاً يعدها للحياة العصرية الحافلة بالتبعات والتعليم في هذا المعهد من دون لقاء . فلما سألتها كيف تختارين الطالبات قالت اننا لا نختار فكل فتاة تطلب الانضمام اليه تقبل فيه . فقلت واذا ضاق البناء عن الاتساع لهن جميعاً ، فاشارت من الشرفة وفي اشارتها بلاغة وفخر ، اننا نوسع البناء وها هو جناح جديد نبنيه

وثمة معهد آخر، يدعى معهد الغازي، وهو دار للمعلمين، شيّدت على ربوة الى جنوب المدينة كاملة المعدات . غرفها واسعة حسنة التهوية كثيرة الضوء . جدرانها نظيفة وابوابها نظيفة وارضها نظيفة . دخلنا معامل الطبيعة والكيمياء فالفيناها جامعة لكل الادوات الحديثة التي لا بد منها في تعليم هذين العلمين . ولقينا استاذ الادب التركي فيه ، فدلنا من شرفة للمعهد ، على جبل قال ان فيه مدفن امرؤ القيس ، ولعله عسيب الذي اشار امرؤ القيس اليه في بيتيه المشهورين

اجارتنا ان الخطوب تنيب وانى مقيم ما أقام عسيب
اجارتنا انا غريبان هاهنا وكل غريب للغريب نسيب

وثمة معهد للموسيقى : والغازي شديد العناية بالفنون ، لذلك بعث بطائفة من الشبان الى اوربا لدرس اصول الموسيقى حتى يعودوا الى بلادهم وينشئوا فيها بالاساليب الاوربية موسيقى مطبوعة بالطابع التركي . والتعليم بالمعهد مجاني كذلك ولكن الطلاب يجب ان يجوزوا امتحانات معينة لكي ينتخب منهم من فيه استعداد خاص للتفوق في الموسيقى

والمنشآت الصحية كالمستوصفات والمستشفيات وملاجىء الفقراء كثيرة . والعناية بها كبيرة وقد ندب لادارتها والعمل فيها طائفة من خيرة الاتراك رجالاً ونساء . هنا تجد من النساء المعلمة والمديرة والممرضة والطبيبة وطبيبة الاسنان . ولولا ضيق المقام لتوسعت في وصفها ولكنني سوف افرد لها وللتعليم فصلاً خاصًّا

والاحساس الذي تخرج به من زيارة هذه المعاهد جميعاً هو ان الشعب التركي يشعر الآن ان له كياناً وانّ لهُ تنشىء الحكومة ما تنشىء . حالة ان الشعب كان في العصور السالفة كالحجر ازاء الحاكم الفرد . فتركيا رغم ما يعرف بالدكتاتورية فيها وعدم قيام حزب امام حزب الشعب سائرة في طريق الديمقراطية الصحيحة . ولكن هذا الطريق وعر وطويل ويحتاج الى عهد طويل من المرانة والتثقيف

اما مقام انقرة في حياة الجمهورية التركية فيلخص في قول النائب والكاتب البليغ روشان اشرف حيث يقول « لقد انقطرت نفسي اذ تركت استانبول ولكن الطريق الى انقرة كانت طريق الكرامة »

فؤاد صروف

كلف زحل

ظاهرة فلكية تهم علماء الهيئة

في اليوم الثالث من شهر اغسطس الماضي ظهرت على زحل كلفٌ، كان تكشف عنها أثر في دوائر العلم . ولعلّ جانباً كبيراً من العناية بها سببهُ ان تمثلاً هزليًّا مشهوراً — ولّهاي — كان اول من كشف عنها . ولكننا اذا تجاوزنا عناية الصحف اليومية بهذه الكلف، الى اهتمام الاندية العلمية ، وجدنا ان ما يعرف عن زحل لزر يسير ، فكلُّ ظاهرة جديدة ، قد تكون سبيلاً الى توسيع معارف العلماء بهذا السيّار الفذّ ، فهي لذلك تسترعي انتباههم واهتمامهم. ولولا ظهور هذه الكلف على سطوح السيّارات ، لظلّت معرفة علماء الفلك بالاحوال الطبيعية عليها ، يسيرة وغامضة . فالكلف في نظر علماء الفلك اشبه شيء بالكلمات المطبوعة التي تحوّل صفحات النظام الشمسي الى كتابٍ مقروء

ويطلق لفظ « كلفة » اطلاقاً عامًّا على ظاهرات طبيعية متنوّعة، اذا راقبها الفلكي عرف هل هي صفة دائمة من صفات السيّار ، او هي ظاهرة تبدو ثم تختفي . فالبقع التي تبدو على سطح المريخ صفات دائمة من صفات سطحهِ ، يراها الراصد كلّ يوم في نفس المكان ، وبها يستطيع ان يقيس طول اليوم على سطح المريخ ، قياساً دقيقاً . اما الكلف التي تظهر على وجه الشمس فتلبث حيناً من الزمن ثم تزول وبها يستدلّ الراصد على ان الشمس جسم غازيٌّ وان سرعة دورانها على محورها اكبر عند محيطها الاستوائي منها عند القطبين. اما المشتري وهو اضخم السيارات فكلفهُ ليست دائمة وتختلف حجماً وشكلاً . والراجح انها ليست على سطح المشتري بل في جوّهِ . وقد دلّت الارصاد الدقيقة ، ان المشتري كالشمس تختلف سرعة دورانه عند محيطهِ الاستوائي عنها عند قطبيهِ وهذا يشير الى ان السيار ليس كتلة جامدة في الغالب. ثم ان الاضطراب في حركة بعض الكلف يدلُّ على حدوث تيارات عنيفة في جوّ الجرم الذي تظهر الكلف عليهِ

ولا يخفى ان الحلقات التي تحيط بالسيار زحل تجعله فذًّا بين السيارات ، بل بين الاجرام التي كشفت عنها المراصد لعين الانسان . ولكنها لغرابتها قد تسترعي عناية الباحث فيصرف نظره بعض الشيء عن جرم السيار نفسهِ . والواقع ان جرم زحل لم ينل من العلماء ما هو جدير بهِ من العناية . فكرة زحل تشبه المشتري شبهاً عامًّا، ولكنها اصغر منهُ فعلاً ، ثم ان بعدها العظيم يجعلها اقلّ وضوحاً في عيون مراصدنا . والكرة كثيرة التسطيح عند قطبيها وهذا يدلُّ على ان دورانها على محورها سريع جدًّا . ثم انك تجد على سطحها . كما تجد على سطح

المشتري ، مناطق مثالية قاتمة وباهرة، موازية لخط استوائه. اما سطح الكرة فعاكس قوي للضوء ، بل ان بعض مناطقه ابيض كالثلج او يكاد يكون كذلك . فهذه الظاهرات اذا اضيفت الى مشهده في التلسكوب ، تحمل العلماء على القول بأن كرة زحل يحيط بها جوٌّ غائم . واذاً فلا يستطيع الباحث ان يتوصل الى كشف كل ما يريد ان يكشفه من حالة سطح زحل بالرصد المباشر . لانَّ الجوَّ الغائم يحول بين السطح والراصد ، فيكتفي بالوقوف على ما يقع في سطح الجوّ من الحوادث . فالمشتري اقرب الينا من زحل . واكبر حجماً . لذلك يستطيع الراصد ان يتبين بالتلسكوب وغيره حركة الرياح والتيارات على سطحه ، ولكن مثل هذه الارصاد على سطح زحل ليس بالامر اليسير

ويحدث في فترات متباعدة ان تظهر بقع او كلف في اماكن متباينة على سطح زحل . فاذا حدث ذلك عني الفلكيون بتعيين الوقت الذي تمرُّ فيه الكلفة امام خط معين في التلسكوب . وكل رصد من هذا القبيل معرّض لخطإ بسيط يزال بتعديد الارصاد وأخذ متوسط الوقت الذي تقتضيه البقعة بين مرور ومرور — اي مدة دوران كتلة زحل على محورها. ولو كانت البقع باقية في مكانها ، لكان ضبط دوران زحل ميسوراً . ولكن هذا لا يمكن ان يقع لان البقع على ما قلنا ظاهرات في جوّ زحل لا غير . والظاهرات في الجوّ لا تقيم طويلاً . وقد دلت الارصاد التي تمَّت في خلال المائة والاربعين السنة الماضية ان سرعة دوران زحل عند خط الاستواء تبلغ عشر ساعات وربع ساعة وان السرعة ابطأ قليلاً عند خط العرض ٣٦° اذ تبلغ عشر ساعات و ٤٠ دقيقة . يقابل ذلك على سطح المشتري ٩ ساعات وخمسون دقيقة عند خط الاستواء وعشر ساعات عند خط العرض المقابل لخط ٣٦ على زحل . فالفرق بين السرعتين على زحل ٢٥ دقيقة ولكنه على سطح المشتري عشر دقائق فقط . واذاً فالبواعث على حركات الرياح وتياراتها على زحل اعظم منها على المشتري

***

لم تظهر كلفة على سطح زحل منذ ما ظهرت كلفة عند خط العرض ٣٦° سنة ١٩٠٣ اما الكلفة التي كشفها المستر ول هاي في ٣ اغسطس الماضي فواقعة على خط الاستواء . وآخر مرة ظهرت بقعة او علامة ما على خط الاستواء كانت سنة ١٨٧٦ فاستنتج منها ان مدة دوران السيار على محوره تبلغ عند خط الاستواء ١٠ ساعات و١٤ دقيقة و ٢٤ ثانية . ولسنا نعلم ما السرعة التي يفضي اليها رصد البقعة التي ظهرت حديثاً . ولكن الارصاد التي تمَّت حتى الآن تنبىء بأن مدة الدوران عند خط الاستواء قد تكون نحو ١٠ ساعات و ١٥ او ١٦ دقيقة اي انها اطول من المدة التي عينت سنة ١٨٧٦ بنحو دقيقة الى دقيقتين . ومما يؤسف له ان الكلفة لم تحتفظ بشكلها ، فقد استطالت منذ كشفت الى الآن ، وهذا يجعل ضبط الارصاد متعذراً

باب الزراعة والاقتصاد

تجربة اجتماعية خطيرة

تجمع بين النزعتين : الفردية والسيطرة العامة

لانعاش الحياة الاقتصادية الاميركية

يرتاب بعض المفكرين في نجاح المشروع الذي وضعه الرئيس روزفلت واعوانه لانعاش الصناعة الاميركية. ولكن ليس يرتاب احد في انتعاش الروح الاميركية. هذا الانتعاش هو اعظم المآثر التي تذكر بها حكومة روزفلت في الثمن الاول من حياتها . من المتعذر قياس الانتعاش الروحي ، فهو لا يوزن ولا يقاس، لكن لا يسع احداً انكاره. ان الذين يذكرون سمة القنوط واليأس تعلو وجوه الناس في آخر عهد هوفر، وينظر الى الوجوه فيها الآن مشرقة بنور الامل والثقة بالنفس، يعرف اي انقلاب احدثه روزفلت في الامة الاميركية. في امكان معارضيه ان يأتوا بالاحصاءات التي تثبت ان الخطط التي اتخذها لم تحقق كل ما علق بها من الامال. ولكن ليس في امكان الرياضي ان يقدر الروح الجديدة التي نفخها في الامة الاميركية . انه يتغلب على المصاعب بعزم صلب ، ويفوز بتأييد الجمهور بزعامة قوامها الاقدام والاخلاص والذهن المستنير والبسمة الاخاذة. والشعب الاميركي من وراثه يؤيده في مشروعاته فقد روى لنا صديق قدم حديثاً من اميركا ان الاميركيين لا يريدون ان يسمعوا كلمة لجبة . ويقال ان اميركيا قال لروزفلت اذا نجحت فأنت اعظم رئيس انجبته هذه البلاد واذ اخفقت فأنت اتعسهم شأناً فرد الرئيس عليه « بل اذا أخفقت كنت آخر الرؤساء» وفي ذلك اشارة الى ما قد تصير اليه شؤون تلك البلاد اذا اخفقت مشروعاته الجليلة

كان اليوم (٤ مارس ١٩٣٣) الذي تقلد فيه المستر فرنكلن روزفلت منصب الرآسة الاميركية يوماً جاهماً عصيباً . واجهت فيه البلاد الاميركية ازمة خطيرة في منشآتها المالية . فتذرع الرئيس بالشجاعة والحزم وعالج الحالة الطارئة حتى سكنت العاصفة واطمأنت النفوس قليلاً ، فاقبل على اصل الشر يعالجهُ وفقاً لمبادىء الحزب الذي رشحهُ وايدهُ في الانتخاب ، ومجاراة لآراء مستشاريهِ من علماء الاقتصاد ورجال السياسة والمال . ولو انهُ سأل اقتصاديي المدرسة الحرة رأيهم في الامر لقالوا له : — « لننتظر فعل الطبيعة وتحسن الاحوال وانقضاء الازمة وعودة حياة الصناعة والتجارة الى مجاريها » ولكن هذا الرأي ليس رأي روزفلت ، ولا رأي الاساتذة الذين يعاونونهُ. قال احدهم « الانتظار » وهز كتفيهِ . ثم اضاف : « اننا لا نستطيع ان ننتظر . فقد يبلغ عدد العمال العاطلين قبل تحسن الاحوال مبلغاً لا تفلح معهُ اية محاولة ثم انهُ ليس من الثابت انهُ اذا تحسنت الاحوال تمكنت الصناعات من تشغيل كل العمال العاطلين» . وسواء أأخطأوا ام اصابوا في تفكيرهم هذا فهم يرون انهُ لا بدَّ من العمل . وقد اقدموا عليهِ

وغرضهم تنظيم الصناعة واعانة الفلاح والشروع في اعمال عامة واسعة النطاق كتشجير الجبال وبناء المباني والطرق وما اشبه ذلك

وقد منح الكنغرس الاميركي ، المستر روزفلت في خلال الشهور التي تلت ذلك اليوم التاريخي ، سلطة واسعة النطاق ، يقال انهُ قلما منح مثلها رئيس اميركي ، بموجب قوانين خاصة اقرّها رجاله اولها خاصٌّ بموازنة الميزانية وخفض اموال معاشات الحرب ، وثانيها بمعالجة الحالة الزراعية ، وثالثها باعمال الديون الاصلية وابتداع الوسائل لتخفيفها عن كواهل الفلاحين وصغار الملاّك وبوجهٍ خاص ملاّك البيوت والدور الصغيرة ورابعها يمنح الرئيس الحق في نقص مقدار الذهب في الريال الاميركي ، اذا رأى ان ذلك لازم لرفع الاسعار بنقص قيمة النقد ، وخامسها وهو قفل العَقْد وواسطة العِقْد ، هو مشروع الانعاش الصناعي ، والغرض منهُ ايجاد عمل للعاطلين من العمال وتنبيه الاعمال والاشغال بوجهٍ عام

كان خروج الولايات المتحدة الاميركية من قاعدة الذهب ، حدثاً ذا شأن في تنبيه الكيان الاقتصادي الاميركي لرفع اسعار العروض في اميركا . فهبوط قيمة الدولار بالمقابلة مع الجنيه مثلاً ، يعني زيادة قيمة الجنيه بالمقابلة مع الدولار . فالجنيه على ذلك اقدر على شراء البضائع الاميركية . وهذا يشجع الانكليز ، ومن يجري مجراهم من ناحية العملة والنقد ، على زيادة ما يطلبونهُ ويبتاعونهُ من العروض والمصنوعات الاميركية . فهذا يدفع باسعار البضائع الاميركية الصادرة منها الى الارتفاع . ثم ان البضائع التي تستوردها اميركا من الخارج تميل الى الارتفاع كذلك ، فالمستورد الاميركي للبضائع الانكليزية مثلاً ، يميل الى رفع اسعارهم ، لانهُ يعلم انهُ سوف يقبض من زُبنهِ الاميركيين دولارات ناقصة القيمة

فالخروج عن قاعدة الذهب في اميركا ، يميل بالاسعار الى الارتفاع بوجه عام

ولكن القارىء يسأل عما يحدث للبضائع التي تصنع وتباع في اميركا نفسها . ان هذه لا تتأثر بسعر الكبيو وعلاقة الدولار بالجنيه . والواقع انهُ اذا ظلَّ الكساد سائداً السوق الاميركية أثّر هذا الكساد في ارتفاع اسعار البضائع الصادرة والواردة رغم خفض سعر الدولار كما قدمنا . وتأييداً لذلك نذكر ان انكلترا خرجت عن قاعدة الذهب في سبتمبر سنة ١٩٣١ ، فارتفعت الاسعار نحو ٦ في المائة في بضعة الشهور الاولى التي تلت الخروج عن قاعدة الذهب . ولكن عادت الاسعار فسقطت بمقدار ما ارتفعت ، لان الحالة العامة لم تتحسن حينئذٍ

فكل ما يستطيعهُ خفض سعر العملة هو رفع الاسعار في ناحية واحدة من نواحي الحياة الاقتصادية الواسعة النطاق . ولكن الارتفاع العام في اسعار العروض يتوقف على عوامل متعددة . والغرض من مشروعي رفع اسعار المحصولات الزراعية والانعاش الصناعي هو جمع هذه العوامل الباعثة على رفع الاسعار بوجه عام . اما في المشروع الاول — اي الزراعي — فقد توسلت

الحكومة الى رفع اسعار الحاصلات الزراعية بتقييد المساحات المزروعة ، وفرض ضريبة على صناعات الاطعمة وهذه الضريبة ينتظر ان تزيد اسعار الاطعمة للمستهلك ، فترتفع اسعار الحاصلات الزراعية بوجه عام

اما مشروع الانعاش الصناعي Industrial Recovery Act فالغرض منهُ رفع الاسعار بازالة الوسائل التي تتوسل بها البيوتات الصناعية للمنافسة الحادة فيما بينها ، وبزيادة العمال العاملين ، وتوسيع نطاق المقدرة على الشراء في كتلة الشعب. اما زيادة العمال العاملين فينتظر ان تتم (اولاً) بواسطة مشروعات واسعة للاعمال العامة — الطرق والمباني والاسطول — رصد لها مبلغ ٣٣٠٠ مليون ريال و(ثانياً) بحمل أصحاب الصناعات الكبرى على وضع أنظمة للمنافسة العادلة وتنسيق برامج الانتاج فيها ، حتى لا يزيد الانتاج على الطلب

فاذا أزيلت الوسائل التي تتوسل بها الدور الصناعية للمنافسة الحادة في خفض الاسعار وقضاء كل مصنع على مصنع يزاحمه ، تمكنت دور الصناعة والبيوتات التجارية من تحديد أدنى الاسعار التي يمكن أن تباع بها العروض من دون أن يخشى سقوطها الى ما هو دون ذلك الحد . وهذا ينشيء بدوره ثقة أو هو يجددها ، ويشجع أصحاب الصناعات على التوسع في أعمالهم

ولكن هذا وحده لا يكفي . لانه اذا اتفق أصحاب الصناعات على دستور للمنافسة العادلة ، ووضعوا الحد الادنى لاسعار العروض ، وتجددت الثقة التجارية ، لم يستطيعوا أن يمضوا طويلاً في هذا الميدان إلاَّ إذا رأوا إقبالاً من ناحية الجمهور على شراء ما ينتجون

وهذا الاقبال مرهون بتشغيل العمال العاطلين عن العمل حتى تتداول أيديهم النقود فيبتاعوا ما يحتاجون اليه . فمشروع الاشغال العامة الذي رصد له نحو ٣٣٠٠ مليون ريال ، جزء متمم لمشروع تنظيم الصناعة . والدلائل تدل على ان هذا الانتعاش سائر في طريقه الطبيعي ، فالعمال الذين تحولوا من البطالة الى العمل ، في بضعة الاشهر الاخيرة يزيدون على مليوني عامل ، وأجور العمال آخذة في الارتفاع وكذلك ما تخرجهُ المصانع من البضائع آخذة في الزيادة شهراً إثر شهر

خذ مثلاً صناعة المنسوجات القطنية وما يتصل بها . فقد وضع لها دستور وافق عليه اكثر أصحاب هذه الصناعة ومندوبو هيئات العمال ، وبمقتضاه عين الأجر الأدنى للعامل ١٢ ريالاً في الاسبوع في الولايات الجنوبية و١٣ ريالاً في الأسبوع في الولايات الشمالية ، وجعلت ساعات العمل ٤٠ ساعة في الاسبوع وحظر تشغيل الاحداث الذين دون السادسة عشرة من العمر

وقد تعاون مندوبو أصحاب الصناعات ومندوبو هيئات العمال ، مع الجنرال هيوجنصن مدير مشروع انعاش الصناعة على وضع هذا الدستور . وكان مندوبو العمال قد طلبوا ان يكون الاجر الادنى ١٤ ريالاً في الجنوب و ١٦ ريالاً في الشمال وان تكون ساعات العمل ٣٠ ساعة في الاسبوع ، وان يحظر تشغيل الاحداث الذين دون السادسة عشرة من العمر

فانت ترى ان الدستور الذي تمّ الاتفاق عليه هو نتيجة مساومة . تنازل فيه العمال عن بعض مطالبهم لبلوغ الاتفاق المنشود بينهم وبين أصحاب الصناعة وممثلي الحكومة . ولعلّ أصحاب الصناعات تنازلوا كذلك قليلاً عن مطالبهم بغية الاتفاق لأن المعروف ان اجور عمال المنسوجات كانت ادنى من الاجور التي عيّنت في الدستور الجديد

وقد يقال ان جعل مقدار الاجر الاسبوعي الادنى ١٢ ريالاً أو ١٣ ريالاً ليس بالعمل الذي يبهج قلوب العمال . والواقع انهُ ليس شيئاً يذكر اذا قيس بالاجور التي كان يدفعها فورد حتى بضع سنوات خلت — وكانت ٦ ريالات في اليوم للعامل وهو يدفع الآن نحو ٤ ريالات في اليوم للعامل الواحد — ولكن يجب ان نتذكر ، ان البلاد ما تزال تعاني ازمة عصبية في صناعتها وزراعتها ومنشآتها المالية ، وان هذا هو الحد الأدنى للأجور ، وان متوسطها لا بدّ ان يكون فوق هذا المستوى . وان الدستور الجديد اذا تمّ تنفيذهُ فسح المجال لنحو نصف مليون من العمال العاطلين في هذه الصناعة . وما تمّ في صناعة المنسوجات القطنية تمّ في صناعة الحديد والصلب ، وصناعة المنسوجات الصوفية وغيرها

هذا من ناحية الصناعة . اما من ناحية الحكومة فقد رصدت مائة مليون جنيه لتوزعها الحكومة في وشنطن على حكومات الولايات . ثم انهُ وضعت خطة لارسال ٢٧٥ الف شاب الى الحراج وهم منظمون تنظيم الجند ، يتلقى كلٌّ منهم ريالاً في اليوم ويمنح السكن والغذاء مجاناً وعليه ان يبعث بثلثي مرتبه الى اهله . وغرضهم شق طرق واسعة في الحراج لتمكن رجال مكافحة الحرائق فيها من التغلب عليها لأن خسارة اميركا السنوية من هذه الحرائق جسيمة جداً . ثم ان عليهم ان يغرسوا ملايين من فسائل الاشجار في الوهاد والبطائح والجبال الجرد. ثم عليهم ان يبنوا السدود لمنع حدوث الفيضانات التي تخسر بها اميركا كلّ سنة خسائر فادحة

وكذلك يلتقي الجهدان ، جهد الصناعة الذي يقصد به رفع الاسعار وتشغيل جانب من العمال العاطلين ، وجهد الحكومة والغرض منهُ زيادة مقدرة الشعب على الشراء والا باءت الصناعات بالخسائر الفادحة

هذا من ناحية النظر الداخلية . فهل اصاب جهد الاميركيين على انعاش الصناعة والتجارة داخل البلاد يتعارض والنزعة الدولية . ان النظرة العجلى تسفر عن القول ان الانعاش الداخلي يتعارض فعلاً مع التعاون الدولي لانهُ اذا اقلع المشروع وزادت اجور العمال ونفقات الانتاج وارتفعت اسعار البضائع اضطرت اميركا الى زيادة تعريفتها الجمركية لكي تمنع البضائع الاوربية مثلاً من منافسة البضائع الاميركية في اميركا ، لان الاولى ارخص من الثانية . فاذا رفعت التعريفة الجمركية افضى ذلك من الناحية الاقتصادية الى انكماش تجارة اميركا الخارجية ومن الناحية النفسية الى رد فعل عنيف تتبعهُ رغبة في اخذ الثأر من اميركا فترفع التعريفات

الجمركية الاوربية وزيادة الحواجز التي تعوق التبادل التجاري العالمي ، وكل ذلك قاض على نزعة التعاون الدولي . ولكن إذا دققنا النظر وجدنا ان هذا إذا وقع ، يكون ذا أثر سيء في انتعاش أميركا نفسها . لانه اذا تقلص مقدار التجارة الاميركية الخارجية ، ارتدت البضائع المصنوعة بقصد التصدير الى السوق الاميركية فتغرقها ، وتنزع بالاسعار الى الهبوط فهي إذاً تتعارض مع الغرض الذي من أجله أنشيء مشروع الانعاش . وهذا يصح بوجه خاص على صادرات التبغ والقمح والقطن وهي التي تعتمد الى حد بعيد على تجارة الصادر فاذا نقص ما تصدره ، انشلت هي بدورها ، من حيث مقدرتها على الشراء ، وكذلك يسري الداء من ناحية في كيان اميركا الاقتصادي الى ناحية أخرى

فيتحتم على أميركا ، لكي تفلح في تحقيق أغراض المشروع ، ان ترقب بعين حذرة سير الاسعار في البلدان الاخرى وان لا تسمح لاسعار عروضها بالارتفاع ارتفاعاً كبيراً عن مستوى الاسعار في البلدان الاخرى وعند ذلك لا يلزم قط ، أن ترتفع التعريفة الجمركية لصد العروض الاوربية الرخيصة ، ويزول المحذور ، الذي أشرنا اليه قبلاً

بل ان هنالك ما يدل على ان انتعاش اميركا ، يسير كما سار الانهيار فيها من دولة الى دولة حتى يعم العالم . وإحصاءات المرافىء الاميركية في العهد الاخير ، تدل على أن ما استوردته أميركا من البضائع — وهي عام في الغالب — زاد زيادة تذكر في الاسابيع الاخيرة

فاذا مضى مشروع الانعاش الاميركي في سبيله ، متدرجاً في رفع الاسعار رويداً رويداً ، فالراجح أن النزعة القومية الاقتصادية في اميركا لن تتعارض مع التعاون الدولي

والخلاصة التي نخرج بها من هذه التجربة ان الأمة الأميركية تتجه الى نظام اجتماعي جديد ، ليس هو بالفاشستية ولا بالاشتراكية ، وانما هو يستمد من النظامين أهم مبادئهما . فقد كانت اميركا الى عهد قريب تؤمن بمبدإ الفردية الخشنة Rugged Individualism كما دعاه الرئيس هوفر وبفلسفة الاقتصاديين الاحرار القائمة على ترك الامور تسير في اعنتها Laissez-Faire فكان أصحاب الصناعات احراراً في استنباط ثروة البلاد وتسيير مواردها ، والتعاقد مع العمال تعاقداً تغلب عليه صفة السيطرة الرأسمالية ، ويستعملون في منافسة بعضهم بعضاً أساليب تعود على المنافس والمنافس والعمال والمجتمع بوجه عام بالخسارة والاضطراب . وقد افلس النظام القائم على هذا الاساس ، لتبدل الاحوال ، ونشوء نزعة التماسك بين العمال — ومن ينكر عليهم حقوقهم الانسانية — واتساع نطاق الصناعة وزيادة المنتج المتكدس ولسوء توزيع الثروة

لذلك اقدم روزفلت ورجاله على محاولة تنظيم الجهد الاقتصادي ، حتى يكون تنظيماً ، لا تشوز فيه ولا تنافر . وطريقتهم في ذلك بدعة تحتفظ بمزايا مبدإ الفردية ، ولكنها تحقق نوعاً من السيطرة الحكومية تجعل الكيان الاقتصادي متناسق الاجزاء

مكتبة المقتطف

تلخيص كتاب المقولات لابن رشد

(المطبعة الكاثوليكية ببيروت)

عوّدنا الاب (بويج) ان يبرز مصنفات فلاسفة العرب ابرازاً لا غبار عليه . وها هو يذيع فينا «تلخيص كتاب المقولات» . وليس هذا الكتاب الا شرحاً لمصنف ارسطو الموسوم بكتاب المقولات المنقول الى العربية بقلم اسحق بن حنين . ولقد راج ذلك التلخيص في العصور الوسطى ونقل الى اللاطينية ثم طبع بها غير مرة في القرن الخامس عشر والسادس عشر

على انهُ قد خطر للاب (بويج) ان ينشر في الحاشية كتاب المقولات نفسه ليعارضه القارىء بشرح ابن رشد ، وقد اصاب فيما صنع لان تلخيص ابن رشد ينهض على نص ارسطو بل يلازمه

ثم ان الاب (بويج) الف مقدمة للتلخيص عرض فيها لمباحث شتى منها : صحة الكتاب ، فاستدل عليها بالنقد الباطن والظاهر — وتاريخ تأليفه ، فجعله حول شهر رجب سنة ثلاث وستين وخمسمائة استناداً الى ما نعرفه عن سيرة ابن رشد واخبار مصنفاته — وعنوانهُ ، فبيّن كيف اراد ابن رشد الشرح المجمل بلفظة «التلخيص» . بقي ان في تلك المقدمة تعيين المخطوطات التي عوّل عليها الاب (بويج) في ابراز الكتاب : فمخطوطات عربية في (فلورانس) من اعمال ايطاليا وليون والقاهرة ، واخر عبرية مخزونة في دار الكتب الباريسية ، واخر لاطينية مطبوعة بعضها في ليون وبعضها في البندقية . غير ان الاب (بويج) لم يحبس همهُ على مخطوطات التلخيص في سبيل تحقيقهِ بل انصرف الى المصنفات التي اشارت اليهِ او نحت نحوه في المنطق

هذا واني استأذن الاب (بويج) في ان آخذه بشيئين . ذلك انهُ اتفق لي حين نقدت «تهافت التهافت» في هذا المكان ان ارغب الى الاب الجليل ألا يقصر عناوين الفصول المدرجة في اعلى كل صفحة على اللغة اللاطينية ثم رغبت اليهِ ان يثبت في جدول الاصطلاحات اللفظ الافرنجي المرادف للفظ العربي . الا انهُ لم يصنع شيئاً وها أنا ذا اقول في «التلخيص» ما قلتهُ في «تهافت التهافت» . ومما لا يخفى على احد ان تدوين عناوين الفصول باللغة العربية تفيد القارىء الذي يجهل اللاطينية ، ثم لن نبرح حاجة اليوم الى تحقيق اصطلاحات العرب الفلسفية ولا كلفة على الاب في اثبات ما يرادفها من اصطلاحات الافرنج ذلك انهُ عالم بفلسفة العرب ومتضلع من فلسفة الغرب

بشر فارس

مقاير الكتب

حاضر العالم الاسلامي

تأليف «لوثروب ستودارد الاميركي» ترجمة الاستاذ «عجاج نويهض» وطبع سواحي امير البيان شكيب ارسلان . مطبعة عيسى البابي الحلبي سنة ١٣٥٢

اوكس الامم اليوم حظًّا في التعارف والتآلف ، الامة الاسلامية التي الّف الله بين قلوبها وألسنتها بالقرآن حين انزله على رسوله وأيده ونصره ، وجمع المؤمنين من بعده اطراف الارض تجبى اليهم ثمراتها وارزاقها، وجعلهم ائمة يهدون الى الحق وبه يحكمون . وانت اذا نظرت الى العالم الاسلامي اليوم ورجعت الى تاريخ هذا العالم فيما تصرّم من ايامه لوجدت تخالفاً عظيماً بيننا وبين اولئك السلف الذين هداهم الله الى اسباب السعادة فاستمسكوا بها واعتصموا بحبلها فجمعهم الله على قلب رجل واحد . فكان الرجل في اقصى الصين تمتد اخوّته الى اخيه المسلم فيما تطوّح عنه من بلاد المغرب الاقصى ، فكان الصينيّ المسلم ينزل اي امة من الامم التي تدين بالاسلام فلا يجد الجنسية تفصل بينه وبين العربي او المصري او الشامي او المغربي بل كانوا جميعاً اخواناً في الله وكانت الدولة في اي امة من امم الاسلام تتلقى هؤلاء الناس وتقوم عليهم وتفسح لهم كما تفسح للذين تربوا في ظلها ونشأوا في ارضها ، فكان المسلم من اهل الشام يتولى في بلاد مثل المغرب التدريسَ والوزارةَ وكثيراً من مرافق الدولة او يقوم عليها . ولا يفرق بينه وبينهم هذه الفتنة السوداء التي ظهرت حديثاً — فتنة الجنسيات. وكانت اخبار كلّ امة من الامم الاسلامية معروفة عند جاراتها وغير جاراتها فيما تقاذف من الارض هذا مع بطء المواصلات في ذلك العصر ، وقلة اسباب الاتصال والتعارف ، اذا قيست بما في هذا العصر من بريد وطباعة وطائرات وبرقيات سلكية ولاسلكية وغير ذلك من اسباب الاتصال التي جعلت العالم كله كأنه امة واحدة . اما اليوم فان الكثير من شباب العالم الاسلامي لا يكاد يعرف عن اقرب جاراته اليه الاّ تتفاً من الاخبار لا تغني بفائدة، ولا يجتمع من مجموعها ما يمكن ان يسمى علماً او معرفة ، وليس ذلك من شيء الاّ هذه النزعات الفردية التي مزقت العالم الاسلامي، وهذه الجنسيات البغيضة التي قضت على الحياة السعيدة بين امم الشرق الاسلامي. وإنك لترى كثيراً من شباب الشرق يعرف اخبار فرنسا وانجلترا والمانيا واميركا وغيرها من بلاد لا يربطهُ بها دم ولا لغة ولا دين ، فاذا ذكرت الامم التي تربطهُ بها الدم وتجذبهُ اليها اللغة ويميل بهِ اليها الدين والعقيدة وقف من ذكرها موقف الغريب الذي اخذته الدهشة واذهلتهُ الحيرة

والسبب في هذا التدابر العجيب — بعد الاتصال والاخاء — هو ما اشرنا اليهِ من ظهور فتنة الجنسيات ، ثم انصراف الشباب منا عن تتبع اخبار الامم الشرقية عامة والاسلامية خاصة، ثم

قلة عناية الصحف بأخبار هذه الامم ، ثم هذا الكسل الذي اعترى اهل الشرق فصرفهم عن التزاور والتعارف ، هذا مع ان الرحلة هي اهم اسباب المحبة بين الناس واحسن طرق المعرفة واجلّ الاعمال خطراً في بسط النفس والفكر والامتداد بهما الى طلب السعادة والخير والمنفعة التي تعمّ ولا تقف عند الحدود الضيقة التي نصبتها الشهوات المدنية

***

ظهر كتاب «حاضر العالم الاسلامي» للمرة الاولى سنة ١٣٤٣ من الهجرة ، وكان الشباب يغلي في دمي غليان المرجل ، وكنت احب ان التقط اخبار الامم الاسلامية ما استطعت ، وكنت اؤمل آمالاً كثيرة يمدها خيالي وتزينها احلامي ، وكان يقوم على تهذيب نفسي وتشذيب آمالي واحلامي رجل احب ان اعترف بفضله عليّ ، وهو الاستاذ «محب الدين الخطيب» الذي طبع كتاب «حاضر العالم الاسلامي» بمطبعته للمرة الاولى . فكان هذا الاستاذ الجليل اول من هداني الى قراءة هذا الكتاب ، وما عليه من تعليقات شيخ الكتّاب الامير شكيب ارسلان ، واستفدت من تعليقاته عليه اكثر مما استفدت من كلّ كتاب قرأتهُ الى هذا اليوم ، فلما ظهرت هذه المطبوعة الثانية ورجعت الى قراءته مرة اخرى انفسح لي مجال التفكر فيه اكثر من ذي قبل وكأني ما قرأت منهُ حرفاً قبل هذه المرة وذلك لان الامير شكيب استوفى ابوابه وحشدها علماً كثيراً لا يقوم به غيره ، ولا غرو ، فان هذا الرجل قد سلخ من عمره خمسين عاماً او تزيد في تتبع الحركات السياسية والدينية والعلمية والادبية والتجارية التي نشأت وترعرعت في العالم الاسلامي وبثّ فيها قلمه روحاً عظيمة تركت آثاراً في كل بلد اسلامي . وهذا الكتاب الذي بين يدي هو — فيما اعتقد — أجل ما عمل الامير وما ترك من اثر ، ولا نزال في حاجة الى قراءته وتدبره والرجوع اليه إذ هو الكتاب الوحيد في العربية الذي يجمع بين دفتيه اخبار العالم الاسلامي وما ألمّ به وعمل السياسة في ارهاقه وتحطيمه وتمزيقه . وليس احوج الى قراءة هذا الكتاب من شباب العالم الاسلامي الذين انصرفوا عن دراسة شؤون الدول الاسلامية والشرقية ، ولم توافهم الصحف بأخبار واقية صحيحة عن هذا العالم . وانا في كلمتي هذه لا أميز بين مسلم ومسيحي ، فان الاسلام قد أظلّ النصرانية واليهودية في الشرق بظله الرطب زمناً طويلاً وكانوا جميعاً في امن وعزّة لا يلحقهم حيف ولا تمسهم الذلة وكان امن الاسلام امنهم وعزّه عزّهم ، ولم يكن هناك استعمار يجعل الاقليات في بلاد الاسلام رماد بندقيته التي يرمي بها الجامعة العربية الاسلامية . ان التاريخ لا ينسى ان الجيوش الاسلامية التي قاتلت الصليبيين من اهل الغرب كانت تجمع تحت لوائها المقاتلة من النصارى واليهود وغيرهم ، وان التاريخ لا يستطيع ان يذكر لنا بشكوى كانت لنصارى الشرق

من المسلمين واحكامهم، ألاَ وإنّ موقف الاقلية المسيحية في سوريا خير مثل مضروب لذلك العهد المضيء بالعدل والمساواة والحق

ليس للعالم الاسلامي مجلة (دائرة معارف) يوثق بها في هذا العصر الاّ هذا الكتاب . ولم نأخذ على هذه المطبوعة شيئاً من النقص الاّ أشياء قليلة ، فالمطبوعة الاولى من الكتاب كان التخالف فيها بين حروف الاصل المترجم وتعليقات الامير واضحاً بيّناً . اما في هذه المطبوعة فالاصل والتعليقات كلها من حرف واحد . وايضاً ، كان في المطبوعة الاولى فهرس دقيق للاعلام والمواضيع خلت منهُ هذه المطبوعة وكان صواب الرأي ان يكون الفهرس في هذه اوفى منهُ في الاولى واوسع ، على ان هذا لا يقلل من قدر هذا الكتاب الذي لا يستغني عنه شرقي يريد ان يشعر يوماً ما بالعزة والكرامة والعلو في ظلال الحرية والاستقلال

ذكرى الشاعرين

جمها ورتبها « أحمد عبيد » صاحب المكتبة العربية بدمشق — مطبعة الترقي بدمشق سنة ١٣٥٢

كان في عصور الحكومة العربية التي اقامها الاسلام في الشرق واظلّ بها ما تراءى بين مشرق الشمس ومغربها من أمم الّف بين قلوبها وألسنتها وثقافتها وعلمها ، قومٌ قد اتخذوا الورقَ والكتبَ تجارة درّت عليهم رزقاً مباركاً ، وسمى الناس هؤلاء القوم « الورّاقين » . فكانت دكاكين هؤلاء الوراقين مجامع تضمُّ صفوةً من العلماء والشعراء والمحدثين والفقهاء والنساخين والادباء لا يزالون يردون عليها ويصدرون منها ما بين طرفي النهار في طلب الكتب أو بيعها أو نسخها . وكانت مجالس هؤلاء المثقفين في هذه الدكاكين لا تخلو من مناظرة أو مطارحة أو جدل ، أو ذكر خبر ، أو رواية حديث ، او إظهار حكمة . فنشأ من بين هؤلاء الورّاقين رجال من اهل العلم ألّفوا وقعدوا للدروس وقالوا الشعر الجيد وبذّوا كثيراً من أهل العلوم التي فرّغوا قلوبهم لها مع تجارتهم . والاديب « احمد عبيد » هو خلف من اولئك السلف الذين جمعوا الى التجارة بالكتب علم ما في هذه الكتب ، وله آثار جيدة وشعر طيب ولا يزال يطالعنا كل عام او عامين بكتاب مما ألّف أو جمع أو اختار

وآخر كتبه « ذكرى الشاعرين » حافظ وشوقي ، جمع فيه اكثر ما كتب الادباء في مصر والشام والعراق والمغرب عن هذين الشاعرين قبل وفاتهما وبعدها وجمع اكثر المراثي التي قيلت فيهما وأضاف الى بابي الكتاب مختاراً من شعر حافظ وشوقي اكثره لم ينشر . وفي هذا الكتاب ترى كيف اهتزّ العالم العربي لموت هذين العلمين ، وكيف افاض الكتّاب والشعراء في ذكر آثارهما ومناقبهما وكيف الطقت الفجيعة كل سامت وأوهت كل بليغ . ولا يشك احد في انهُ لم يكن الوفاء للشاعرين في جمع ما كتب عنهما وحسب ، بل الوفاء في تتبع ما احدثا في

الشعر العربي من جديد ، وأقامه من بنيان كان قد تهدَّم في عصور الكتمة والنبطية المريضة التي كانت لسان الشعراء في القرون الاربعة قبلهم ، غير ان هذا العالم العربيَّ قد ابتلي بالتقصير في تاريخ دولهِ وآدابهِ ، وبالكسول عن الاغراض السامية التي كان آباؤهم يتبادرون اليها تبادر الجياد الكريمة في حلبة السباق . ومع هذا فشكرنا للاخ « عبيد » — الذي جمع ما كتب عن هذين الفحلين العظيمين — لا يقدَّرُ اذا قيس بأسفنا لهذا الصمت الذي عقب وقاتهما . وعمل الاخ « عبيد » قد جعلنا نشعر بان الامة العربية التي مزَّق الاستعمار أوصالها بدسيسة العصبيات من فرعونية واشورية وبربرية وفينيقية قد بقي فيها ذلك الوفاء الذي امتازت به على تطاول العصور . وأملنا ان يكون عمله هذا فاتحة لدراسة هذين الشاعرين دراسةً وافيةً يقوم بها من يجد في نفسه القدرة على تتبع بيانهما وسحرهما وفنهما واظهار ما كان لهما من الفضل على البيان والفكر والفنّ

ماضي الحجاز وحاضره

الجزء الاول : تأليف « حسين بن عبد نصيف » بمجلد الحجاز مطبعة خنير

كان غيري احقَّ بالكتابة عن هذا الكتاب ، فان للاخ « حسين » ووالده عندي نعماً مشكورة ما بقيت ، وانَّ الصداقة التي بيني وبينهُ لتجعل بعض اخطائهِ في نفسي بمنزلة من الصواب . وكان كتابهُ هذا تامًّا ايام ان كنت في الحجاز وقد عرضهُ عليَّ وحال بيني وبين تمام قراءتهِ او التثبت عند النظر فيهِ حوائل جمَّة

وهذا الجزء من الكتاب وثيقة تاريخية عظيمة القدر في تاريخ الحجاز من ولاية الحسين بن علي بن محمد بن عون الرفيق في شوال سنة ١٣٢٦ إلى دخول عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل السعود (ملك الحجاز ونجد) جدة في صباح الخميس ٨ جمادي الآخرة سنة ١٣٤٤ ، ويزيد قدر هذا الكتاب حين يصل الى تاريخ المعركة التي كانت قائمة بين الاسدين العربيين ، والتي انتهت بانهزام الحسين وخروجهِ من بلاده الى حيث عاجلته منيته رحمهُ الله وعفى عنهُ . ولولا هذا الكتاب الذي بين ايدينا اليوم لكان من الصعب على احد من اهل البلاد العربية النائية ان يصل الى اخبار صحيحة عن الحرب الحجازية الاخيرة ، أو أن يصل بين تاريخ الحجاز قبل عهد الحسين وتاريخه بعد حكم ابن سعود . وقد اتَّبع صاحب الكتاب طريقة جمع الوثائق التاريخية كلها — الاَّ قليلاً مما لم تصل اليهِ اليد أو مدَّ طوتهُ الضرورة . ولعل الطبعة الثانية لهذا الكتاب ستكون ان شاء الله أوفى واتمّ واوسعَ فان نقص القليل من وثائق التاريخ يلدُ خطأً كثيراً في التاريخ ، وبخاصة في تاريخ الحجاز الذي لم نجد احداً من أهله دوَّن عن عصوره القريبة شيئاً يعتمد عليهِ أو يرجع اليهِ مع انهُ مناط آمال كثير من دعاة الجامعة العربية ، ومواثل

من موائل الحرية ، ومشعر من مشاعر الله التي تضم اشتات الامم واخياف الناس فتؤلف بين ابدانهم كما الّف الله بين قلوبهم بالايمان

ونحن نقدّر جمع الوثائق التاريخية تقديراً اكبر من غيره مما يكتب في التاريخ ، وذلك لان تعرُّف المعاصرين لعهد من العهود يوجّه التاريخ الى وجوه ملتوية اذ يكون العامل المؤثر فيها هو الهوى والعصبية والميل الى فئة من الفئات ، وهذا عمل غير صالح يضع الخلف في مضطرب واسع لا يستطيعون فيه تحقيق التاريخ على وجه الصواب . ولذلك كان التاريخ العربي القديم على كثرة الرواية فيه واضطرابها أحفل التواريخ بالمادة التي تهدي الى الحقيقة في تاريخ عصر من عصوره . وليس يعتمد التاريخ على فصاحة المؤرخ وبلاغته وحسن ادائه بل العمدة فيه المادة التي يحشدها المؤرخ في بيانه عن عصر يؤرخهُ ، ثم قدرة هذا المؤرخ على حسن الاداء ، ودقة الوضع التي يؤلف بها بين الروايات بعد تصحيح ما صحّ منها وتزييف ما زُيف

وه ماضي الحجاز وحاضره» سيكون مادة عظيمة للمؤرخ الذي ينزع الهمة يوماً ما لتاريخ الجزيرة العربية في عصر النزاع بين الحسين وابن سعود ، ذلك العصر الذي كان فاصلاً بين شكلين من الحياة والفكر ، لا يزال الناس في شكٍّ من ترجيح احدهما على الآخر

الوحي المحمدي

تأليف الاستاذ الجليل السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار — مطبعة المنار سنة ١٣٥٢

من اجلّ النعم التي انعم الله بها على الانسان نعمة العقل ، واجل ما ينعم به على هذا العقل بساطة التفكير والرجوع فيه الى الحرية والانصاف والاعتدال والسماحة ، واسوأ ما يعتري هذا العقل من الادواء التي تزيد في شقاء الانسان ، هذا التعقيد الذي يسمونهُ فلسفةً تدليساً على العقل نفسه . والحقيقة التي يجب على كل انسان ان يعتقدها في نفسه وقلبه ان التفكير البسيط الواضح الهادىء الجريء المتثبّت هو اعلى درجات الفلسفة وأشرف منازل الحكمة . وكانت حكمة الاولين وفلسفتهم تعتمد في مجموعها على هذه البساطة ، وذلك لصفاء القلوب وتفرُّغها لطلب الحقيقة من ناحية ، ثم لقلة العلوم وانشعابها من ناحية اخرى . فلما اتسع العالم في الحضارة ونهض العلم واستبحر حتى وصل الى الحالة التي نراها اليوم ، اتسعت الشهوات وغلبت على القلوب وشغلتها عن طلب الحقيقة والتفرُّغ لها والتوت بها في مسالك الضلال والغيّ ، وصعب على عامة الناس الاحاطة بالعلوم كلها . ثم لما ظهرت اشباه المعجزات في العلم الحديث استكبر الانسان واخطأ الرأي في نسبة هذه العجائب الى قدرة العقل وحده دون توفيق الله ومشيئته ، فزاغ كثير من الناس وضلوا واستفتحوا أبواباً من الزندقة والجحود والشبهات قلّ ان يجدي في اغلاقها جدال او خصومة

واذا نظرت الى الارض وجدت الاضطراب والتقلقل والحيرة مقرونة بالتهتك والفجور والبغي ووجدت سيلاً من الفتن يزأر ويخور في كل مكان ووجدت الناس من ههنا وههنا يجرون ويدبّرون ويتلفتون كأن ليس منهم الاّ لصٌّ او مسلوب أو مجنون. ونعوذ بالله ،فانّ هذا بلاء عظيم لا يدري معهُ كيف المخرج ولا اين المفرّ. ألا وان الايدي موضوعة على مفاتيح العلوم ، وكلما أدير مفتاح في بابهِ ثم فتح الباب وبدت العجائب لعيون الناس جدّدت هذه العجائب فينا رغبات وشهوات تمنع القلوب من الاطمئنان والاستقرار. وكيف يطمئنُّ امرؤ لا يزال قلبهُ معلقاً في مدرجة الرياح الهوج ولا يزال تتناوحهُ تلك الرياح بالقوة الطاغية التي تعصف بالعالم فما تفتأ تدوي القنابل والرصاص والرعود والبروق في كل زاوية من هذه الارض التي يقولون عنها متمدنة حرة . أن العالم ليغلي بشروره وحسناته على كثرة الشرور وقلة الحسنات . أفينكر هذا حيٌّ على ظهر الارض في ايامنا هذه ؟ اينكر احد أننا على حافة ميدان قد حشدت له الامم والعقول من كل مكان ؟ او ينكر احد ان هذا الميدان لا يحدُّهُ بحدود سياسية او حربية ؟ ألا وان القتال قد وقع في كل مكان حتى البيوت التي هي موضع الامن في عرف الانسانية ، او ينكر احد ان العلم الحديث على جلالة قدره وعظم ما آتى من النعم لم يستطع ان يؤتي قلباً واحداً نعمة الراحة والاطمئنان ؟

أخذت الارض زخرفها وازّينت وظن اهلها انهم قادرون عليها فلم يبق بعد الآن الاّ ان يعرف الانسان انهُ — مع قدرته على الارض وتصريف قواها واستخراج كنوزها — غير قادر على ان يستجلب لقلبهِ ساعة من الامن يرضى فيها عن نفسه وترضى نفسهُ عنهُ . ألا وان اهل الارض جميعاً في هذه الحيرة لينظرون الى الغيب نظرة اليائس الذي كان لهُ أمل ثم قطع به ، ولماذا قطع بهذا الامل ؟ ذلك لان الناس حكّموا في قلوبهم كل شهوة من شهوات المال والنساء والغلبة والفوز ولم يضبطوها بشيء من ضوابط الحياة ، فاصبحت الحياة كلها عدوان وتقاتل وتنابذ وشهوة، وليس للحق وحدوده بين الناس قدر تقف كل هذه الشهوات دونه ، ثم ها نحن نفقد الامام الذي يقود العالم الى الخير والسعادة والراحة، ولا يستطاع ان يكون في كل عصر امام يقود الناس،فكان العقل ان يكون كل امرئ هو امام نفسه اماماً يهديها الى الخيرات، وليس يوجد هذا في امرئ الا ان يكون عنده كتاب يهديه ، يستجيب لامره ، ويقف مع نواهيه ، ويمشي مع اوامره . ويكون هذا الكتاب هو الحق المبين الذي ميّز للانسانية خيرها وشرها وصرفها على قدر من الحكمة والصواب يؤول بها الى المحبة والرضا والحرية والسعادة والاطمئنان

وهنا يختلف الناس بين الكتاب الوضعي الذي لا يعرف أول الرأي فيه من آخره ، وذلك هو كتاب العقول الانسانية بفلسفتها وحكمتها وضعفها واختلافها، وبين الكتاب الذي يقول

عما من يؤمن به انه وحي من رب العالمين يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم . وليس يقع هذا الخلاف الاَّ من غموض أمر هذا الوحي الى بشر من الناس تلقى اليه من ربه كلمات يبلغها للناس حتى يكونوا مؤمنين . ولا يقضُّ هذا الخلاف بين الناس الاَّ ان يستقرَّ في القلوب صدق الوحي وصدق وقوعه لمن اختير من بين البشر ليكون نبيًّا أو رسولاً يهدي الى الحق ويدعو الى صراط مستقيم . ولمثل هذا قام الاستاذ الجليل الشيخ محمد رشيد رضا فأخرج للناس كتابه هذا الذي بين أيدينا عن الوحي ، وعن الوحي الذي نزل على « محمد » رسول الله صلى الله علية وسلم خاصة ليثبت ان الوحي صدق لاشك فيه وان القرآن حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

واحبُّ ان ألقي القلم من يدي لان الاسترسال في نقد هذا الكتاب واظهار حسناته وتعقب بعض كلماته التي سبق بها قلم المؤلف تغري بالافاضة حتى يبلغ ما نكتب عنهُ مثل الكتاب الذي أمامنا ، وانه لمن الخير لكل من يطلب الحقيقة ان يدرس الوحي في هذا الكتاب فلعله يجد الحق فيقتنع به ويتعلق بآياته

جبران حيًّا وميتًا

مجموعة تشتمل على مختارات من كتابات جبران ورسومه وما قيل فيه
جمعها ونشرها سليب مسعود — سان باولو برازيل — صفحاته ٢٦٧ وثمنه ٤ دولارات

في العالم الذي تغرب الشمس عن افقنا لتشرق في أفقه البعيد يعيش شعب شرقي مهاجر لم تقطع مادية الحياة على روحانيته ولم تقطع الايام بينه وبين أمجاد ماضيه في الشرق العظيم

وكأنما يحيا للفن ويعيش للأدب فهو رسالة القديم الى الجديد ولكنه فن وأدب يمتازان بطابع العالم الذي يعيش فيه هذا الشعب المهاجر

وكأنما تحمل اليه الشمس في هودجها الذهبيّ كل صباح ما يبهر بخاطره ويعلق بناظره من أرض الميلاد فلا تسمه منها خرير ماء النبع المنحدر على الصخور وأغرودة الشحرور في أعالي السنديانة ورفرفة العصفور بين عرائش الكروم وملء عينه رسوم الحضارات الاولى من خرائب بعلبك ومغائر الطبيعة بين الماء والسحاب فالثلج المؤتلق على ذؤابة الجبل وظلال الارز الساجية في محاني الوادي تحت غلائل الشفق الوردية. ومن صفحات هذا الكتاب الخالد استمدَّ المعلوف وجبران وأبو ماضي ونخائيل نعيمة والقروي وغيرهم من ادباء المهجر إلهام فنهم ووحي أدبهم. وهي ذكريات كلما هزت نفوسهم اليها تباريح الحنين أمتعنا منها بأجل رسالة وأسمى مثال من النثر والشعر والتصوير وكلها ميراث خالد من نتاج القلب والعقل زاد به هؤلاء الأفذاذ أمجاد العربية فدوا من رواقها ووسعوا من آفاقها وتحدوا منطق الناعين عليها جمودها والمعيرين بعقم العاطفة وسقم التفكير

ولعلي مبادرك — وقد خلصت اليك من هذه الكلمة — بالتحدث عن شاعر (بشري) وكاتبها وفنانها . وبين يدينا كتاب عن (جبران حيًّا ومَيتًا) يجمع في دفتيه صوراً متعددة من آثار قلمه وريشته وحسب هذه العبقرية ان تجمع بين فنون ثلاثة النثر والشعر والتصوير ثم تصل فيها جميعاً الى شأو بعيد وتفوُّق غير محدود

ولقد قال الفن كلمته في آثار ريشته على لسان المثال الفرنسي الاشهر (اوغست رودان) حيث قال . . . ان العالم لينتظر كثيراً من هذا النابغة اللبناني فهو وليم بلايك القرن العشرين

أما كلمة الفن في نثره وشعره فحسبه أنه شق فيهما طريقاً لم يسبقه اليه أديب عربي قبله ولا يضير جبران ان اخرج بالانجليزية بعض قصصه وكلماته فقد ربحنا من ذلك وقوف الغربيين على صور صادقة من روحانية الشرق وصفحات رائعة من ادبه وفنه لم يشوهها جهل الناقلين

وجبران كاتب وشاعر يترسل نثره في الفلسفة والاجتماع والادب وقصصه تجمع بين الفكرات العالية نتيجة الاطلاع الواسع في ادب الغرب وبين الخيال الشرقي المحلق ولقد مال في آخر ايامه الى القصص الديني فأخرج لنا يسوع بن الانسان والنبي وغيرهما . كل ذلك في نثر فني خالص من شوائب الصناعة والتقليد كان له أثره في اللغة العربية في الوقت الذي لم تكن قد زايلتها فيه طريقة المقامات والاسجاع المملولة

أما روحه الثائرة المتمردة على الظلم والفساد الباكية على الشرق ولبنان فتقرأ لها في كلماته (نحن وانتم) (لكم لبنانكم ولي لبناني) وغيرها من الكلمات التي احدثت في حينها دوياً هائلاً في الشرق العربي وكانت مثاراً للحملة عليه حتى قال كلمته المأثورة (أنا اقول كلمتي واسكت تاركاً الناس ليقولوا عني ما يريدون. ان الواجب عليَّ هو ان اقول الحق باخلاص رضي الناس امتخضبوا)

وجبران من شعراء المعاني وشعره مزيج من العاطفة والعقل كما ان له كثيراً من نماذج الشعر الرمزي ولعل اروعها المواكب والبلاد المحجوبة . وقصيدته في (انشودة الليل) مثال راقٍ مما يجب ان يكون عليه الشعر الغنائي في الشرق

ويمتاز شعره بالموسيقى العالية واللفظ الرقيق

والذين يقرأون لجبران يشعرون بتلك الكآبة التي تظلل روحه دائماً شاعراً ومصوراً وناثراً ولعلها نتيجة حزنه واهتمامه بوطنه المعذب كما تقرأ ذلك في كلمته (مات اهلي) او في كلمة (نحن وانتم) التي بدأها بقوله (نحن ابناء الكآبة . . .) ولعلها قبل ذلك ترجع الى طفولته كما ذكر الاستاذ حبيب مسعود في مقدمة الكتاب الذي بين يدينا عنه

وأرى ان هذا الكتاب جدير بأن يقتنى وأن يكون موضع الاهتمام والعناية من الشعراء والكاتبين عامة وخاصة المنتقفين من ناشئة الشرق العربي

رحم الله جبراناً والمعلوف وأمد لنا في حياة الباقين من ادباء المهجر

علي محمود طه

« نار موسى وقصائد اخرى »

مجموعة من شعر عبد اللطيف النشار مذيلة بالطبعة الثانية من ديوانه «جنة فرعون»
في ١٢٨ صفحة متوسطة وبه مقدمتان لخليل وصديق شيبوب — طبع المطبعة المصرية بالاسكندرية

مرت على الشعر العربي منذ فجره أدوارٌ مختلفة من الضعف طوراً والقوة طوراً آخر ، من الصحة تارة والسقم تارة اخرى ، من النور مرة والظلمة مرة ، من التعبير حيناً والتقليد حيناً آخر .

وكان ان مرَّ عليه دور انحطَّ فيه في مصر وبلغ غاية انحطاطه في عصر الاحتلال الفرنسي فأصبح لا معنى فيه ولا لفظ جميل حتى قيض الله له البارودي فأعاد اليه جزالته وقوة سبكه ، وتأسست من بعده مدرسة تعنى باللفظ والموسيقى ، حتى نهض في العصر الحديث نهضته الجديدة واستيقظ على أشعة عهد حيّ . غير ان مقاييس النقد المعكوسة في مصر وفهم الناقدين للشعر فهماً لم يختلف باختلاف نظرة الشعر كانا سببين قويين في ايجاد الحيرة في نفوس بعض الشعراء فوقفوا يرتعشون كالسكارى يريدون ان يستندوا الى ناحية فلا يهتدون

وجد هؤلاء الحائرون الشعراء المحافظين تزين رؤوسهم اكاليل الغار يضفرها لهم نقّاد الشعر لأنهم متساوون معهم في النظرة وفي الذي تترامى الى مداه تلك النظرة . وجد هؤلاء الشعراء تلك المظاهر فراحوا يتبعون نظرة المحافظين ليظفروا بما ظفروا به

ثم يلتفتون فيرون المجدّدين الناهضين تنعت الآفاق لترنيمهم ، وتعجب الاجيال الجديدة بهم فيأسرهم ذلك الاعجاب فيبتغون حظهم ويخطون وراءهم

وننظر نحن الى آثارهم بين حيرتهم فلا نرى الاّ صوراً عجيبة نحار عندها ونعجب من ان هذه الصور لشاعر واحد ، ونعجب من ذلك الصدى المختلفة المتباينة أنغامه والتي لا تؤلف بينها وحدة ولا تنظمها روح

ولقد قرأت في ديوان الشاعر عبد اللطيف النشار « نار موسى » المذيل بديوانه « جنة فرعون » فوجدت صوراً قديمة في تشبيهاتها ومعانيها مثل :

يا غصن بانٍ تهادى في خمائله ... وروضة أُنفاً في الروضة الأُنفِ
حلفتُ بالله اني في محبتكم ... وافٍ وانّي أخشى الله في حلفي

وقوله : والضحى والليل ليلاً وضحىً ... أقسم الله تعالى بهما
ما وداعاً كان ما كان قِلىً ... صدق الله النبيّ القسما

ووجدت الى جانب هذه الصور صوراً معبرة عن نفس شاعرة تخفُّ عن جسمها الماديّ فتعلو ثم تتلاشى في أنغام وأصداء ، ونسمع شاعرنا يهتف بنا من حيث خلق في قصيدته « جناح الشباب » :

حرارةً حيي الماضي أعيدي الى قلبي تباريح التصابي
ولجَّ مشاعري المهتاجَ من لي ولو بالموت في هـذا لعبابِ
وجرِّ تخيُّلاتي اعصف بنفسي وتقتلها على قلل السحابِ

وفي قصيدته «حرس الجنة»:

يحمي الفراديس رضوان وزمرته من اي مقتحم رضوانُ تحميها
شاكي السلاح على ابواب جنته وليس في غيرها شر ولا فيها
الاّ ضعافاً بدنيا لا اتصال لها بجنة الخلد الاّ في تمنّيها
عمر البسيطة جسر دون موعدها وسكرة الموت من ادنى أمانيها
وفي الحبوس من الاجداث آمنها فهم يخشى على الجنات راجيها

بين الصور الصامتة التي لا تعبر عن شيء والتي ليس فيها نغمة من الشعر وبين هذه الصور الناطقة التي تفوح منها النغمة الشعرية نرى تأثير الحيرة الادبية في شعر اذا خلص من ابهامه العميق ورغبته في ارضاء بعض النقّاد والجماهير كان انتشار وتراً من اوتار القيثارة الجميلة التي يعزف عليها الشعر العربي الحديث اجمل أنغامه. ولنا في ديوانه المقبل امل ورغبة قوية في ان يكون اكثر حرية واوسع نظرة واسنى ديباجة واوضح معنى حسن كامل الصيرفي

باريس

احمد الصاوي محمد

لا نظن انهُ يوجد شرقي لا يحنّ الى باريس او لا يصبو لزيارتها. فقد كانت ثقافة الشرق منذ بزوغ فجر نهضته الحالية فرنسية. ومن تعلم لغة احب اهلها. فاذا كان اصحاب هذه اللغة امثال الفرنسيين الذين بلغوا من الرقي والحضارة ما جعلهم في طليعة امم الارض اصبح ذلك الحب مزدوجاً. وهذا ما يعلل الرواج العظيم الذي ناله كتاب باريس لجامعه وطابعه الكاتب الاديب احمد الصاوي محمد. ولا غرو فقد ضمّ نفثات اقلام نخبة رجال الادب الذين زاروا باريس او درسوا فيها. فشاهدوا معالمها ورأوا بهاءها ورواءها وتبينوا ما فيها من سحر وقوة وجمال، فبرز الكتاب اشبه بباقة من الازهار المختلفة الانواع المتعددة الاشكال وهي منسقة تنسيقاً بديعاً يستهوي القلوب ويأخذ بمجامع الالباب

قرأناه بلذة لان فيه تفكير اعاظم كتابنا الذين اودعوا فيه تأثيرهم وعواطفهم ونزعات نفوسهم. فيه قطعة مجلوة من الشعور النفسي والبيان العاطفي. وكنا ننتظر ان يكون الكتاب جامعاً بين الوصف الادبي الخيالي، والبحث العمراني. ولكنهُ اقتصر على الناحية الاولى في الغالب فجاءت الكتابات التي استدل عليها قطعاً فنية شعرية لا مثيل لها. لكنها تكاد تكون

خالية من وصف ما تحتوي عليه مدينة عظيمة من آثار تاريخية ومشاهد عصرية وتورق اجتماعي واخلاق وعادات واميال ونزعات

فالقارىء لا يفوز بمطالعة الكتاب الا بالقدر اليسير من هذا وهو مبعثر هنا وهناك بين طيات المقالات التي يوجد في بعضها ما لا يمتُّ الى باريس بشيء. فأين عظمة عاصمة الفرنسيس الماثلة في قصورها التاريخية وصروحها الأثرية ؟ واين القوقر العظيم ومتحفه الذي يضم من الآثار الفنية ما لا مثيل له في العالم اجمع ؟ واين البانثيون مثوى العظماء والشعراء والادباء الذي ترتفع قبته ثمانين متراً في الفضاء . وتحلي جدرانهُ من الداخل رسوم آية في الابداع وتماثيل هي معجزات الفن ؟ وأين قصر فرساي — ولو انهُ في ضاحية باريس — وما يحويه من تحف ورسوم وتماثيل هي سلسلة متصلة الحلقات لتاريخ فرنسا المجيد؟ واين المكتبة الاهلية وهي تضم فقط من الكتب العربية والمخطوطات الاسلامية ما ليس له نظير في مكتبتنا الملكية ؟ واين ؟ وأين ؟ سائر الآثار الناطقة بجلائل الاعمال ؟ بل اين تراث باريس الذي خلفه السلف؟ اين نظام المجتمع عندها ؟ وأين قوى باريس المالية والصناعية والتجارية ؟

هذا غيض من فيض مما كنا ننتظر ان يزدان به الكتاب ليصبح تامًّا من جميع الوجوه . لكن نقصه هذا لا يسقط من قيمته التي لها اثرها ولها مكانتها. فهو مؤلف نفيس جم الفائدة عظيم النفع . واثر خالد اشتركت فيه قرائح كل ادبائنا البارزين . ولعلَّ الاستاذ الصاوي يعد جزءًا ثانياً خاصًّا بالناحية العمرانية فيصدق عليه قول الشاعر «لعلَّ له عذراً وانت تلوم»

وقد نهج الصاوي في طبع هذا الكتاب نهجاً جديداً فانهُ ابى ان يعطيه للطابع ، لما يصيب المؤلف من اجحاف الطابع . فان هذا يعرض عليه بضع مئات من النسخ قد يوزعها على أصحابه هدايا ويفوز من الغنيمة بانه مؤلف الكتاب . فتمرَّد الصاوي على هذا النظام ، وجرى على طريقة الاشتراك قبل النشر ، فأخرج كتابهُ من حيث الطبع والصور والورق واناقة الغلاف كأجمل ما يمكن ان يخرج كتاب عربي . فبرَّ بوعده لمشتركيه وفاز بربح لا بأس به ، وألقى على طابعي الكتب درساً ، لعلَّهم يعونهُ

الحياة النسائية في المزاب

La Vie féminine au Mzab, 2 vol. Editions Geuthner, Paris

ان «المزاب» تلك القرية الكائنة في صحراء المغرب مما يحير العقول ، ذلك ان اهلها من سلالة الاباضيين وان لهم عادات شاذة . واغرب ما فيهم ما بين عيشة الرجال وعيشة النساء من التباين كأن كلتيهما تجري في عالم منفرد بنفسه . وكان الغربيون قد فطنوا الى غرائب عادات هذه القرية فبحثوا عنها ووقفوا فيها . الا ان اهل المزاب لا يبرزون نساءهم للرجال فترى ابحاث الغربيين ناقصة من جراء ذلك . ولكن سيدة غربية (Mme Goichon)

تداركت الامر فرحلت الى «المزاب» وأقامت فيها واستمالت النساء هنالك واستقصين اخبارهن فوقفت على جلائلها ودقائقها. وانها تسرد لنا كل ما يتعلق بالمرأة فتفحص عن مركزها في الهيئة الاجتماعية وعن واجباتها وعن زوجها قريبًا ثم عن حملها ووضعها ورضاعتها ابنها وتربيتها له ثم عن زواجها وما يلحق به من المظاهر ثم عن تدبيرها للمنزل وعن ملبسها ثم عن اعمالها ثم عن حزنها وسرورها وعن تقواها وورعها. ولولا ضيق المقام لسقنا هنا كثيرًا من تلك العادات. على اننا نقول ان جلها قائم على العقلية الفطرية تلك العقلية التي تعتمد على السحر وتقيم له وزنًا عظيمًا

وما اكثر ما تعمد المرأة المزابية الى اساليب الرقية وضرب السحر حتى تقع من زوجها وتتوق الطلاق وتحافظ على ابنها وتنجو من الموت. واما الدين فانهُ على جانب عظيم من الشأن. والمرأة مضطرة على ان تعيش عيشة ورع وان تكون عفيفة تصلي وتصوم وتتصدق وتحج مقامات الاولياء

على انهُ كان الاولى بصاحبة الكتاب ان تعنى بلهجة المرأة المزابية اكثر مما عنيت بها. فانها تدون الحين بعد الحين الفاظًا تتراوح بين العربية والمزابية. ولكنها لم تحلل اللهجة التحليل الدقيق ولربما اعجزها عن ذلك ما في تلك اللهجة من رطانة البربر. وعلى كلٍّ فان مساحة هذا الكتاب لم تصنف رسالة في اللهجة وانما في العادات والاحوال ولقد اتت من هذه الناحية بشيء حسن

رسالة الغفران

Le Menage du Pardon. Edition, Geuthner, Paris

عند ما برزت رسالة الغفران منذ ثلاثين سنة اقبل المستشرقون عليها في ولع. والسبب في ذلك انهم لصابوا فيها ادبًا جديدًا عدّوه اقرب الى التأليف الافرنجي منه الى التأليف العربي. وقد زادهم ولعًا بالرسالة انهم فطنوا الى ما وصل منها الى ملحمة «دانتي» المعروفة بالمضحكة الالهية. وبالجملة فان رسالة الغفران رفيعة المكان عند المستشرقين ويقول بعضهم ان محاسن الرسالة لم تبرز بكليتها حتى اليوم وان فيها من فنون البراعة في التأليف والتعبير ما سوف نشير اليهِ بعد الفراغة المتواصلة

هذا وان واحدًا ممن يشتغل باللغة العربية في الجزائر M. S. Metas قد صرف همّه الى ترجمة (رسالة الغفران) وقد اغفل الابحاث اللغوية فراوًا من التحذلق والتطويل. وقد تصفحنا هذه الترجمة فأوقفنا فيها عدة فصول قابلناها بالأصل العربي فوجدناها صحيحة مع شيء من الايجاز الحين بعد الحين. الا ان ترجمة مثل هذه الرسالة تدل على علم واسع

باسرار اللغة العربية وعقدرة على النقل منها الى اللغة الفرنسية. ومما يذكر ان اشعار الرسالة قد ترجمت في دقة ولربما أضرَّ بها هذه الدقة من حيث ان الشعر العربي القديم اذا نقل الى لغة افرنجية اضاع روعته لاختلاف اسلوبه عن أسلوب شعر الفرنجة

الاَّ اننا لا يسعنا الاَّ ان نحسن القول في ترجمة هذا الكتاب ولا سيما ان صاحبها اذاع في قرّاء اللغة الفرنسية مصنفاً عربيًّا يدلُّ على ذكاء العنصر العربي ونبوغه

العروبة في الميزان

لم يثر كتاب في العراق بعد كتاب انيس النصولي في «معاوية» ما اثاره كتاب العروبة في الميزان من ضجيج فانهُ ماكاد ينتشر في الايدي حتى تواردت الاحتجاجات عليهِ فتدخلت الحكومة على الاثر وأحالت مؤلفه الى القضاء فحوكم امام محكمة بغداد وحكم عليه بالحبس لمدة اربعة اشهر وغرامة ٥٠ جنيهاً او حبس ستة اشهر في مقابلها وصدقت المحكمة العليا الحكم لما رفع اليها فصار مبرماً . واتى المؤلف في غياهب السجن

والكتاب في ١١٦ صفحة من القطع المتوسط ومؤلفه شاب عراقي اسمه عبد الرزاق الحسان وموضوعه البحث في تاريخ العراق السياسي وهو مقدم الى « فتى العراق » ومصدّر بكلمة مأثورة للمثنى بن حارثة الشيباني قالها يوماً وهو يتعهد جيوش العرب « اني لارجو ان لا تواتي العرب اليوم من قبلكم . والله ما يسرني اليوم لنفسي شيء الاَّ وهو يسرني لعامتكم » . وقد انتحى المؤلف في كتابه ناحية جديرة بهذا البحث واداره حول انتقاد رجال العهد الحاضر فوصفهم بعدم الوفاء للقومية العربية . انظر ما قاله في الصفحة الخامسة « قامت دولتنا الفتية بعد ان مرَّ على العراق ادوار ودخلنا عصبة الامم لكي نتخلص من دور الانتداب المقنوت ولكي نقيم عهداً جديداً لحته الاستقلال ومداه العروبة ولكن هل قمنا بواجبنا كما تقتضيه الجهود وهل عملنا لقوميتنا كما يتطلبه سعينا الحثيث

«اننا لا نزال نرى تأخراً في الاعمال وانحطاطاً في الاخلاق وخوراً في العزائم وفتوراً في الهمم ويمكن ان نلخص رأينا فيما يأتي :

١ — عدم قيام معظم الموظفين بواجبهم كموظفين يرون السعادة بقضاء الواجب

٢ — تدهور الآداب العامة

٣ — فتور في الروح القومية التي كانت تتأجج في الصدور زمن الاحتلال والانتداب »

ويلوح لنا ان حملة المؤلف على الاعاجم صلة بالضجة التي ثارت عليهِ فقد جاء في الصفحة الثامنة ما نصه «اصبح العرب عموماً والعراق خصوصاً بسبب تسلط الاعاجم عليه في ماضي وكسبهم النفوذ بالقوة والوراثة في حالة يرثى لها من الافكار السقيمة والانحطاط في الذوق

والذي زاد الطين بلة النقص العظيم في تربية القائمين بالنهضة العربية حتى كأنا فيه غير عرب وكأن غيرنا في العراق وكأنا لم ندخل عصبة الامم»

ولقد كنا نفضل ان ينبري كتاب العراق وفضلاؤه لتفنيد ما فيه من آراء وأقوال يرون انها ضارة ويدحضون الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان بدلاً من الالتجاء الى هذا الاسلوب من مناهضة حرية الرأي ونخاف ان يؤدي الاستمرار فيه الى القضاء على الروح الحرة — لاسيما والعراق في مستهل نهضة علمية قومية — او الى قطع الطريق على الباحثين المفكرين فتحرم البلاد من ثمار قرائحهم

فطريقة محاكمة المؤلفين وسجنهم من بقايا العصور القديمة وقد عدلت عنها الشعوب الحرة وحبذا لو اخذ العراق وغيره بها فلا تشوب نهضته امثال هذه الشوائب

على طريق الهند

كتاب اخرجه للناس الاستاذ جميل عبد الوهاب المحامي في بغداد وطبعهُ في مطبعة الاهالي البغدادية وعدد صفحاته ١٧٦ بالقطع المتوسط وورقهُ جيد ولهُ ملحقان الاول للمصادر التي استمدَّ منها والثاني لاسماء الاعلام الواردة فيه ومكانها. ومداره البحث في سياسة انكلترا في العراق وتحليلها وبيان تاريخها ومكانتها

وهو في اربعة ابواب : فالباب الاول خاص بالكلام عن الخليج الفارسي : والباب الثاني يتناول مطامع المانيا الاستعمارية في الشرق الادنى : والثالث بحث مصالح انكلترا الاقتصادية في العراق : والرابع يعالج حالة الشرقين الادنى والاوسط بعد الحرب

والكتاب من الكتب النافعة التي تصح ان تكون مرجعاً للمشتغلين بالشؤون السياسية وما يحتاج اليه العرب في نهضتهم الحاضرة . ولو عني مؤلفهُ باتقان لغته ، ونقاه من الاغلاط النحوية والصرفية واللغوية — وهي غير قليلة — كما عنى بتبويبه واتقان طبعه وانتقاء ورقه لجاء اتقن واكمل. فمن الضروري ان تراعى اصول اللغة وقواعدها في تأليف الكتب العلمية النافعة لانها باقية ومجال التدقيق متسع لاصحابها فلا يستطيعون ان يعتذروا بضيق الوقت . وانتقادنا هذا لا يجرده من مزاياه الاخرى فهو جم الفوائد غزير المادة طافح بالابحاث التاريخية المفيدة ولعل مؤلفه يستدرك ملاحظاتنا في الطبعة الثانية ان شاء الله فيأتي كتابهُ مستوفياً لجميع الشروط المطلوبة ووافياً بالغرض سواء من جهة الشكل او من جهة الموضوع كما يقول المحامون في تعبيرهم

باب الأخبار العلمية

آثار العراق

عثرت بعثة المعهد الشرقي الاميركي على آثار نفيسة في العراق في مكان يدعى « التل الاحمر » يقع بين نهر دجلة وفرعه الديالا عند سفح الجبال الايرانية . واهم هذه الآثار دور يحسبها المنقبون جديرة بالعناية لأنهم لم يعثروا قبل ذلك على دور خاصة في العراق ، يرتد تاريخها الى نحو ٢٢٠٠ سنة قبل المسيح . بل ليس بالأمر اليسير العثور على مثل هذه الدور . لانها مبنية بالطوب المجفف بالشمس ، فتهدمت وتفتت الطوب . وقد تجد احياناً مصرفاً او حماماً كان مبنيًّا بالطوب المشوي شيًّا كاملاً او بعض شيء فبقيت منه آثار ومعالم

ولكن بعض الدور ما يزال محفوظاً في حالة لا بأس بها ، ففي احداها كانت ارتفاع الجدران ترتفع الى علو اربع أقدام . يدخلها الانسان من الشارع الى فسحة صغيرة ، تفضي من اليسار الى مساكن الخدم . ومن اليمين الى ردهة صغيرة فيها موقد . هنا تجد باباً يفتح الى الغرفة الوسطى . وفي جدار الردهة شباك سليم ، وهو اول شباك عثر عليه في حفريات بابلية . مساحته صغيرة لا تزيد على قدم مربعة ، ويرتفع عن مستوى ارض الغرفة نحو ست اقدام ، ولما كان مستوى ارض الغرفة يعلو نحو قدم عن مستوى الشارع خارج الدار فالشباك يعلو عن مستوى الشارع سبع أقدام . فالذي يريد أن يطل منه الى الداخل لا يستطيع ان يفعل ذلك من دون ان يقف على شيء يعلو قدماً او يزيد . ثم ان ارتفاعه سبع اقدام عن مستوى الشارع يمنع الرجل خارج الدار من ان يسدد الى محدثه من الداخل سهماً او خنجراً او أية اداة حادة

اما الغرفة الوسطى ، فتحتوي على مقعد يواجه الباب . وفي وسطها موقد وجد فيه رماد قديم ، وفي الغرفة الوسطى توجد ثلاثة ابواب مقنطرة ، وقناطرها محفوظة سليمة الى الآن ، تفضي الى الغرفة المحيطة بها . اما الباب الذي قرب المقعد ، فيؤدي الى غرفة فيها فرنان لصنع الخبز يشبهان افران اليوم

والقناطر التي في هذه الدار جديرة بالعناية ومن الظاهر للباحث انها بنيت من دون « صقالة » خشبية ، ووجود القناطر في هذا العصر حقيقة جديدة ، تضيفها هذه المباحث الى التاريخ ، فاكتشافها واكتشاف الشباك من الامور التي لم يتوقعها المنقبون

ومن أبعث المكتشفات على الدهشة في انقاض هذه البلدة التدبيرات الصحية المتخذة في مساكن النساء بوجه خاص ، وفي البلدة نفسها بوجه عام . فقد عثروا على

مراحيض مبنية بالطوب المشوي، وطها مصارف تتصل كلها بعضها ببعض حتى تصل الى البئر الكبيرة وهي بناء ضخم علوه متر وطوله ٥٠ متراً . اما ماء الحمامات فتصل كذلك بهذه المصارف ، وفي كل مرحاض تقريباً إناء للماء مبني في أرض المرحاض

اما في غرفة الاستقبال فتجد دكة واطية فيها جرة تستعمل كمصرف او كاناء للماء الذي تغسل به ايدي الضيوف قبل تناول الطعام . وقد عثر تحت ارض الغرفة على خزانة للجواهر فيها قرص قطره خمس بوصات ، مصنوع من الفضة المخرمة، ومجموعة كبيرة من خرز العقيق واللازورد والجزع . ثم هنالك مجموعة من اقراص الفضة والأقراص تشبه في صنعها القرص الكبير ولكنها أصغر منه . وطوق لعنق كلب ، مصنوع من الفضة واللازورد . ومجموعة من التعليقات في أشكال حيوانات صغيرة مصنوعة من اللازورد ورؤوسها من الفضة وقد عثر أحد العمال ، اتفاقاً ، على جرة من الخزف تحتوي ٦٠ اناء من النحاس مختلفة الاشكال ، وزجاجتين ، واربعة مصابيح . واربعة مصافٍ واربعة خناجر ، وانبوباً عجيباً من النحاس ، طوله ٢٨ بوصة وقطره نصف بوصة ، وفيه ثقوب كثيرة في احد طرفيه ، والظاهر انه كان يستعمل لحسو شراب ثمري (نسبة الى أهل ثمر) يظن المنقبون انه البيرا او ضرب منها ، وتأييداً لذلك وجد على بعض الاختام الاسطوانية الشمرية القديمة صور تمثل الناس يحتسون هذا الشراب بالأنابيب المذكورة

تعاون النبات والحيوان

الحمام والوثام ناموسان تخضع لهما الاحياء فتراها تتزاحم وتتخاصم يساعد بعضها بعضاً ويعيش بعضها بقتل البعض الآخر . او قد تتآلف وتتحالف ويعاون بعضها بعضاً على مبدإ الاخذ والعطاء والاشتراك في المنفعة. وقد يظن لاول وهلة انهُ ان كان في الطبيعة هجوم ودفاع وانتناص وافتراس فهو بين طوائف الحيوان . واما النبات فلا يعتدي عليهِ ولا يعتدي على احد ، وليس لهُ معيشة الاَّ من عناصر التراب التي لا تشعر بالالم ولا تشكو من مصاب. لكن هذا الحكم لا يؤخذ على اطلاقهِ . فقد بيَّن داروِنْ ان بعض انواع النبات ينصب الشباك للحيوانات ويصطادها ويغتذي بها . وبديهيٌّ انهُ لا يحاول افتراس الوحوش بل الحشرات الصغيرة لكنَّ من النبات انواعاً اصغر من كل صغير، لا تراها العين ، وتعرف بالبكتيريا وهي التي تسبب الطاعون والهواء الاصفر والسلّ وغيرها وتفتك بالالوف من الناس والبهائم كلَّ عام

ثم ان العقل يدهش من رؤية نبات كبير يبسط اوراقهُ كأنها بساط وثيرة موشّاة بالديباج حتى اذا لمسها ذبابة مجذوبة اليها بجمال منظرها انطبقت الاوراق عليها وضيقت خناقها الى ان تميتها ثم تمتصُّ دمها وتغتذي بلحمها، او من رؤية زهرة بديعة المنظر تنشر شذاها الطيب او ريحها الخبيث حتى تراها الحشرات وتغرى بمنظرها او تشمُّ رائحتها وتنخدع بها وتظن فيها مرعىً طيباً او لحماً ممتعاً فتقع عليها ولا تعود

تقوم بل تسكر سكرة الموت ويمسي الاكل اكلاً والمفترس فريسة

وظاهر الامر ان كل النباتات التي تصطاد الحشرات انما تصطادها لمنفعتها لكي تغتذي بها لا لغرض آخر . ولكن من النبات مايفعل ذلك مسخّراً للحيوان اي انهُ يصطاد الحشرات لا لكي يغتذي بها هو بل لكي يغتذي بها الحيوان . مثال ذلك نبات صغير ينبت في بلاد الرأس في جنوب افريقية وهو يعلو اربع اقدام ولهُ اوراق دقيقة متشعبة مغطاة بهلبٍ عليهِ مادة لزجة اذا وقع الذباب عليها التصق بها فيستعمله الاهالي هناك لصيد الذبّان ولا يرى نباتاً منهُ الاَّ والحشرات الصغيرة من البعوض ونحوهِ لاصقة باوراقهِ . وهناك نوع من العناكب ابطل نسج البيوت واعتاض منها هذا النبات حاسباً انهُ نسأ لاجلهِ . والمادة اللزقة التي تلصق بها الحشرات لا تلصق بها هذه العناكب فتبني لها أعشاشاً صغيرة بين اوراق النبات تبيض فيها وتربي صغارها وتأوي اليها فترصد فراشها كأن اوراق النبات خيوط البيوت التي تنصبها العنكبوت مصائد للذبان حتى اذا ساق ذبابة حتفها الى الوقوع على هذه الاوراق فلصقت بها هجمت العنكبوت عليها وافترستها غنيمة باردة

الفيتامين والأنيميا الخبيثة

يؤخذ من المباحث الطبية الحديثة ان فيتامين ب١ ، قد يكون في المعدة ، ولكن عجزها عن هضمهِ يفضي الى الاصابة بالانيميا الخبيثة . وفيتامين ب١ يوجد في اللحم والبيض واللبن (الحليب) والكبد وقشر الرز الخارجي والخميرة وسويداء حبة القمح . وقد يفقد الانسان العنصر اللازم لهضم هذا الفيتامين في عصارتهِ المعدية ، من دون ان يحسّ بألمٍ او اي انذار آخر ، فتنشأ عن ذلك الاصابة بالانيميا الخبيثة . وهذا العنصر الضروري لهضم فيتامين ب١ ليس من حوامض العصارة المعدية ولا من خمائرها وفقده لا يمكن ان يدرك الاَّ بكواشف بيولوجية دقيقة . وقد تفقد العصارة المعدية عناصرها الهاضمة العادية ، ولكن هذا العنصر الخاص يبقى ، فيهضم فيتامين ب١ ولا يصاب صاحبهُ بالانيميا الخبيثة

فاذا كان هذا العنصر مفقوداً من العصارة المعدية ، فأكل الاطعمة الغنية بالفيتامين ب١ لا يجدي نفعاً في منع الانيميا الخبيثة ، ولكن اذا شرب المصاب اوقيتين او ثلاثة اواقٍ من عصارة معدية سوية ، بعد ما يأكل الاطعمة الغنية بفيتامين ب١ يشفى من اصابتهِ

***

اما المرأة فتفقد هذا العنصر من عصارتها المعدية في الغالب في خلال الحمل . فتصاب بانيميا الحمل . وتعود العصارة المعدية الى حالتها السوية بعد الولادة فتشفى من اصابتها ثم هنالك نساء يرغبن في الاحتفاظ برشاقة القد خلال الحمل فيمتنعن عن أكل الاطعمة الغنية بفيتامين ب١ فتصبن بالانيميا ولو كانت العصارة المعدية سوية

الجزء الثالث من المجلد الثالث والثلاثين

صفحة

٢٥٣ الايدروجين الثقيل

٢٥٧ فيصل بن الحسين . للدكتور عبد الرحمن شهبندر

٢٦٨ قلبي . للشاعر علي محمود طه

٢٧١ مصطلحات علم النفس . للدكتور مظهر سعيد

٢٧٩ انشودة الفجر . لبشر فارس

٢٨٠ رسالة الاشعة الكونية

٢٨٥ الوراثة والمحيط . للدكتور شريف عسيران

٢٩٠ مصر في الادب الالماني . لحسن رشيد نور

٣٠٢ قيمة العجز . لأديب عباسي

٣٠٨ مناحي العمران الاجتماعية . لفؤاد حمزه بك

٣١٥ الفيتامين . للدكتور حسن كمال

٣٢١ رافائيل . لجورج نيقولاوس

٣٢٤ التوائم . لنقولا الحداد

٣٣٤ حصاد الزمان . لهارولد بلسيفر

٣٣٥ في هذا الشرق . لامين الريحاني

٣٣٦ من القاهرة الى انقرة . لفؤاد صروف

٣٥١ كلف زحل

٣٦٣ باب الزراعة والاقتصاد * تجربة اجتماعية خطيرة

٣٦٨ مكتبة المقتطف * تلخيص كتاب المقولات لابن رشد . حاضر العالم الاسلامي . ذكرى الشاعرين . ماضي الحجاز وحاضره . الوحي المحمدي . جبران حياً وميتاً . باريس . الحياة النباتية في التراب . رسالة الغفران . العروبة في الميزان . على طريق المجد

٣٧٣ باب الاخبار العلمية * وفيه ٣ بلد

معقل الذرّة — النوحة الاولى